جمهورية تركيا
جامعة يوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم العلوم الإسلامية ـ فرع التفسير

تحدي الإتيان بمثل القرآن في القرآن

دراسة تحليلية

(رسالة ماجستير)

إعداد

سامان أحمد رمضان

وان – 2017

جمهورية تركيا
جامعة يوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا
قسم العلوم الإسلامية ـ فرع التفسير

تحدي الإتيان بمثل القرآن في القرآن

دراسة تحليلية

(رسالة ماجستير)

إعداد

سامان أحمد رمضان

المشرف

أ.د.عبد الباقي كونش

وان – 2017

المحتويات

المحتويات ..... **I**
المقدمة ..... **VI**
الاختصارات ..... **VIII**
1. تمهيد **1**
1.1. التحدي لغةً واصطلاحاً 1
2.1. مرادفات التحدي وأضداده 5
3.1. مفهوم الإتيان بالمثل 9
4.1. التحدي، الإعجاز، المعجز 12
5.1. عُرف العرب وألفتهم بالتحدي 21
2. الآيات التي تتضمن التحدي، وجوهها و دلالاتها **24**
1.2. التحدي الصريح في الآيات القرآنية 24
1.1.2. التحدي بسورة من مثل القرآن 25
2.1.2. التحدي بعشر سور من مثل القرآن 29
3.1.2. تحدي الإتيان بمثل القرآن 31
4.1.2. تحدي الإتيان بحديث مثله 38
5.1.2. مناسبة التحدي لزمن النزول 39
6.1.2. تحدى القرآن للعرب والعجم، واستمراريته 41
7.1.2. اختلاف أهل العلم في لفظة "مثله" 44
2.2. التحدي الضمني في آي القرآن، وتحقق وقوعه 47
1.2.2. الحروف المقطعة والتحدي 48
2.2.2. طلب الإتيان بغير هذا القرآن أو تبديله 51
3.2.2. التحدي بأن القرآن كلام الله 53
4.2.2. اختلافات في وقوع التحدي بالمتلو والكلام القديم 56
5.2.2. خصوصية التحدي بالقرآن دون غيره 58
3.2. مراحل التحدي ومراتبه، وقدره، ودلالاته 61
1.3.2. مراحل التحدي وترتيبه النزولي، والمصحفي 61
2.3.2. شروط التحدي، وأسبابه 69
3.3.2. القدر المعجز المتحدى به، ووجوه إعجازه 72

4.3.2. نتيجة التحدي، وأهميته 79
3. المعارضة وانعدامها، ونظرية الصَرفة 81
1.3. المعارضون وفشلهم في المعارضة..... 81
1.1.3. المعارضون في زمن النزول وما نقل منهم..... 82
1.1.1.3. النضر بن الحارث (ت: 2هـ) 83
2.1.1.3. مسيلمة (ت: 12 هـ = 633 م) 84
3.1.1.3. طُليحة الأسدي (ت: 19هـ)..... 86
4.1.1.3. عبد الله بن أبي سرح (ت: 37هـ)..... 87
5.1.1.3. سجاح (ت: نحو 55هـ) 88
2.1.3. المعارضون بعد زمن النزول 89
1.2.1.3. ابن المقفع (ت: 141 – 150 هـ) 89
2.2.1.3. الكِندي (260 هـ = 873 م) 91
3.2.1.3. ابن الراوندي (ت: 298 هـ = 910 م)..... 92
4.2.1.3. الحلاج (ت: 309 هـ = 922 م) 93
5.2.1.3. المتنبّي (303 – 354 هـ = 915 – 965 م) 93
6.2.1.3. أبو العلاء المعرّي (ت: 449هـ = 973م)..... 94
7.2.1.3. شُمَيْمٌ الحِلِّيّ (ت: 601هـ) 95
3.1.3. الجزم باستحالة المعارضة وعدم وقوعها..... 97
4.1.3. موقف العرب والمعارضين بعد الفشل تجاه آيات التحدي 100
2.3. نظرية الصَرفة 103
1.2.3. نشأة الصَرفة وتولدها 103
2.2.3. القائلون بنظرية الصَرفة 108
3.2.3. المانعون للصرفة 112
5. المراجع 119
6. الملخص بالعربية..... 139
7. الملخص بالتركية..... 141
8. الملخص بالإنجليزية..... 143
9. المحتويات بالتركية..... 144

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وجعله معجزة الأكوان، فعجز عنه الثقلان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الخلق، وسند الحق محمد بن عبد الله ﷺ من بني عدنان، وعلى آله الكرام، وأصحابه العظام في كل زمان ومكان.

عند ما خلق الله الثقلين أرسل إليه الرسل، وأنزل معهم من الكتب ما يهديهم وينوّرهم ويُقوّم طريقتهم إلى الأحسن، ومن تلك الكتب التي أنزلها القرآن الكريم؛ المعجزة الخالدة التي أنزلها الله لكافة الناس بشيرا ونذيرا، وهو كتاب الله –تعالى– وكلامه منه بدأ وإليه يعود، وجعل حامله خاتم الأنبياء والمرسلين، حيث نزّل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، وتكفّل الله بحفظه من الطعن والنقصان، وجعل تلاوته والتدبر في آياته ومعانيه تعبداً؛ وجمع الله فيه خيري الدنيا والآخرة فمن تمسك به فقد نجا، ومن أعرض عنه فقد ضل عن الهدى، وإن العلماء والمفسرين قد اجتهدوا في صرف عمرهم الثمين في خدمة القرآن الكريم، واستنبطوا كثيراً من الأحكام، ووضّحوا آيات القرآن، وإن إحدى الموضوعات المثيرة بالإهتمام هو موضوع الإعجاز القرآني، فقد صنفوا فيه كتبا كثيرة، فلم يتوقف أقلام الكُتّاب في كتابة التفاسير في كل المراحل والمدارس التي مرت بها؛ من التفاسير بالمأثور أوبالرأي أو التفسير الإشاري، من عصر النزول والتدوين إلى الآن، وتستمر هكذا إلى أن تنتهى الحياة، ومن المعلوم أن هذا البحث خدمة للقرآن الكريم؛ ولدراسة بعض من الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع التحدي وطلب الإتيان بمثل هذا القرآن؛ الذي تحدي جميع الخلق من المعارضين عامة، والعرب خاصة، زمن النزول وما بعده..

هناك أسباب عديدة وراء اختيارنا لموضوع البحث وأهميته: يمكن تلخيص أهم الأسباب في النقاط الآتية:

1. الرغبة الشديدة والحب الدائم لدراسة القرآن الكريم، الذي يعد من أجل وأشرف العلوم.

2. أهمية دراسة القرآن الكريم، وتوجيه الجهود إلى جوانبه الإعجازية، وإبراز وجوه الإعجاز في كتاب الله –تعالى– وصرف الطاقة إلى الإشتغال بالقرآن الكريم؛ لأنه كلام الله المعجز المتعبد بتلاوته.

3. قلة ما كتب حول هذا الموضوع بالغ الأهمية من معنى التحدي بالإعجاز القرآني وإظهار آراء المفسرين وجمعه.

4. جدة الموضوع وحداثته؛ من جهة جمع الأقوال في بحث أكاديمي مستقل بموضوع التحدي.

دراسات حول الموضوع:

من خلال البحث والتفتيش لم أجد بحثاً أكاديمياً منشوراً في الموضوع نفسه، إنما وجدتُ بعض الكتيبات في موضوع التحدي القرآني، ولكن الموضوع لم يتطرق إليه الباحثون؛ إلا ما يوجد في بعض المقالات، أو سطور في الكتب المتعلقة بإعجاز القرآن، منها: " آيات التحدي بالقرآن الكريم جمعا ودراسة" للصائغ ناصر بن محمد بن صالح، نشر في مجلة الدراسات القرآنية، العدد الخامس، الجمعية العلمية السعودية، 1430هـ- 2009م.

منهجية البحث: المنهج الذي يسير عليه الباحث هو المنهج الاستقرائى، مع مراعاة ما يلي:

1. عزو الآيات القرآنية إلى السور، مع ذكر رقم السورة والآية، وتخريج الأحاديث تخريجاً علمياً دقيقاً إن وجد.

2. الالتزام بالأمانة العلمية في البحث كله، فنسب كل قول إلى قائله، ومصدره، ذاكراً الكتاب، ومؤلفه-لأول مرة- مترجماً ومحققاً إن وجد، مع ذكر الجزء ثم رقم الصفحة، ودار النشر والطبعة، مع التاريخ إن وجد، وتوثيق المعلومات في محتوى الرسالة حسب المنهج المقرر في البحوث الأكادمية.

3. الاهتمام بالتفاسير القديمة لبيان موقف المفسرين من الموضوع، ودراسة آيات التحدى القرآني من خلال الرجوع إلى أمهات كتب التفسير.

4. الحرص على جمع المعلومات العامة حول الموضوع، وربطه بما يناسب ويليق بالإعجاز القرآني.

5. الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين والاستشهاد بآرائهم في الموضوعات المتعلقة بموضوع التحدي والإعجاز.

6. التجنب عن الإطناب والإسهاب، والاكتفاء بما هو مفيد ومؤد إلى غرض الرسالة.

7. الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، ثم تطبيق المنهج المطلوب من المعهد على الرسالة بأكملها.

وأخيراً أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساندني وساعدني لإتمام البحث، وأخص منهم بالذكر البرفيسور د. عبد الباقي كونش الذي تشرفت باشرافه على هذه الرسالة، واستفدت منه كثيراً فبذل معي جهدا مشكورا، فله مني أفضل التحيات والدعوات الصالحات وكذا لكل من مدّ ليَ يد العون والمساعدة ولو بكلمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سامان أحمد رمضان

01/12/2016

الاختصارات

1- ت: الوفاة

2- تح: التحقيق

3- ص: الصفحة

4- ط: الطبعة

5- ق: القرن

6- ق.م.: قبل الميلاد

7- م: الميلادي

8- هـ: الهجري

1. تمهيد

من الضروري أن نعرف الكلمات الرئيسية لعنوان البحث، والتعريف بمصطلحات إطار البحث؛ لنكون على بصيرة من الناحية اللغوية والاصطلاحية لتلك المصطلحات فيما يلي:

1.1. التحدي لغةً واصطلاحاً

التحدي لغةً: التحدي مأخوذ من الفعل الثلاثي "حدا" فالحاء والدال والحرف المعتل أصلٌ واحد، وهو السَّوق.[1] والحَادِي المتعمد للشيء يقال حَدَاه وتَحَدَّاه بمعنى واحد، ومنه قول مجاهد(ت: 102هـ).[2] "كنتُ أَتَحَدَّى القُرَّاءَ فأَقْرَأُ"، أَي أَتعمَّدهم، وهو حُدَيَّا الناسِ أَي يَتَحَدَّاهم ويَتَعَمَّدهم.[3] وفى رواية أخرى عن مجاهد، قال: "كُنْتُ أَتَحَدَّى النَّاسَ بِالْحِفْظِ..".[4] وقال الجوهري (ت: 393هـ)،[5]

---

[1] إبن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ***معجم مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ، 1979م، 35/2.

[2] هو مجاهد بن جبر: الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، (ت: 102هـ). الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ***سير أعلام النبلاء***، تح: شعيب الأرناؤوط؛ العرقسوسي محمد نعيم، ط: التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ، 449/4.

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ***لسان العرب***، تح: عبد الله علي الكبير؛ ومحمد أحمد حسب الله؛ وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مادة حدا، 808/2.

[4] السرقسطي، أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي، ***الدلائل في غريب الحديث***، تح: محمد بن عبد الله القناص، ط: الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422 هـ - 2001 م، 704/2.

[5] هو: إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر، أول من حاول الطيران، ومات في سبيله (393 هـ = 1003 م). الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، ***الأعلام***، ط: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 م، 313/1.

تَحَدَّيْتُ فلاناً إذا بارَيْته في فعل ونازَعْته الغَلَبةَ،[6] وتحَدَّى الرجلَ تعمَّدَه، وتَحَدَّاه باراه ونَازَعه الغَلَبَةَ وهي: الحُدَيَّا، وأَنا حُدَيَّاك في هذا الأَمر، أَي أَبْرُزْ لي فيه،[7] أَي أُخاطِرُك.[8]

قال عمرو بن كلثوم:[9]

حُدَيّا النَّاسِ كُلِّهِمُ جَمِيعًا... مُقَارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينَا

فحُديَّا: اسم جاء على صيغة التصغير، مثل: ثريا وحميّا، وهي بمعنى التحدي، ويقول: "نتحدى الناس كلهم بمثل مجدنا وشرفنا، ونقارع أبناءهم ذابّين عن أبنائنا، أي: نضاربهم بالسيوف حماية للحريم وذبًّا عن الحوزة".[10] فمعناه بضم الحاء وفتح الدال: المُنازَعَةُ، والمُباراةُ،[11] من التحدّي، وَهُوَ التعرّض، يُقَال: تحدى فلان لفُلَان، إذا تعرّض لَهُ للشرّ،[12] والحُدَيَّا لُغَةُ أَهْلِ الحجازِ في الحِدَأَةِ؛ وهي أَيْضاً، الحُدَيَّات، والحُدَيَّة، وهذا حُدَيَّا هذا: أَي شَكْلُه،[13] فحُدَيَّا: على وزن فُعَيْلَى، من التّحَدِّي، يَعْنِي النَّدْب والدُّعاء إِلَى الشَّيْء.[14]

---

[6] الرازي زين الدين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، ***مختار الصحاح***، تح: يوسف الشيخ محمد، ط: الخامسة، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1420هـ- 1999م، ص، 68.

[7] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ، 1987م، 2310/6.

[8] ابن سيده، المرسي أبو الحسن علي بن إسماعيل، ***المخصص***، تح: خليل إبراهم جفال، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ 1996م، 266/4.

[9] هو: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتّاب، من بني تغلب، أبو الأسود: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة، نحو (40 ق:هـ = 584 م) ساد قومه تغلب، وهو فتى، وعمر طويلا، مات في الجزيرة الفراتية. الزركلي، ***الأعلام***، 84/5.

[10] الزَّوْزَني: حسين بن أحمد بن حسين، أبو عبد الله، ***شرح المعلقات السبع***، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، 1423هـ - 2002 م، ص، 225.

[11] الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين، محمد بن يعقوب بن محمد، ***القاموس المحيط***، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط: الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ-2005م، ص، 1273.

[12] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، ***جمهرة اللغة***، تح: رمزي منير بعلبكي، ط: الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، 1272/3.

[13] الزَّبيدي، مرتضى أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، تح: مجموعة من المحققين، -بدون طبع- دار الهداية، 411/37.

[14] ابن سيده، ***المخصص***، 492/4-493.

والحَدْيا فَعْلَى، بفتح الفاء،[15] فالوزن منه: " تحدَّى يَتحدَّى، تحدّ، تَحَدّيًا، فهو مُتحدٍّ، والمفعول مُتحدّى" فيكون المعنى اللغوي والمقصود منه إما: من تحدَّى فلانٌ فلانًا: غالَبه وباراهُ".[16] ومنه تحدى رسول الله ﷺ العرب بالقرآن.[17] وتحدى صاحبه القراءة والصراع؛ لينظر أيهما أقرأ وأصرع، وأصله في الحُدَاءِ، يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان، فيتحدى كل واحد منهما صاحبه،[18] أو من تحدَّى فلانٌ الشَّيءَ: جابهه دون خوفٍ،[19] وتحدى أقرانه إذا باراهم ونازعهم الغلبة.[20] والمتحدي: هو الذي يتحدى الناس أي يدعوهم، ويبعثهم إلى أن يعارضوه.[21]

التحدي اصطلاحا:

ظهر فيما سبق أن معنى "التحدي" في اللغة هو أن يتعمد الرجل المتحدِّي فعل شيء، وهو يريد بفعله خصماً؛ طالبا إظهار قدرته وتفوقه عن طريق معارضة يرتكبها هو بنفسه.

والتحدّي بهذا المعنى قليل جداً، لا تكاد تظفر به في كلام الناس إلا في زمان بعد زمان، أما التحدي الذي نحن بصدده، وهو الكثير على ألسنة الناس إلى اليوم، والمبثوث في كل كتاب، فهو على عكس هذا المعنى بلا ريب، وهو أن تفعل فعلاً، ثم تطالب خصمك بأن يبذل غاية جهده في معارضته والإتيان بمثله، وأنت على ثقة من أنه غير قادر على مثل هذا الفعل، طالبا بذلك إظهار عجزه وضعفه عن مُساواتك أو غلبتك أو الظهور عليك.[22]

---

[15] اليمني، نشوان بن سعيد الحميرى، ***شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم***، تح: حسين بن عبد الله العمري؛ ومطهر بن علي الإرياني؛ يوسف محمد عبد الله، ط: الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1420هـ- 1999م، 1362/3.

[16] عمر، أحمد مختار عبد الحميد، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، ط: الأولى، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ- 2008م، 461/1.

[17] الزبيدي، ***تاج العروس***، 410/37.

[18] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، ***أساس البلاغة***، تح: محمد باسل عيون السود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ - 1998 م، 175/1.

[19] عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 461/1.

[20] الزمخشري، ***أساس البلاغة***، 175/1.

[21] السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، ***لوامع الأنوار البهية***، ط: الثانية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1402هـ، 1982م، 173/1.

[22] ينظر: أبو فهر، محمود محمد شاكر، ***مداخل إعجاز القرآن***، ط: الأولى، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، 2002م-1423هـ، ص، 21-22.

يقال: تحدّى بالمعجزة في أول الأمر وأعلن، وهذا الإعلان متَّصل بتعجيز النبي الكافرين أن يأتوا بمعجزة مثله، وليس لهذا الفعل معنى آخر غير هذا.[23] وليس للنبي إلا التحدي بالمعجزة بإذن الله وهو: "أن يستدل بها النبي قبل وقوعها على صدقه في مدعاه"، فإذا وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حينئذ على الصدق قطعية، فالمعجزة دالة بمجموع الخارق والتحدي؛ ولذلك كان التحدي جزءاً من المعجزة.[24] فالتحدي بالقرآن هو: إظهار عجز العرب على أن يأتوا بمثل القرآن.[25]

وهذا هو المعنى المقصود عند ذكر الأنبياء وتحدِّيهم الناس بمعجزاتهم، فالنبي لا يأتى إلى شيء مذكور عند الناس بالتفوق، فيقصد أن يعارض هذا الشيء طالبا لمُساواتهم والغلبة عليهم، بل يأتيهم بشيء يعلم أنه خارج عن قدرتهم ويطالبهم بمعارضته والإتيان بمثله، طالبا إظهار عجزهم، عجزاً يوجب عليهم التسليم له بأنه "نبي" من أنبياء الله سبحانه.[26]

وذكر ابن خلدون(ت: 808هـ) في مقدمته تعريف التحدي، عندما فرق بين المعجزة والسحر، قائلا: التحدي هو: "دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه" فالساحر مصروف عن مثل هذا التحدي، فلا يقع منه،[27] فيكون المقصود من التحدّي بالقرآن، هو طلب الإتيان بالمثل، فالتحدي إذاً: هو المباراة في فعل والمنازعةُ للغلبة.[28] وبعبارة أفصح وأخصر: هو طلب الْمُعَارضَة والمباراة على شَاهد دَعْوَاهُ.[29] إذاً فالتحدي ليس إظهاراً للعجز؛ بل هو نتيجة ومسبب عن التحدي..

---

[23] دُوزِي، رينهارت بيتر آن، ***تكملة المعاجم العربية***، ط: الأولى، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1979-2000م، 99/3.

[24] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ***مقدمة ابن خلدون***، ط: الخامسة، دار القلم، بيروت، 1984هـ، ص، 93.

[25] ينظر: مخلوف عبد الرؤوف، ***الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن***، دار الحياة، بيروت، 1978م، ص، 20.؛ والعواجي، محمد بن عبدالعزيز بن محمد، ***إعجاز القران الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني***، تقديم: حكمت بن بشير بن ياسين؛ محمد عمر عبدالله حويّة، ط: الأولى، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1427هـ، ص، 350.

[26] أبو فهر، ***مداخل إعجاز القرآن***، 21-22.

[27] ابن خلدون، ***مقدمة ابن خلدون***، 503.

[28] البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي: ***التعريفات الفقهية***، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2003م، ص، 52.

[29] الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول، ***دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون***، ط: الأولى، عرب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، 2000م، 190/1.؛ البركتي، ***التعريفات الفقهية***، 52.

2.1. مرادفات التحدي وأضداده

التحدّي كسائر الكلمات له ألفاظ ذات صلة به من الناحية اللغوية والاستعمال، ولكي يتضح معنى التحدي أكثر نأتي بمرادفاته، وأضداده، مما ورد في المعاجم اللغوية، فيما يأتي:

أ- **المرادفات:** إن لكلمة التحدي مرادفات وكلمات تقترب من معناها اللغوي، مثل "نافس، وبارَى، وساجل، وسابق، وجارَى".[30]

1- **نافس:** من تنافسَ يتنافس، تنافُسًا،[31] و"نفاسا" بالكسر إذا رغب فيه على وجه المباراة في الكرم، و"تنافسوا" فيه أي رغبوا فيه.[32] التنافس: مصدر، وهو "المسابقة إلى الشئ".[33] وتَنافَسْنا ذلك الأَمر وتَنافَسْنا فيه، تحاسدنا وتسابقنا وفي التنزيل العزيز: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.[34] أَي وفي ذلك فَلْيَتَراغَب المتَراغبون.[35] يوجد في معنى التنافس الرغبة على وجه المباراة، وهو قريب من معنى التحدي.

2- **بارَى:** الْبَاءُ وَالرَّاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ بَعْدَهُمَا وَهُوَ الْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا تَسْوِيَةُ الشَّيْءِ نَحْتًا، وَالثَّانِي التَّعَرُّضُ وَالْمُحَاكَاةُ.[36] والثاني هو المقصود وهو المحاكاة في الصنيع والتعرض، فهو من "بارى، يباري" يقال: "بارى الفريقَ الزَّائرَ: نافسه ودخل معه في مُباراة، وبارى الشَّاعِرَ في قصيدتِه: عارَضه فيها، فعل مثل فعله".[37] فبارَى، مرادف عارض لا بمعنى فعل مثل فعله فقط بل بمعنى قابل،[38] وتباريا: تعارضا، وفعل مثل ما يفعل صاحبه،[39] والمباراة: أن يباري

---

30. الضنّاوي سعد؛ جوزيف، مالك، ***معجم المترادفات والأضداد***، ط: الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2007م، ص، 165.

31. عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 2253/3.

32. الرازي، ***مختار الصحاح***، 316.

33. سعدي أبو حبيب، ***القاموس الفقهي لغة واصطلاحا***، ط: الثانية، دار الفكر، دمشق،1408هـ، 1988م، ص، 356.

34. المطففين، 26/83.

35. ابن مظور، ***لسان العرب***، 4503/6.

36. ابن فارس، ***مقاييس اللغة***، 233/1.

37. عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 199/1.

38. دُوزِي، ***تكملة المعاجم العربية***، 320/1.

39. الزبيدي، ***تاج العروس***، 166/37.

الرّجلُ الرَّجلَ، فيَصنَعُ كما يَصنعُ، يُغالب أحدهما الآخر، وهما يتباريان، وبَرَى فلانٌ لفُلانٍ إذا عَرَض له.[40]

3- **ساجَل**، السين والجيم واللام أصل واحد، يدل على انصباب شيء بعد امتلائه،[41] وساجله مساجلة: إذا باراه وفاخره بأن صنع مثل صَنْعِه،[42] والمُساجَلة المُفاخَرة في جَرْيٍ أَو سقي، قال الفضل بن عباس بن عبتة بن أَبي لهب:[43]

مَنْ يُساجِلْني يُسَاجِلْ ماجِداً... يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَب.[44]

4- **سابق**، "سبق" السين والباء والقاف أصل واحد صحيح يدل على التقدم، يقال: سبق يسبق سبقاً،[45] والسَّبَقُ بالتحريك: الخطر يوضع بين أهل السِّباق، وجمعه أسباق،[46] وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾،[47] أي: " تسابقا إليه، وابتدراه، يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه، وفيه الاستباق من الاثنين"،[48] وفي القرآن الكريم، حَيْثُ كَانَ السَّابِق ضاراً جِيءَ بـ "على" نَحو قوله

---

[40]. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، خليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، ***العين***، تح: مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي–بدون طبع وسنة– دار ومكتبة الهلال، 287/8.

[41]. ابن فارس، ***مقاييس اللغة***، 136/3.

[42]. عمر أحمد مختار، ***معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي***، ط: الأولى، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ، 2008م، 438/1.

[43]. هو: الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب وأمه آمنة ابنة العباس بن عبد المطلب، وهي لأم ولد سوداء، توفي في خلافة ابي بكر الصديق τ. المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران، ***معجم الشعراء***، بتصحيح وتعليق: ف، كرنكو، ط: الثانية، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، 1982م، ص، 309.

[44]. صدر الدين علي بن الحسن البصري، ***الحماسة البصرية***، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، 1983م، 185/1.

[45]. ابن فارس، ***مقاييس اللغة***، 129/3.

[46]. الفراهيدي، ***العين***، 85/5.

[47]. يوسف، 25/12.

[48]. الزبيدي، ***تاج العروس***، 430/25-432.

تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾.[49] وَيُقَال: سبقته على كَذَا: إذا غلبته، وَحَيْثُ كَانَ نَافِعًا جِيءَ بِاللَّامِ،[50] كقوله تعالى: ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾.[51]

5- **جارَى**، من جري، جارى يجاري، وجاراه في تخصُّصه: باراه، شابهه أو بلغ منزلته فيه، كما يقال: "شاعرٌ لا يُجارَى في شعره- جاراه في الكرم".[52]

ب- الأضداد: كما أن هناك مرادفات لكلمة التحدي، وعرفنا قسما منها، فالآن نذكر طرفاً من أضداد كلمة التحدي، إن التحدي، له أضداد من كلمات تضاده في المعنى وتخالفه في اللغة والاستعمال، مثل: إستسلم، وانسحب، وانغلب، وخسر، وانهزم.[53] وسنوضح معاني هذه المفردات فيما يأتي:

1- **استسلم**، من التَّسَلُّم، تسلّم الشيءَ: إذا أخذه.[54] واستسلم: إنقاد وأذعن.[55] استسلم الشَّخصُ للشَّيء: انقادَ وخضع وتوقّف عن المقاومة، واستسلم له: أقرّ له بالغلبة، استسلم لله: خضع خضوعًا مُطلقًا لإرادته".[56] كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.[57] وقوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.[58] أَى اجعلنى ممّن استسلم لرضاك.[59]

2- **إنسحب**، من الانسحاب، وهو لغة: مصدر انسحب، أى جر.[60] وَيُقَال: انسحب الْجَيْش من الميدان.[61] فالمعنى: رجع وتقهقر، تقول: "ارتدَّ الجيش، انسحب الجيش، تقهقر الجيش"

---

[49]. هود، 40/11.

[50]. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ***الكليات***، تح: عدنان درويش؛ محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م، ص، 508.

[51]. الأنبياء، 101/21.

[52]. عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 367/1.

[53]. الضنّاوي؛ و جوزيف، ***معجم المترادفات والأضداد***، ص، 165.

[54]. اليمني، ***شمس العلوم***، 3187/5.

[55]. الزبيدي، ***تاج العروس***، 387/32.

[56]. عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 1099/2.

[57]. الصافات، 26/37.

[58]. يوسف، 101/12.

[59]. الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 183/2.

[60]. محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ***معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية***، دار الفضيلة، القاهرة، 309/1.

[61]. إبراهيم مصطفى؛ أحمد الزيات؛ حامد عبد القادر؛ محمد النجار؛ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ***المعجم الوسيط***، دار الدعوة، القاهرة، 418/1.

وسحبه: جره على وجه الأرض فانسحب، والصلة واضحة بين هذا المعنى ومعنى التراجع والتقهقر.[62]

3- **انغلب**، من غلب، الغَلَبَةُ القهر.[63] وقد ورد فى القرآن على أَربعة أَوجه: الأَوّل: بمعنى الظهور والاستيلاءِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾.[64] الثانى: بمعنى الهزيمة: قال تعالى: ﴿الم﴾*﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾.[65] سيَهزمون، الثالث: بمعنى القتل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾.[66] أَى ستقتلون، الرّابع: بمعنى القهر: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾.[67] أَى قاهر.[68]

4- **خسر**، الخُسْرُ والخُسْرَان: انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خَسِرَ فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، قال تعالى: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.[69] ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة؛ كالمال، والجاه في الدّنيا وهو الأكثر، وفي المقتنيات النّفسيّة: كالصّحّة والسّلامة، والعقل والإيمان، والثّواب، وهو الذي جعله الله –تعالى– الخسران المبين،[70] حيث قال: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.[71] وقد ورد الخسران فى القرآن على سبعة أَوجه: الأَوّل: بمعنى العجز والعاجز، الثَّانى: بمعنى الغَبْن، والخاسر المغبون، الثالث: الخسران بمعنى: الضلالة، الرّابع: بمعنى نقصان الكيل والميزان، الخامس: بمعنى: ضِدّ الربْح، السّادس: بمعنى: العقوبة، السّابع: بمعنى: الهلاك.[72]

5- **انهزم**، أصل الهزم: غمز الشيء اليابس حتى ينحطم، كهزم الشن، وهزم القثاء والبطيخ، ومنه: الهزيمة؛ لأنه كما يعبر عنه بذلك يعبر عنه بالحطم والكسر،[73] قال تعالى:

---

[62]. عمر، ***معجم الصواب اللغوي***، 163/1.

[63]. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد، ***المفردات في غريب القرآن***، تح: صفوان عدنان داودي، ط: الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، 1412هـ، *ص*، 611.

[64]. الكهف، 21/18.

[65]. الروم، 30/1-3.

[66]. آل عمران، 12/3.

[67]. يوسف، 21/12 .

[68]. الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 143/4.

[69]. النازعات، 12/79.

[70]. الراغب الاصفهاني، ***المفردات***، 281-282.

[71]. الزمر، 15/39.

[72]. الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 538/2-539.

[73]. الراغب الاصفهاني، ***المفردات***، 842.

﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.[74] وانهزم الجيش: إذا ولوا مدبرين، وهزمت الشيء فانهزم: أي غمزته فانغمز.[75] إن كلاً من "إستسلم، وانسحب، وانغلب، وخسر، وانهزم" كلمات مضادة لمعنى التحدي والغلبة؛ لأن معنى هؤلاء الكلمات ليس فيهم معنى المباراة والمنازعة والغلبة، فيكون التحدي بمعناه العام مخالفة ومضادة لمعاني هؤلاء الكلمات السابقة .

3.1. مفهوم الإتيان بالمثل

الإتيان بالمثل كلمة مركبة من "الإتيان" و "المثل" فلابُد من تعريفهما أولاً تعريفاً لغوياً؛ لكي يظهر المفهوم والمقصود من المعنى أكثر وأوضح.

أولاً: الإتيان لغة: مصدر أتَى، ويقال: "أتَى بـ، أتَى على وأُتيَ، أُتيَ بـ، أُتيَ من".[76] فالإتيان المجيء،[77] أي: إنه يتعدى تارة بالباء، وتارة بعلى، وأخرى بمن.

الإتيان: هُوَ عَام فِي الْمَجِيء والذهاب وَفِيمَا كَانَ طبيعيا وقهريا،[78] فهو: مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أَتِيّ وأَتَاوِيّ.[79] وتقول: أتاني فلانٌ أَتْياً، وإتياناً، وأتيَةً واحدة، ولا يقال: إِتْيانةٌ واحدةٌ ".[80] والإتيان يقال: للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال: في الخير وفي الشر، وفي الأعيان والأعراض،[81] نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾.[82] وقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾.[83] وقوله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾.[84] أي: بالأمر والتدبير.

ومن هنا يظهر الفرق بين قولك أتى فلان، وجاء فلان، فقَوْلك: "جَاءَ" كَلَام تَامّ لَا يحْتَاج إِلَى صلَة، وقولك: "أَتَى فلَان" يَقْتَضِي مجية بِشَيْء؛ ولهذا يقال جاء فلَان نَفسه، ولا يقا:ل أَتَى

---

74. البقرة، 251/2.
75. اليمني، ***شمس العلوم***، 6934/10.
76. عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 59/1.
77. الرازي، ***مختار الصحاح***، 13.
78. الكفوي، ***الكليات***، ص، 34.
79. الراغب الأصفهانى، ***المفردات***، 60.
80. الفراهيدي، ***العين***، 145/8.
81. الراغب الأصفهانى، ***المفردات***، 60.
82. الأنعام، 40/6.
83. النحل، 1/16.
84. النحل، 26/16.

فلَان نَفسه،[85] والإتيان: قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول،[86] "وَأَتَى" عليهم الدَّهرُ أَي أَهْلَكَهُمْ وَأَفْنَاهُمْ، وأصله، من إتْيَانِ العدوّ.[87]

وللإتيان مرادفات ونظائر من حيث المعنى مثل: "جاء، وحضر، وقدم، واقبل، ووفد" كما له من الكلمات المضادة لمعناه، والمخالف لمبناه، مثل: "ذهب، وغادر، ورحل، وظعن، وسافر".[88]

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن "الإتيان" جاءَ على ستَّةَ عشرَ وجهاً:[89] الأَوّل: بمعنى القُرْب الزَّمانى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾،[90] أَى قَرُب وقتهُ، الثَّانى: بمعنى وصول شىءٍ بشىءٍ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾،[91] أَى أَصابكم، الثالث: بمعنى القَلْع وخراب البناءِ: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾،[92] أَى قلعها وخرَّبها، الرّابع: بمعنى العذاب والعقوبة: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾،[93] أَى عذَّبهم، الخامس: بمعنى سَوْق الرّزق: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾،[94] أَى يسوقه الله، السّادس: بمعنى الصّحبة وقضاءِ الشَّهوة: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾.[95] السّابع: بمعنى الخَوضْ فى المنكَرات من الأَعمال: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾،[96] أَى تخوضُون فيه، الثامن: بمعنى الانقياد والطاعة: ﴿إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾،[97] أَى: إلاَّ وينقاد للرحمن، التَّاسع: بمعنى الإيجاد والخَلْق: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾،[98] أَى يخلق ويوجِد، العاشر: بمعنى

---

85. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، ***الفروق اللغوية***، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص، 309.

86. الراغب الأصفهانى، ***المفردات***، 212.

87. المُطَرِّزِيّ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي الخوارزمي، ***المغرب في ترتيب المعرب***، تح: محمود فاخوري؛ عبدالحميد مختار، ط: الأولى، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، 1979م، ص، 25-26.

88. الضنّاوي؛ جوزيف، ***معجم المترادفات والاضداد***، 14.

89. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، ***بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز***، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ، 1996م، 44/2.

90. النحل، 1/16.

91. الأنعام، 40/6.

92. النحل، 26/16.

93. الحشر، 2/59.

94. النحل، 112/16.

95. النمل، 55/27.

96. العنكبوت،29/29.

97. مريم، 93/19.

98. فاطر، 16/35.

حقيقة الإتيان والمجئ: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾،[99] أَى جاءَت، الحادى عشر: بمعنى الظهور والخروج: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾،[100] أَى يظهر ويخرج، الثانى عشر: بمعنى الدّخول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾،[101] أَى وادخلوها، الثالث عشر: بمعنى المرور والمضىّ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾،[102] أَى مَضَوْا، الرابع عشر: بمعنى إرسال الآيات، وإنزال الكتاب: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾،[103] أَى أَرسلنا وأَنزلنا، الخامس عشر: بمعنى التعجيل والمفاجأة: ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾،[104] أَى فاجأَها، السّادس عشر: بمعنى الحلول والنُّزول: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾،[105] أَى يحِلّ بهِ.[106]

ومن المعلوم أن المعنى الأصلي لمادة "الإتيان" هو المجئ بسهولة والجَريان بيسر طبيعي، سواء استعملت في اللزوم أو التعدي، مجردة أو مزيدا فيها، وسواء كان الإتيان في المكان أو في الزمان، وسواء كان الفاعل أو المفعول به محسوسا أو معقولا، فتختلف خصوصيات الإتيان باختلاف الموارد، ففي كل مورد بحسبه.[107]

ثانياً: المثل لغة: المِثْل والمَثَل والمَثِيل، كالشِبْه والشَبَه والشبيه لفظا ومعنًى، وقد يعبّر بالمَثَل والشَبَه عن وصف الشيء؛ نحو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾،[108] وقد يستعمل المِثْل عبارة عن المشابه لغيره فى معنى من المعانى، أَىَّ معنى كان، وهو أَعمّ الأَلفاظ الموضوعة للمشابهة.[109] فالمَثَلُ عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة؛

---

[99]. مريم، 27/19.

[100]. الصف،6/61.

[101]. البقرة، 189/2.

[102]. الفرقان، 40/25.

[103]. المؤمنون، 71/23.

[104]. يونس، 24/10.

[105]. إبراهيم، 17/14.

[106]. الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 45/2، 46.

[107]. المصطفوي، حسن، ***التحقيق في كلمات القرآن الكريم***، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1430هـ، 2009م، ص، 328.

[108]. الرعد، 35/13.

[109]. الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 481/4.

ليبيّن أحدهما الآخر ويصوّره، والمِثْل عامّ في جميع ذلك؛ ولهذا لما أراد الله –تعالى– نفي التّشبيه من كلّ وجه خصّه بالذّكر،[110] فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.[111]

المراد بالإتيان بمثل القرآن: هو "الإتيان من عند أنفسهم على سبيل المعارضة والمجادلة من غير وحي من الله" –تعالى–.[112] ويقول البيضاوي (ت: 685هـ):[113] الإتيان بالمثل هو "الإتيان بِمِثْلِ هذَا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى".[114] فالإتيان بالمثل بالمعنى المراد في القرآن الكريم، الذي هو مدار البحث، فيما يظهر من كلام المفسرين والعلماء يقصد به، الإتيان بكتاب مثل القرآن في إعجازه من جميع الوجوه، كما يأتي ذلك في تفسير آيات الإتيان بالمثل..

4.1. التحدي، الإعجاز، المعجز

عندما نتناول إعجاز القرآن الكريم، لابد لنا أن نقف على معنى كل من "التحدي، والإعجاز، والمعجز" وأن نفهم علاقة تلك الكلمات، بمعنى إعجاز كلام الله تعالى، وأن نقوم بتحليلها؛ لنكون على بصيرة من المراد المقصود منها في الاستعمال الشائع، والمتداول بين أهل العلم، ومن اللازم الرجوع إلى تاريخ وأصل هذه العبارات الثلاثة؛ لكي يتضح المعنى أكثر.

هناك لفظ آخر مقترن اقتراناً، لا فكاك منه بلفظ "الإعجاز" وهو لفظ "التحدي" في قولهم: إن النبي ﷺ يتحدى أهل زمانه بما يظهر على يده من المعجزات، وهذا اللفظ مُحْدث مولّد، ليس في كتاب الله، ولا في حديث رسول الله ﷺ، ولا نجده في كلام أحد من الصحابة، أو التابعين ومن بعدهم، إلى أن ظهر بعض الظهور في كلام أهل القرن الثالث، ثم استفاض هو استفاضة غامرة ظاهرة في القرن الرابع وما بعده إلى يومنا هذا، وإن فقدان لفظ التحدي أو الإعجاز أو المعجزة

---

110. الراغب الاصفهاني، ***المفردات***، 759.

111. الشورى، 11/42.

112. المظهري، محمد ثناء الله، ***التفسير المظهري***، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، 1412 هـ، 489/5.

113. هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي صاحب أنوار التنزيل(ت: 685هـ). الأدنه وي، أحمد بن محمد، ***طبقات المفسرين***، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط: الأولى، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1417هـ– 1997م، 254/1.

114. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل– تفسير البيضاوي***، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، 266/3.

في القرآن والحديث وكلام الصحابة والتابعين ومن بعدهم –بهذا المعنى– إلى أن ظهرت بعد ذلك مقترنة أو مفردة في زمان متقارب، يوجب الفحص عن أسبق الثلاثة استعمالا؛ أهو لفظ "التحدي"؟ أم "الإعجاز والمعجزة" ؟[115] وفيما نبحث عن معاني الكلمات الثلاثة:

التحدي: إن فقدان كلمة التحدي بمعناه الاصطلاحي في كلام أهل القرنين؛ الأول، والثاني من الهجرة، هو الذي أوجب أن نقول: إنه محدث مولد، ليس من كلام صُرحاء العرب، وإن كان جاريا على بعض أساليبهم، في مجاز اللغة. وأقدم من ذكر "التحدي" بهذا المعنى المحدث، هو أبو عثمان الجاحظ [116] (150–255هـ)، ولا سيما في رسالة كتبها بعد وفاة أبي إسحاق النظام[117] سنة (231هـ)، وذكر فيها فتنة "خلق القرآن" التي تولى كبرها أصحابه من المعتزلة،[118] فمع ذلك أن لفظ التحدي لم يجر في كلامه إلا نادراً في أربعة مواضع، أولها في الصفحات الأولى من رسالته، والثلاثة الأخريات متتابعات في أواخر الرسالة، وان قلة إستعمال هذا اللفظ في كلامه مع ظهور حاجته إليه في سياق الحديث عن "حجج النبوة" دال على أن استعمال هذا اللفظ كان حديث التوليد، وإنه كان مما جرى في حديثه مع صاحبه أبي إسحاق النظام (ت: 231هـ)، أو حديث غيره من شيوخ المعتزلة، ولكن حدوثه لا يكاد يتجاوز أواخر القرن الثاني للهجرة. ولفظ "التحدي" الذي نجده منذ أواخر القرن الثالث، ثم القرن الرابع، إلى يومنا هذا مقترنا بلفظ "الإعجاز" و"المعجزة" هو: فيما استظهر، أسبق الثلاثة وجودا في لغة "المتكلمين" وهم أصحاب علم الكلام؛ كالمعتزلة وأشباههم، فالجاحظ وهو خطيب الإعتزال، وأحد رؤوس فرقة المعتزلة وأقدمهم، وأكثرهم كتبا وصلت إلى أيدينا، أتى بلفظ "التحدي" بندرة، في رسائله، وكتبه، ولم يذكر قط لفظ "الإعجاز" ولا لفظ "المعجزة" فيدل على أن لفظ التحدي أسبقهم توليدا ووضعا واستعمالا.[119]

---

[115]. أبو فهر، ***مداخل إعجاز القرآن***، 20.

[116]. هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، من أئمة الأدب العربي، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، من أهل البصرة مولدا ووفاة، 163– 255 هـ=780–869 م، وكتبه كثيرة منها: "نظم القرآن" و"آي القرآن" و"معاني القرآن" و"المسائل في القرآن". نويهض، عادل، ***معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»*** تقديم: حسن خالد، ط: الثالثة، مؤسسة نويهض، بيروت، 1409هـ، 1988م، 403/1.

[117].هو: إبراهيم بن سيّار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظّام: من أئمة المعتزلة، ولد،231 هـ– 845 م. الزركلي، ***الاعلام***، 43/1.

[118]. أبو فهر، ***مداخل اعجاز القرآن***، 23.

[119]. أبو فهر، ***مداخل اعجاز القرآن***، 23–24.

ويتساءل الباقلاني[120] بالنسبة لمسألة وجود التحدي وعدمه، ويقول: " فَإِن قَالَ قَائِل من أهل الْملَل وَغَيرهم من أَيْن يعلم أَن النَّبِي ﷺ تحدى الْعَرَب أَن تَأتي بِمثلِهِ وطالبهم بذلك؟ قيل لَهُم: يعلم ذَلِك اضطرارا من دينه، وَقَوله كَمَا نعلم وجوده وظهوره، وكما نعلم وجود القرآن نَفسه اضطرارا هَذَا على أَنه فِي نَص التِّلَاوَة.[121] من آيات التحدي في القرآن، وطلبهم الإتيان بالمثل...

اذاً فالمتكلمون هم الذين اصطلحوا على لفظ التحدي؛ لتصوير موقف مشركي العرب من رسول الله ﷺ حيث تلا عليهم القرآن، وجاهرهم؛ بأنه كلام الله يوحى به إليه، وأنه هو وحده الدليل على أنه نبي الله أرسله إليهم.[122] ومن المفيد أن ننبه هنا على أن هذا المصطلح لم يكن معروفا في عهد النبوة والصحابة والتابعين بل إنما عرف فيما بعد...

الإعجاز: يغلب على ظننا أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهرا قبل القرن الثاني الهجري، وقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء، وهو مصطلح له ما يؤيده من اللغة.[123]

وتدل الأدلة على ذلك في كتاب الله –تبارك وتعالى– فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي "الآية" من قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾.[124] فالآية والآيات هي التي عبر عنها بالمعجزات فيما بعد.[125]

الإعجاز في اللغة: مصدر من باب أفعل يفعل إفعالا، أي أعجز يعجز إعجازاً، والمعجزة مأخوذة من الإعجاز، وهو في الكلام، أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من

---

[120]. هو محمد بْن الطّيب بْن محمد بْن جعفر بْن القاسم، القاضي أبو بكر ابن الباقلاني البصري، (ت: 403 هـ) صاحب التّصانيف في علم الكلام. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ***تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام***، تح: بشار عوّاد معروف، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003 م، 63/9.

[121]. الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، ***تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل***، تح: عماد الدين أحمد حيدر، ط: الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1407هـ - 1987م، ص، 183.

[122]. أبو فهر، ***مداخل اعجاز القرآن***، 29.

[123]. عباس، فضل حسن، ***اعجاز القرآن الكريم***، مراجعة وتعليق: سناء فضل عباس، ط: الأولى، عمان، دار النفائس، 1437هـ=2016م، ص، 168.

[124]. الإسراء، 59/17.

[125]. فضل عباس، ***اعجاز القرآن المجيد***، 28.

الطرق،[126] وهو يدل على عجز الشيء عاجزا غير مقتدر ولا مستطاع، فالإعجاز في الحقيقة هي فعل الله سبحانه وتعالى، كما أنه هو المقدر؛ لأنه فاعل المقدرة في غيره، وزيادة الهاء فيها –معجزة– للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم عن المعارضة.[127] فإن حقيقة الإعجاز وهي: إثبات العجز لمن وقع عليه التحدي استلزمت إظهار هذا العجز؛ وهذا الإظهار بدوره يستلزم إظهار صدق رسول الله ﷺ وهو المقصود الأول من الإعجاز.[128]

المراد من إعجاز القرآن: ارتقاؤه فِي البلاغة إِلَى أَن يخرج عَن طوق الْبشر ويعجزهم عَن معارضته،[129] وأنه أبلغ من كل ما هو غير كلام الله تعالى حتى لا يمكن للغير الإتيان بمثله،[130] فهو إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فالإعجاز ليس مقصوداً لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق فيلزم اتباعه، وكذا الشأن في سائر معجزات الأنبياء.[131]

كلمة الإعجاز مصدر، واضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر إلى فاعله، فكأن التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، ومعنى ذلك أن هذا القرآن الكريم دل بما فيه من بيان على أنه من عند الله، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله،[132] والعَجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمقصود بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة –وهي القرآن– وعجز الأجيال بعدهم، فالمعجزة إذاً: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، والقرآن الكريم تحدى به النبي ﷺ العرب، وقد عجزوا عن معارضته مع طول باعهم في الفصاحة والبلاغة، ومثل هذا لا يكون إلا معجزًا.[133]

---

[126]. الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، ***التعريفات***، تح: جماعة من العلماء، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ –1983م، ص: 31.

[127]. العواجي، ***إعجاز القرآن الكريم عند الشيخ الإسلام ابن تيمية***، 95–96.

[128]. جبريل، محمد بن السيد رضى، ***عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم***، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، بدون تاريخ، 246.

[129]. الكفوي، ***الكليات***، ص: 149.

[130]. الأحمد نكري، ***دستور العلماء***، 1/ 97.

[131]. العواجي، ***إعجاز القرآن الكريم عند الشيخ الإسلام ابن تيمية***، 95–96.

[132]. فضل عباس، ***اعجاز القرآن المجيد***، 28.

[133]. القطان، مناع بن خليل، ***مباحث في علوم القرآن***، ط: الثالثة، مكتبة المعارف، رياض، 1421هـ– 2000، ص، 265.

وخلاصة كلام أهل اللغة في ذلك أن كلمة عجز تطلق على: الضعف تقول "عجزت عن كذا، أعجز أي ضعفت عنه، والعجوز سميت عجوزاً لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾.[134] وتطلق على: مؤخر الشيء والجمع أعجاز، وأعجاز الأمور: أواخرها، وصار العجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة.[135] قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾.[136]

أما المعجزة اصطلاحاً: هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد من يدعي النبوة عند تحدي المنكرين، على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله،[137] ومعجزة القرآن هو: كل ما يعجز الخلق عن الإتيان بمثله تصديقا لنبوته ورسالته.[138]

لم ترد كلمة "الإعجاز" في القرآن الكريم، ولا في حديث رسول الله، ولا في كلام الصحابة والتابعين! بهذا المعنى.

ولعل أول استعمال لمصطلح المعجزة أو الإعجاز، كان بعد منتصف القرن الثالث الهجري، ولقد وردت عدة صيغ، واشتقاقات لمادة العجز في القرآن؛ لكن بمعانٍ مختلفة غير ما إصطلح عليه المتكلمون، وكان مجموع ورودها ستاً وعشرين مرة بالصيغ المختلفة من الفعل الثلاثي "عَجَزَ" والفعل المضارع "نعجز" أربع مرات، وكذا بصيغة المبالغة "عجوز" مرتين، وبصيغة الجمع "أعجاز" مرتين، ومعاجزين ثلاث مرات،[139] و"معجزين" جمع كلمة "معجز" التي هي اسم فاعل من أعجز، وردت إحدى عشرة مرة، ولفظ "المعجز" وردت مرة واحدة، والخلاصة أن مادة العجز في القرآن وردت ستاً وعشرين مرة بكل صيغه.[140]

---

134. هود، 72/11.

135. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، ***دراسات في علوم القرآن***، ط: الثانية عشرة، الرياض، 1424هـ-2003م، ص، 257.

136. المائدة، 31/5.

137. الأحمد النكري، ***دستور العلماء***، 202/3.

138. زمين، محمد، ***إعجاز القرآن الكريم والقصة القرآنية المعجزة***، قسم اللغة العربية جامعة بشاور، باكستان، 1413هـ- 1992م، ص، 1.

139. مُعَاجِزِينَ: وردت في سورة الحج، الآية،51، وسبأ من آية،5 و38. ومُعْجِزِي: في سورة التوبة آية، 2 و3، ومُعْجِزِينَ: من سورتي هود،20 والنور،57 . ينظر: عبدالباقي، محمد فؤاد، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم***، دار الحديث، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364هـ، 1945م، ص، 446.

140. مخلوف، ***الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن***، 20.؛ عبدالباقي، ***المعجم المفهرس***، 446-447.

وقد وردت كلمات قرآنية قريبة من معنى المعجزة، هي: خمس كلمات، "الآية، والبينة، والبصيرة، والبرهان، والسلطان".[141]

والمراد ببيان الإعجاز هو: النظر إلى إعجاز القرآن بنظرة كلية شاملة تعالج المشكلات المتصلة بقضية الإعجاز، عندما نريد ببيان الإعجاز يلزم أن نقول: إن رسول الله ﷺ جاء بدعوة التوحيد في مجتمع نشأ على عبادة الأصنام، وراح رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الدين الجديد ويسفه ماهم عليه من الباطل، إلا أن المشركين تمسكوا بباطلهم، وكذبوا رسول الله ﷺ ولم يعترفوا بنبوته، فكشف لهم رسول الله ﷺ عن المعجزة الكبرى المصدقة له في دعواه وهي القرآن الكريم.[142]

العجز لغة: العين والجيم والزاي، تدل على أصلين، أحدهما: الضعف، والآخر: مؤخر الشيئ.[143] وهذا المعنى له صلة وثيقة بين هذا المعنى وبين القصور عن الشيئ فالتقصير ناتج عن هذا المعنى.

وعند إمعان النظر في أصل كلمة "العجز" نجد أنها تحمل معنيين متضادين، العجز والقدرة، فإعجاز النخل: أواخرها وهي أقوى جزء فيها؛ لأنها تحمل كل ما فوقها، وعندما يتحدى المتحدي الآخرين، فإنه لا يتحدى إلا الأقوياء، ومن يظنون أن بمقدورهم غلبته وتعجيزه، إذ أنه لو تحدى الضعفاء فلا فضل له ولا فخر في غلبته، بل ربما كان هذا مأخذا يؤخذ عليه.[144]

فالأمر الذي نحن بصدده من معنى العجز يظهر بأنه ليس عجزا من الخلائق عن فعل طلبوا بمثله فعجزوا، أو يتوهمون توهما أنهم لو أرادوه لعجزوا عنه، بل هو حيرة محض من جميع الخلائق، فالشرط الذي وضع لمعنى الآية من قولهم: "مدار الآية على عجز الخليقة" شرط فاسد غير دال على حقيقة "الآية" فالشرط الصحيح هو أن نقول: "مدار الآية إبلاس الخليقة" ليس غير.[145]

إن المتكلمين لما نظروا في شرط "الآية" أو "آيات الأنبياء" –المعجزات– الدالة على صدق نبوتهم والتسليم بأنه نبي لله، فرأوا أن مدار "الآية" على "عجز الخليقة" فلا تكون آية حتى تعجزهم،

---

[141]. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ***اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني***، ط: الأولى، دار البحار، عمان، 1421هـ–2000م، ص، 23–29.

[142]. سعد الدين السيد صالح، ***المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم***، ط: الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1993م، ص، 59.

[143]. ابن فارس، ***مقايس اللغة***، 232/4.

[144]. الخالدي، ***البيان في إعجاز القرآن***، 20–21 ؛ وفضل عباس، ***إعجاز القرآن المجيد***، 11.

[145]. أبو فهر، ***مداخل إعجاز القرآن***، 45–46.

جاءوا إلى القرآن الكريم الذي هو كلام الله، وآية نبيه ﷺ على صدق نبوته، فرأوا أن الله –سبحانه وتعالى– قد أبى على المشركين أن يجيبهم إلى ما طلبوه به من الإتيان بآية أخرى كآيات الأنبياء من قبله ﷺ، وما هو إلا القرآن كلام الله، أوحي إليه ليكون آية دالة على صدق نبوته ﷺ، فتورط المتكلمون في الحيرة، فخرجوا من باب "الإلهيات" ودخلوا باب "النبوات" ومعهم اليقين بأن مدار آية النبي على "عجز" الخليقة، وأنها لا تكون آية حتى تعجزهم، فوجدوا هذه "الآية" وهي القرآن كلام الله، مخالفة كل المخالفة، ومن كل وجه لجميع آيات الأنبياء من قبله ﷺ في قرب تسليم المشاهد لها، والسامع بها بأنها خارجة عن طوقه وعن طوق جميع الخلائق، حتى شهدوا على أنفسهم بالعجز عن فعلها، كآيات موسى وعصاه، وكآية عيسى في إحياء الموتى، مما لا تقدر عليه الخليقة، أو تطمع في فعل مثله فكيف يكون "كلام عربي مبين" آية على شرطهم هذا في "العجز" الذي تسلم به بديهة المعاينة وبديهة العقل وبديهة قدرة الخليقة؟ بعد ذلك فقد سلموا بأن القرآن "آية" وتمام شرطهم في الآية هو "عجز الخليقة" ثم وجدوا أن الله تعالى قد طالب العرب المكذبين بالإتيان بسورة من مثل هذا القرآن، فلم يجدوا أحداً فعله أو حاوله، فنسوا الأول "طلب المعارضة" والآخر "ترك المعارضة" ومن ثم سموا "طلب المعارضة" "تحدياً" و"ترك المعارضة" "عجزاً".[146]

بعد النظر والبحث في معانى الكلمات الثلاث: "التحدي" و"الإعجاز" و"المعجز" يجدر بنا أن نشير إلى سبب نشأة علم الإعجاز القرآني، وتأليف الكتب حول علم الإعجاز..

لو أمعنا النظر في صفحات التاريخ، لوجدنا نزاعاً كثيراً بين أهل العلم في مشكلة "خلق القرآن" حيث أنكر البعض من المتقدمين، إعجاز القرآن وأثاروا المشكلة حول موضوع خلق القرآن، إلى أن تسببوا في قتل واستشهاد جمع كثير؛ من العلماء من قبل السلطة الحاكمة، ولم تنته المشكلة حتى كثرت المناقشة والجدال فيه، فتولد منه أقوال كثيرة وآراء مختلفة، فمن هذه الأقوال إنكار إعجاز القرآن الكريم..

فكان أول ما ظهر من الكلام في القرآن، مقالة تُعزى إلى رجل يهودي يسمى "لَبيد بن الأعصم" [147] فكان يقول: إن التوراة مخلوقة، فالقرآن كذلك مخلوق[148] ثم أخذها عنه طالوت، ابن

---

146. أبو فهر، ***مداخل إعجاز القرآن***، 38– 42.

147. لبيد بن الأعصم اليهودي، وكان حليفا في بني زريق، وكان ساحرا، وسحر النبي ﷺ. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، ***الطبقات الكبرى***، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، 1990م، 152/2.

148. مسألة خلق القرآن مسئلة شائعة بين العلماء، فقد ظهر في القرن الثاني مقالات كثيرة، وكثر التأليفات حوله، ننظر: الكناني، أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون المكي، ***الحيدة والاعتذار في الرد على***

أخته وأشاعها، فقال بها بَنَان بن سمعان، الذي إليه تُنسب البنانية،[149] وتلقاها عنه الجعْد بن درهم[150] مؤدب مروان بن محمد،[151] آخر خلفاء بني أمية، وكان زنديقاً فاحش الرأي واللسان، وهو أول من صرَّح بالإنكار على القرآن والرد عليه، وجَحَدَ أشياء مما فيه، وأضاف إلى القول بخَلقه أن فصاحته غير معجزة.[152]

مر الناس على ذلك إلى أوائل المائة الثالثة، فلما فشت مقالة بعض المعتزلة؛[153] بأن فصاحة القرآن غير معجزة؛ وخيف أن يلتبس ذلك على العامة بالتقليد أو العادة، وعلى الحُشْوَة؛ من أهل الكلام الذين لا رسوخَ لهم في اللغة، ولا سَليقةَ لهم في الفصاحة، ولا عرق لهم في البيان، مسَّت الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحته ونظمه ووجهِ تأليف الكلام فيه، فصنفَ الجاحظ (ت: 255 هـ)، كتابه "نظم القرآن" وقد بسط القول في الإعجاز.[154] ولعله هو أول من تكلم على بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه "نظم القرآن"، ولم يصلنا هذا الكتاب، ولكن للجاحظ نفسه إشارات إلى هذا المصنف في كتابه "الحيوان" إذ يقول: "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها

من قال بخلق القرآن، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، ط: الثانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1423هـ/2002م. ص، 16-17.

[149]. البنانية: هم طائفة من الشيعة يقال لهم البنانية زعموا أن الله تعالى على صورة الإنسان ولهم مسائل شنيعة. الجزري، ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، ***اللباب في تهذيب الأنساب***، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.178/1.

[150]. الْجَعْد بن دِرْهَم، مؤدب مَرْوَان؛ وَلِهَذَا يُقَال لَهُ: مَرْوَان الْجَعْدِي، كَانَ الْجَعْد أول من تفوه أَن الله لَا يتَكَلَّم وَقد هرب من الشَّام، يُقَال إِن الجهم بن صَفْوَان أَخذ عَنهُ مقَالَة خلق الْقُرْآن. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ***الوافي بالوفيات***، تح: أحمد الأرناؤوط ؛ وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ، 2000م، 67/11.

[151].هو آخر خلفاء بني أمية أبو عبد الملك بن محمد بن مروان ابن الحكم ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، ***تاريخ الخلفاء***، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، 1371هـ، 1952م، ص، 254.

[152]. الجزري، ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، ***الكامل في التاريخ***، تح: عبد الله القاضي، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ،، 149/6 ؛ الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، ط: الثامنة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ، 2005م، ص، 100.

[153]. صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، ط: الرابعة والعشرون، دار العلم للملايين، بيروت، 2000م، ص، 313.

[154]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 106.

رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة".[155] وقد غض منه الباقلاني بقوله: إنه لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله؛ ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى "أي الإبانة عن وجه المعجزة" وذهب الباقلاني–رحمه الله– أن ما دعا "الجاحظ" إلى وضع كتابه في أوائل القرن الثالث، غير الذي دعاهُ هو إلى التصنيف في أواخر القرن الرابع، فلم يحاول "الجاحظ" أكثر من توكيد ومداومة القول في الفصاحة والكشف عنها على ما بقي بالابتداء في هذا المعنى، إذ كان هو الذي ابتدأ التأليف فيه ولم تكن علوم البلاغة قد وُضعت بعد.[156]

بَيدَ أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز، وبسط القول فيه على طريقة المتكلمين في التأليف، إنما هو فيما نعلم كتاب "إعجاز القرآن: لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت: 306هـ)، وهو كتاب شرحه عبد القاهر الجرجاني،[157] شرحاً كبيراً سماه "المعتضد"، وشرحاً آخر أصغر منه، ولا نظن أن الواسطي بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ؛ كما بنى عبد القاهر في "دلائل الإعجاز" على الواسطي،[158] ثم وضع أبو عيسى الرماني[159] (ت: 382 هـ)، كتابه في الإعجاز، فرفع بذلك درجة ثالثة، وجاء القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: 403هـ) فوضع كتابه المشهور "إعجاز القرآن" الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حدة.[160]

---

[155]. الجاحظ أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب، ***الحيوان***، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 3/ 42.؛ صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، ص، 313.

[156]. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، ***إعجاز القرآن***، تح: السيد أحمد صقر، ط: الخامسة، دار المعارف، قاهرة، 1997م، ص: 67.؛ الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 106.

[157]. هو: أبو بكر عبدالقاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، توفي سنة 471هـ. الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، 433/18.

[158]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 109.

[159]. هو: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني النحوي المتكلم؛ أحد الأئمة المشاهير، جمع بين علم الكلام والعربية، وله تفسير القرآن الكريم، وكانت ولادته ببغداد سنة 296هـ، وتوفى 384هـ. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تح: إحسان عباس، ط: الأولى، دار صادر، بيروت، 1994م، 299/3.

[160]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 106.

وممن ألَّفوا في الإعجاز –أيضاً– على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما: الإمام الخطابي[161] (ت: 388هـ)،[162] وفخر الدين الرازي[163](ت: 606هـ)، والأديب البليغ ابن أبي الإصبع[164] (ت: 654هـ)، والزملكاني[165] (ت: 727هـ)، وهي كتب بعضها من بعض.[166] بعد هذا العرض يمكن القول بأن علم إعجاز القرآن بلغ مبلغه، وكثرت التأليفات فيه؛ حتى صار علم الإعجاز علماً اختلف العلماء القدامى والمعاصرون فيه، وكثرت التساؤلات حوله.

5.1. عُرف العرب وألفتهم بالتحدي

إن مما كان مألوفاً ومعهوداً عند العرب قبل نزول القرآن تحدي بعضهم بعضاً في تفنن القول والشعر والخطب، واشتهروا بهذا الشأن، وبلغوا ذروة الكلام، وكانوا يتفاخرون فيما بينهم في فن البيان.، لا شك في أن العرب كانوا قد بلغوا في ذلك الحين من الفصاحة والبيان غاية كبيرة، واستقامت تعابيرهم افراداً وتركيباً، وتمت لهم أدوات الفصاحة على ما يقضى به قانون الإرتقاء والنشوء في بيئتهم، ويدل على نضج بيانهم أدب المعلقات،[167] السبع أو العشر، الذي يدل على عادتهم، ويظهر ألفتهم بالتحدي.

---

[161]. هو: أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، صاحب التصانيف، ولد سنة 310هـ،. الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، 23/17.

[162]. ففي أوائل المائة الثالثة فشت مقالة بعض المعتزلة بأن فصاحة القرآن غير معجزة، وخيف أن يلتبس ذلك على العامة بالتقليد والعادة، فمسّت الحاجة إلى بسط القول في فنون من فصاحته ونظمه ووجه تأليف الكلام فيه فصنف الجاحظ المتوفي (255هـ) كتابه "نظم القرآن" وهو فيها ارتقى إليه البحوث لبعض القول في الإعجاز..، أبو فهر، ***مداخل إعجاز القرآن***، 45–46.

[163]. هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة، (544 – 606 هـ = 1150 – 1210 م). الزركلي، ***الأعلام***، 313/6.

[164]. هو: عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد، الأديب أبو محمد ابن أبي الإصبع العدواني المصري الشاعر، عاش نيفاً وستين سنة، وتوفي بمصر في ثالث وعشرين شوال سنة، 654هـ، رحمه الله. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، 19/ 5.

[165]. هو: الشيخ عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بابن الزملكاني العالم الفاضل المفسر كمال الدين، وهو مؤلف جليل القدر والشأن، وتوفي في سنة، 651هـ،. الادنه وي، ***طبقات المفسرين***، 237/1.

[166]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 108.

[167]. الحمصي، نعيم، ***فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر***، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ– 1980م، ص، 13.

وقد كان من عادتهم أن يتحدى بعضهم بعضاً في المساجلة والمقارضة بالقَصيد والخطب، ثقةَ منهم بقوة الطبع؛ ولأن ذلك مذهب من مفاخرهم يستَعلون به، ويذيع لهم حسن الذكر وعلو الكلمة؛ وهم مجبولون عليه فطرة، ولهم فيه المواقف والمقامات في أسواقهم ومجامعهم،[168] فكانوا يعقدون لذلك الندوات، ويقومون في الأسواق العامة والمواسم السنوية بخطبهم وشعرهم، يتحدى بعضهم بعضا؛ ويتحاكمون إلى كبرائهم، حتى إنهم علقوا القصائد السبع أو العشر بباب الكعبة تحديدا لمعارضتها.[169]

ويؤكد ذلك ما ظهر قبل الإسلام من "حركة أدبية، كان مظهرها تباري الشعراء في الأسواق الأدبية والتجارية، وتفكير شعراء وخطباء، كطرفة،[170] وزهير، وقس بن ساعدة،[171] في مسائل دينية"،[172] فتحداهم القرآن في آيات كثيرة أن يأتوا بمثله أو بعضه؛ ليشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء اللدُّ، والفصحاء اللسن، وهم كانوا في العهد الذي لم يكن للغتهم خير منه ولا خير منهم في الطبع والقوة، فكانوا مَظنةَ المعارضة والقدرة عليها، حتى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن، ذو غفلة، فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله، وأنه غير معجز.[173]

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته، وأن يأتوا بمثله، أو ببعضه، وطاولهم في المعارضة، "على ما كان مشهورا عندهم ومعلوما، في عادة القوم وعرفهم، بأن يتحدى البعضُ البعضَ، بالشعر والخطب، فهذا عادتهم فيما بينهم؛ ثقة منهم بملكتهم الأدبية، وما طبعوا عليه من تدفق شاعريتهم، وذلاقة ألسنتهم".[174] ولكنهم انهزموا أمام تحديه، وأعلنوا عجزهم عن تقليده؛ لأنه يعلو وما يعلى، وما هو بقول بشر.

---

[168]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 118.

[169]. السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، ***بذل المجهود في إفحام اليهود***، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، ط: الأولى، دار القلم، بيروت، 1410هـ - 1989م، ص، 163.

[170]. هو: عمرو بن عبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، شاعر، جاهلي، من الطبقة الأولى (ت: 86 - 60 ق هـ). المرزباني، ***معجم الشعراء***، ص، 201.

[171]. هو: قس بن ساعدة الايادي أحد حكماء العرب في الجاهلية، (ت: نحو 23 ق هـ = 600 م). المرزباني، ***معجم الشعراء***، ص: 338. ؛ الزركلي، ***الأعلام***، 196/5.

[172]. الحمصي، ***فكرة إعجاز القرآن***، ص، 9-10.

[173]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 118.

[174]. بكري شيخ أمين، ***التعبير الفني في القرآن***، ط: السادسة، دار الشروق، قاهرة، 1400هـ، 147.؛ العمار، عبدالعزيز بن صالح، ***آيات التحدي في القرآن الدلالة والايحاء***، ط: الرياض، ص، 15.

ولقد كان الإعجاز القرآني خليقا أن يثير في الحياة الإسلامية مباحث على جانب عظيم من الأهمية يتصدى لها العلماء للكشف عن وجوه البلاغة القرآنية، وعن أسلوب القرآن الفذ في التصوير والتعبير، وبذل أولئك العلماء جهودا مشكورة، وقاموا بمحاولات مضنية، لإبراز البلاغة القرآنية في صورة موحية ذات ظلال، ولكنهم وقفوا غالبا عند النص الواحد، فاقتطعوه اقتطاعا من الوحدة القرآنية الكبرى، ودرسوه على حدة دراسة تحليلية جزئية ذهب بمعالم جمالها خلافهم الذي لا يتناهى حول مشكلة اللفظ والمعنى، فكانت النزعة الكلامية تفسد عليهم تذوقهم للنصوص، وإدراكهم مواطن البلاغة والإعجاز.[175]

خلاصة القول: استمر التحدي معهم مع ماهم عليها من ألفتهم له، مع عادتهم ومفاخرتهم؛ فيما بينهم في إخراجهم للعباراة القصيرة المليئة بالمعنى، وتركيبهم الجمل الجميلة في تعابيرهم على قصد المعارضة والمنازعة مع الآخرين؛ ليظهر قوة عباراتهم في أسواقهم ومجالسهم؛ وليذيع إسمهم من بين شعرائهم وفصحائهم، فلم يخرج القرآن الكريم من عاداتهم الذي إعتادوه، وألفتهم الذي ائتلفوا عليها في المعارضة والتحدي..

[175]. صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، 313.

2. الآيات التي تتضمن التحدي، وجوهها و دلالاتها

نجد في القرآن الكريم نوعين من الآيات التي يقع بها التحدي؛ وتتضمن معنى المباراة والمنازعة من خلال طلب "الإتيان بالمثل" وتتحدى المعارضين في جميع وجوه الإعجاز القرآني، بعض الآيات صرَّحت بالتحدي، والبعض الآخر أشار إليه، ويفسح المجال للمعارضين الذين لديهم فكرة المعارضة للقرآن الكريم، عموماً، والمشركين خصوصاً، ولم يدع مجالا للشبهة في التحدي والمعارضة، ولم يبق لهم سبيل الفرار من التحدي، حتى صار العلم بالتحدي ضرورياً، كما يقول الباقلاني: "فقد ثبت أنه تحداهم إليه، ولم يأتوا بمثله، وفي هذا أمران: أحدهما: التحدي إليه، والآخر: أنهم لم يأتوا له بمثل، والذي يدل على ذلك النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري، فلا يمكن جحود واحد من هذين الأمرين".[176] وقد ذكر العلماء أن الأصل في هذا هو: أن يعلم أن القرآن، الذى هو متلو محفوظ مرسوم في المصاحف، هو الذي جاء به النبي ﷺ، وأنه هو الذي تلاه على من في عصره ثلاثاً وعشرين سنة، والطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر، الذي يقع عنده العلم الضروري به.[177]

إذاً وقع التحدي بلا شك، ومع وقوع هذا التحدي فالقرآن الكريم قد صرّح في بعض الآيات بالتحدي، بالأمر بإتيان شيء من مثل القرآن، أو ما يشابهه، مع ما حاولوه من الإتيان به، فما استطاعوا..

1.2. التحدي الصريح في الآيات القرآنية

الآيات المصرِّحة بالتحدي في القرآن، قد عدَّها العلماء وذكروا أنها خمس آيات من القرآن، صرحت بالتحدي، ولا بد من دراسة هذه الآيات؛ لكى نكون على بصيرة في فهمها، ونذكر آراء المفسرين حول صراحة هذا التحدي، كما يلزمنا ذكر أسباب نزول هذه الآيات؛ ليتضح المعنى المراد، من قصد التحدي، وفيما يلي ذكر الآيات حسب ترتيب المصحف:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾*﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.[178]

---

[176]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، ص، 18.

[177]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، ص، 16.

[178]. البقرة، 2/23-24.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾*﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[179]

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾*﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[180]

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾*﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.[181]

الآية الخامسة: قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾*﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[182]

فالآيات الخمسة السابقة ذكرها هي آيات مشهورة بآيات التحدي؛ لأن فيها الدلالة الصريحة في فتح باب المعارضة وطلب الإتيان بمثل القرآن أو بجزء منه، ونذكر الآيات مع ما تدّل عليه، ونجمع بين أقوال وآراء المفسرين، ووجهة نظرهم وتفسيرهم لآيات التحدي.

1.1.2. التحدي بسورة من مثل القرآن

ورد في القرآن الكريم آيتان تحديتا العرب بتحد صريح، وطلبتا من الكفار والمشركين، أو بالأحرى المعارضين للقرآن، الإتيان بسورة من مثل القرآن، ففي الآية الاولى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾،[183] فالآيتان الكريمتان فيهما تحدٍ صريح؛ إذ طلب الله –سبحانه وتعالى– من المشركين الإتيان بسورة من مثل سور القرآن، مع تحديد الجزاء للذين يرتابون في نزول الآيات.

---

[179]. يونس، 10/37–38.

[180]. هود، 11/13–14.

[181]. الإسراء، 17/88–89.

[182]. الطور، 52/33–34.

[183]. البقرة، 2/23–24.

سبب نزول الآية: لم أجد في المصادر سبب نزول هذه الآية إلا ما روي عن ابن عباس، ومقاتل، أن اليهود قالوا: هذا الذي يأتينا به محمد لا يشبه الوحي، وإنا لفي شك منه، فنزلت هذه الآية،[184] وقد أكد الطبري بقوله: وهذا من الله –عز وجل– احتجاجٌ لنبيه محمد ﷺ على مشركي قومه من العرب ومنافقيهم، وكفار أهل الكتاب وضلالهم، الذين افتتح بقصَصهم قولَه جل ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾،[185] وإياهم يخاطب بهذه الآيات.[186]

يخاطب الله تعالى الكفار في الآية الكريمة إن كان لكم ريب مما نزلنا على عبدنا " فأتوا بسورة من مثل ما جاء به إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك"،[187] فالحجة على نبوة محمد ﷺ وهو القرآن المعجز بفصاحته، التي بذت وعلت فصاحة كل منطق وإفحامه، من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء، مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة والمضارة، وتهالكهم على المعازة،[188] والمعارة،[189] وعرف ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله كما يدعيه.[190] وهذه آية من أظهر آياته، وهي عجزكم عن الإتيان بسورة من مثل سور القرآن من رجل أمي مثل الذي جاءكم به، وإن عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله تساوي سورة في هدايتها، وتضارعها في أسلوبها وبلاغتها، وأنتم فرسان البلاغة، وعصركم أرقى عصور الفصاحة، وقد اشتهر كثيرون منكم بالسبق في هذا الميدان، ولم يكن محمد ﷺ ممن يسابقكم من قبل هذا البرهان؛ لأنه لم يؤت هذا الاستعداد بنفسه، ولم يتمرن عليه أو يتكلفه لمباراة أهله، فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن إلا بوحي إلهي، وإمداد سماوي، لم يسم عقله إلى علمه، ولا بيانه إلى أسلوبه ونظمه".[191]

---

[184]. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ***زاد المسير في علم التفسير***، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422 هـ، 43/1.

[185]. البقرة،6/2 .

[186]. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تح: أحمد محمد شاكر، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ، 2000م، 373/1.

[187]. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ***تفسير القرآن العظيم***، تح: سامي بن محمد سلامة، ط: الثانية، دار طيبة، رياض، 1420هـ، 1999 م، 198/1.

[188]. هي: شدة في الشيء وصلابة. ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***، 337/5.

[189]. من المعر: يدل على ملامسة وحص وانجراد. ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***، 336/5.

[190].البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 57/1.

[191]. رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، ***تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990 م، 159/1.

ويقول بديع الزمان،[192] فالأمر في "فأتوا" للتعجيز، وفيه التحدّي والتقريع والدعوة إلى المعارضة والتجربة ليظهر عجزهم، ولفظ "بسورة" إشارة إلى نهاية إفحام، وشدة تبكيت، وغاية إلزام.[193] فالآية الكريمة يشترط على المعارضين نفي الريب والشك في نزول القرآن الكريم وآياته؛ ومن ثم تطلب منهم الإتيان بسورة من مثل سور القرآن، وذلك على سبيل التحدي والمعارضة؛ فبالغت في التحدي وطلبت منهم الإستعانة بشهدائهم ومن على نهجهم وطريقتهم، وهذا يبين بأنكم كاذبون في دعواكم ولستم صادقين، هذا إذ ليس لكم جواب؛ حيث لا جواب لهم؛ فعليهم أن يحضروا وأن يتقوا من عذاب النار الموقدة بالناس والحجارة للجاحدين والكافرين.

أما الآية الثانية: المصرحة بالتحدي بسورة من مثل القرآن، قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾*﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾*﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.[194]

بين الباري تعالى في هذا المقام " أن إتيان محمد ﷺ بهذا القرآن ليس على سبيل الافتراء على الله تعالى، ولكنه وحي نازل عليه من عند الله، ثم إنه تعالى احتج على صحة هذا الكلام بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ وذلك يدل على أنه معجز نازل عليه من عند الله تعالى، وأنه مبرأ عن الافتراء والافتعال".[195]

فقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ معناه "بل أيقولون افتراه محمد ﷺ؟ والهمزة فيه للإنكار،﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، في البلاغة، وحسن النظم، وقوة المعنى، على وجه الافتراء، فإنكم مثلي في العربية والفصاحة وأشد تمرناً في النظم والعبارة، ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به، من دون

---

[192]. هو: الشيخ المجاهد العالم العامل بديع الزمان النورسي الكردي، وكان علماً وله مكانة في تأريخ تركيا الحديثة، ولد سعيد النورسي في قرية نورس، الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (1294هـ – 1877م)، وتوفي في الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك عام 1379هـ الموافق للثالث والعشرين من شهر آذار 1960م. عبد الله الطنطاوي "***مجلة المنار***"، العدد 63، شوال 1423هـ.

[193]. النورسي، بديع الزمان سعيد، ***إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز***، تح: إحسان قاسم الصالحي، ط: الثالثة، شركة سوزلر، استنبول، 2002، ص، 186.

[194]. يونس، 10/37–39. لم أجد للاية سبب النزول بعد البحث والرجوع الى مصادر أسباب النزول.

[195]. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، ***مفاتيح الغيب***، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ، 17/252.

الله؛ سوى الله –تعالى–؛ فإنه وحده قادر على ذلك، إن كنتم صادقين أنه اختلقه" [196]. وهم بطبيعة الحال غير صادقين في هذا التحدي.[197]

وهذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته، وبلاغته، ووجازته، وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله، الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر".[198] فالمعنى إذاً "كلَّتْ القرائح،[199] وخَمَدَتْ نيرانُ الفصاحة، واعترف كلُّ خطيب مصقعٍ بالعجز عن معارضة هذا الكتاب، فلم يتعرَّض لمعارضته إلا مَنْ افتضخ في قالته.[200]

ثم إنه تعالى لما صرح هنا في آية التحدي، "بأن هذا القرآن ما كان أن يفترى على الله، أقام البرهان القاطع على أنه من الله، فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله، ولا شك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق –واستطاعوا– على الإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين والعلم الضروري أنه من الله –جل وعلا–".[201]

ويقول الفيروزآبادي،[202] قوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾، وفى هود: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ "إن ما فى هذه السّورة تقديره: بسورة مثل سورة يونس، فالمضاف محذوف فى السّورتين، وما فى هود إشارة إلى ما تقدّمها، من أوّل الفاتحة إلى سورة هود، وهو عَشْر سُور".[203]

---

[196]. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 113/3.

[197]. الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، ***الخواطر، تفسير الشعراوي***، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997 م، 5938/10.

[198]. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 268/4.

[199]. القرائح هو: الذي لا يشوبه غيره. ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***، 82/5.

[200]. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ***لطائف الإشارات = تفسير القشيري***، تح: إبراهيم البسيوني، ط: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ. 96/2.

[201]. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، دار الفكر، بيروت، 1415هـ، 1995م، 156/2.

[202]. هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي (729 – 817 هـ = 1329 – 1415 م). الزركلي، ***الأعلام***، 146/7.

[203]. الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 241/1.

فيظهر أن في الآية الكريمة دلالة واضحة وتحدياً صريحاً، بأن الإتيان بسورة من مثل القرآن ليست من مقدور البشر، ولو قدر محمد ﷺ على الإتيان بمثل القرآن وافترائه، فإن في قدرتكم أن تأتوا بسورة من مثله، ولكنكم مع افترائكم لا تستطيعون، الإتيان بسورة من مثل القرآن ولو استعنتم بالآخرين للإتيان بسورة من مثل الفاتحة إلى أن يبلغ سورة يونس وما بعده، وهذا يدّل على كذبكم وعنادكم؛ إذاً أنتم لا تستطعون معارضة القرآن ولو تحدّاكم بسورة من أقصر سوره..

2.1.2. التحدي بعشر سور من مثل القرآن

يتحدى الله –تعالى– الكافرين في هذه الآية بأن يأتوا بعشر سور من مثل القرآن:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾*﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .[204]

سبب النّزول: روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد، إجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوّتك، فقال: لا أقدر على ذلك، فنزلت هذه الآية .[205] إن سبب نزول الآية مرتبط بالآية السابقة من قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.[206]

وروي عن ابن عباس–رضي الله تعالى عنهما–: أن كلًّا من القولين قالته طائفة، فقال: ﷺ لا أقدر على ذلك فنزلت، وقيل: القائل لكل عبد الله بن أمية المخزومي،[207] وقيل: إن مشركى مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا ولا مخالفة آبائنا همّ النبي ﷺ أن يدع سب آلهتهم ظاهرا، فأنزل الله تعالى هذه الآية .[208]

---

[204]. هود، 11/13–14.

[205]. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، ط: الثانية، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ، 12/32.

[206]. هود، 11/12.

[207]. الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تح: علي عبد الباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 6/221.

[208]. إسماعيل، حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي؛ المولى أبو الفداء، ***روح البيان***، دار الفكر، بيروت، 4/105.

يقول ابن عباس – رضي الله عنهما– في تفسير الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾؛ بل يَقُول كفار مَكَّة: ﴿افْتَرَاهُ﴾ إختلق مُحَمَّد القرآن من تِلْقَاء نَفسه، فأتا بِهِ ﴿قُلْ﴾ لَهُم يَا مُحَمَّد: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾، مثل سور القرآن مثل: سُورَة الْبَقَرَة، وَآل عمرَان، وَالنِّسَاء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وَالتَّوْبَة، وَيُونُس، وَهود،[209] وإن ما فى هذه السّورة تقديره: بسورة مثل سورة يونس، وما فى هود إشارة إلى ما تقدّمها، من أَوّل الفاتحة إلى سورة هود، وهو عَشْر سُور"[210] ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مختلفات من تِلْقَاء أَنفسكُم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ اسْتَعِينُوا بِمن عَبدْتُمْ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَن مُحَمَّد ﷺ يختلقه من تِلْقَاء نَفسه فَسَكَتُوا عَن ذَلِك.[211]

بين –تعالى– إعجاز القرآن، أنه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله؛ لأن كلام الرب لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن صفاته لا تشبه صفات المحدثات، فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوتموهم إليه، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك، وأن هذا الكلام منزل من عند الله، متضمن علمه وأمره ونهيه[212]؛ لذا قل لهم أيها الرسول بعد ما قالوا بافتراء القرآن: إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات من عند أنفسكم، لا تدعون أنها من عند الله، فإنكم أهل اللسن والبيان، والمران على المفاخرة بالفصاحة، والبلاغة وفنون الشعر والخطابة، ولم يسبق لي شيء من ذلك في هذا العمر الطويل الذي عشته بينكم، وهو أربعون سنة، فهذه الآية كالآية الثامنة والثلاثين من سورة يونس، إلا أن التحدي في تلك بسورة مثله مطلقا، وفي هذه بعشر سور مثله مفتريات.[213]

فالآية فيها أمر من الله –تعالى– لنبيه ﷺ بأن يرد عليهم بما يخرس ألسنتهم، ويكبت نفوسهم، أى: قل لهم يا محمد على سبيل التحدي؛ إن كان الأمر كما تزعمون من أنى قد افتريت هذا القرآن، فأنا واحد منكم وبشر مثلكم، فهاتوا أنتم عشر سور مختلقات من عند أنفسكم، تشبه ما جئت به في حسن النظم، وبراعة الأسلوب، وحكمة المعنى، وادعوا لمعاونتكم في بلوغ هذا

---

[209]. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي، ***تنوير المقباس من تفسير ابن عباس***، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ. ص، 182.

[210]. ينظر: الفيروز آبادي، ***بصائر ذوي التمييز***، 241/1.

[211]. الفيروز آبادي، ***تنوير المقباس من تفسير ابن عباس***، ص، 182.

[212]. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 310/4.

[213]. رضا، ***تفسير المنار***، 28/12.

الأمر كل من تتوسمون فيه المعاونة غير الله –تعالى–؛ لأنه هو –سبحانه– القادر على أن يأتى بمثله.[214]

وإن تعليل قول من قال: فقد قال في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ وقد عجزوا عنه فكيف قال: وفى هود: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾؟ فهو كرجل يقول لآخر: اعطني درهما فيعجز، فيقول: اعطني عشرة دراهم؟ الجواب: قد قيل نزلت سورة هود أولا، وأنكر المبرد هذا، وقال: بل نزلت سورة يونس أولا، وقال: معنى قوله في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ أي: مثله في الخبر عن الغيب، والأحكام، والوعد والوعيد، فعجزوا فقال لهم في سورة هود: إن عجزتم على الإتيان بسورة مثله، في الأخبار، والأحكام، والوعد والوعيد، فأتوا بعشر سور مثله، من غير خبر، ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة.[215] وهذا تدريج لهم في التحدّي وتنازل لهم من السهل إلى الأسهل.

3.1.2. تحدي الإتيان بمثل القرآن

لم يكتف القرآن الكريم بالتحدّي بالإتيان بسورة من مثل سور القرآن؛ بل بالغ في التحدّي وأمر نبيه محمداً ﷺ بأن يطلب من المعارضين التجمع مع التعاون فيما بينهم؛ لأن يأتوا بقرآن مثل هذا القرآن، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا*وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.[216]

سبب نزول الآية : عن ابن عباس: قال أتى النبي ﷺ سلام بن مِشْكم، في عامة من يهود، فقالوا: كيف نتبعك قد تركت قبلتنا؟ وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة ! فأنزل علينا كتابا نعرفه وإلا جئناك بمثل ما تأتي به فأنزل الله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

---

[214]. الطنطاوي، محمد سيد طنطاوي، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، ط: الأولى دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، 1997، 174/7.

[215]. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ***معالم التنزيل في تفسير القرآن***، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، 441/2–442.

[216]. الإسراء، 88/17–89.

وَالْجِنُّ﴾.[217] وذكر في سبب نزول الآية على رسول الله ﷺ أنه: بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره، شاهدة له على نبوّته.[218]

لمَّا تحدَّاهم رسول الله ﷺ بالقرآن وعجزوا عن معارضته أنزل الله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في نظمه وبلاغته؛ ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، مُعيناً مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعرٍ فيقيمونه،[219] فنزلَتْ هذه الآية المصرّحة بالتعجيز لجميع الخلائق،[220] وقال المفسرون: هذا تكذيب للنَّضْر بن الحارث حين قال: «لو شئنا لقلنا مثل هذا»، والمِثْل الذي طُلِبَ منهم: كلام له نظم كنظم القرآن، في أعلى طبقات البلاغة.[221]

فالمعنى: أي قل لهم متحديا: والله لئن اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله، بلاغة، وحسن معنى، وتصرفا، وأحكاما ونحو ذلك، لا يأتون بمثله وفيهم العرب الفصحاء وأرباب البيان، ولو تعاونوا وتظاهروا، فإن هذا غير ميسور لهم، فكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثيل؟[222]؛ وليكون ذلك بيانا كاشفا عن قدر هذا القرآن، وعن علوّه الذي لا ينال، وأنه روح من أمر الله، يحيى موات القلوب والنفوس، فهذا القرآن، مع أن مادته مما يصوغ منها العرب شعرهم ونثرهم، ومع أن كلماته وتراكيبه جارية على ألسنتهم، معروفة لهم، هو معجزة قاهرة متحدّية للإنس والجنّ، أبد الدهر، فمن شاء منهم، فليقف لهذه المعجزة، وليتحدّ هذا التحدي، وليدع إليه من استطاع من الإنس والجنّ، ثمّ لينظر، ماذا يكون هذا الذي استطاع هو ومن معه أن يأتوا به؟ وليعرضوه فى مقام الموازنة والمقايسة بينه وبين القرآن العظيم، ثم ليكن حكمهم فى هذا هو مقطع القول: فى إعجاز القرآن أو غير إعجازه

---

[217]. السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، ***لباب النقول في أسباب النزول***، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 126.

[218]. الطبري، ***جامع البيان***، 547/17.

[219]. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، ***الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: الأولى، دار القلم، بيروت، 1415هـ، ص، 647.

[220]. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن***، تح: الشيخ محمد علي معوض؛ والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، 496/3.

[221]. ابن الجوزي، ***زاد المسير***، 52/3.؛ ينظر: القرطبي، ***الجامع لاحكام القرآن***، 41/7.؛ والماوردي، ***النكت والعيون***، 2/ 144.

[222]. المراغي، ***تفسير المراغي***، 91/15-92.

.[223] وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ "أوثر الإظهارُ على إيراد الضميرِ الراجع إلى المِثْل المذكورِ احترازاً عن أن يُتوَّهم أن له مِثْلاً معيناً، وإيذاناً بأن المرادَ نفيُ الإتيان بمثْلٍ ما؛ أي لا يأتون بكلام مماثلٍ له فيما ذُكر من الصفات البديعةِ وفيهم العربُ العاربة أربابُ البراعةِ والبيانِ، وهو جوابٌ للقسم الذي ينبئ عنه اللامُ الموطئةُ،[224] وسادٌّ مسدَّ جزاءِ الشرطِ؛ ولولاها لكان جواباً له بغير جزمٍ؛ لكون الشرط ماضياً.[225] كما في قولِ زُهيرٍ:[226]

وَإِنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلة... يقُولُ لا غائبٌ مالي ولا حرِمُ.[227]

"إن المرادُ بالاجتماع على الإتيان بمثل القرآن مطلقَ الاتفاق، فعلى ذلك سواءٌ كان التصدِّي للمعارضة من كلِّ واحدٍ منهم على الانفراد، أو من المجموع بأن يتألّبوا على تلفيق كلامٍ واحد بتلاحق الأفكار، وتعاضد الأنظار في تحقيق ما يتوخَّوْنه من الإتيان بمثله".[228]

التحدِّي في الآية: معناه الإتيان بآية يعجز عنها المعارض، لكن من جنس ما نبغ فيه المعارض، فلا يتحدّاهم بشيء لا عِلْم لهم به، ولا خبرة لهم فيه؛ لأنه لا معنى للتحدي في هذه الحالة ولا جدوى منه.[229]

المراد بالمماثلة للقرآن: اختلف المفسرون في المراد من "الإتيان بالمثل" من هذه الآية، فقيل: مثل نظمه ورصفه، وقيل: مثل حقه وصدقه، ويحتمل مثل حججه وبراهينه، ويحتمل مثل علمه وحكمته، ويحتمل مثل إحكامه وإتقانه؛[230] بالغا فيه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والناسخ

---

[223]. الخطيب، عبد الكريم يونس، ***التفسير القرآني للقرآن***، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون طبع، 544/8.

[224]. اللام الموطئة، وتسمى: المؤذنة، وهي الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم مقدر لا على الشرط، سميت موطئة؛ لأنها وطأت الجواب للقسم أي مهدته له. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، ***مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب***، ط: الأولى، مكتبة الرشد، 1427هـ، ص، 91.

[225]. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 193/5.

[226]. هو: زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية (ت: 13 ق هـ = 609 م). الزركلي، ***الأعلام***، 52/3.

[227]. معْنى الشعر، يَقُول لَيْسَ لأحد صديق إِلَّا نَفسه فِي الْحَقِيقَة وَلَيْسَ من تَقول هُوَ خليلي خَلِيلًا لَك وَإِن كثر تملقه ولان لَك قَوْله. العكبري، محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي، ***شرح ديوان المتنبي، تح:*** مصطفى السقا؛ إبراهيم الأبياري؛ عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، 71/4.

[228]. أبو السعود، ***إرشاد العقل السليم***، 193/5-194.

[229]. الشعراوي، ***تفسير الشعراوي***، 8727/14 .

[230]. الماتريدي، أبو منصور،محمد بن محمد بن محمود، ***تأويلات أهل السنة***، تح: مجدي باسلوم، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426 هـ - 2005 م، ص، 109/7.

والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وخبر ما كان وما يكون.[231] يمكن ان نقول بالايجاز المراد بالمماثلة هي: "المماثلة في مجموع الفصاحة والبلاغة والمعاني والآداب والشرائع، وهي نواحي إعجاز القرآن اللفظي والعلمي".[232]

لما أريد هنا المماثلة بالتفصيل في جميع السور في المعاني الصادقة، والنظوم الرائقة، كما دل عليه التعبير بالقرآن، زاد في التحدي قيد الاجتماع من الثقلين، وصرف الهمم للتظاهر والتعاون والتظافر، بخلاف ما مضى في السور السابقة، فقال: –تعالى– مؤكداً باللام الموطئة للقسم لادعائهم أنهم لو شاؤوا أتوا بمثله، والجواب حينئذ للقسم، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم: ﴿لَئِنِ إِجْتَمَعَتِ الإنسُ﴾ الذين تعرفونهم وتعرفون ما أتوا من البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم، وقدمهم لسهولة اجتماعهم بهم؛ ولأنهم عندهم الأصل في البلاغة ﴿وَالْجِنُّ﴾ الذين يأتون كهانكم ويشجعونهم ويعلمونهم ببعض المغيبات عنهم.[233]

فهذا القرآن ليس ألفاظا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها، إنما هو كسائر ما يبدعه الله ليعجز المخلوقون أن يصنعوه، هو كالروح من أمر الله لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره، إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، فقط عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به.[234]

ظهر في آية الإسراء، التي تحدى الله تعالى الثقلين –الإنس والجن– بين العلماء اختلاف في شمولية التحدي الثقلين، أيشمل الإنس فقط، أم الجن، أم كليهما؟ وفيما يلى نأتي بآراء العلماء والمفسرين حول قضية مسألة الشمولية.

---

[231]. الفيروز آبادي، ***تنوير المقباس***، 241.

[232]. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ***التحرير والتنوير***، الدار التونسية، تونس، 1984هـ، 203/15.

[233]. انظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، ***نظم الدرر في تناسب الآيات والسور***، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 508/11.

[234]. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي، ***في ظلال القرآن***، ط: السابعة عشر، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ، 2249/4–2250.

ذهب البعض من المفسرين إلى أن التحدي وقع للإنس دون الجن، وذهب الزركشي،[235] إلى أن "التحدي إنما وقع للإنس دون الجن؛ لأن الجن ليسوا من أهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على أساليبه، وإنما ذكروا في قوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ تعظيما؛ لإعجازه لأن الهيئة الاجتماعية لها من القوة ما ليس للأفراد، فإذا فرض اجتماع جميع الإنس والجن وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز".[236]

وادعى ابن عاشور،[237] عدم شمولية التحدي للإنس والجن بقوله: إن "معنى الاجتماع: الإتفاق، واتحاد الرأي، أي لو تواردت عقول الإنس والجن على أن يأتي كل واحد منهم بمثل هذا القرآن لما أتوا بمثله، فهو اجتماع الرأي، لا اجتماع التعاون، كما تدل عليه المبالغة في قوله بعده: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ وذكر الجن مع الإنس لقصد التعميم؛ ولأن المتَحدِّين بإعجاز القرآن كانوا يزعمون أن الجن يقدرون على الأعمال العظيمة.[238]

ويبطل قول من قال: إن مقتضى تحدي الإنس والجن بالقرآن، ألا نعلم كونه معجزاً إلا بعد أن نعلم تعذر المعارضة على الجن، بقوله: " قد بينا أنا نعتبر في كون القرآن ناقضاً للعادات، العادة المعروفة دون ما لا نعرف من العادات" فإذا لم يكن لنا في العقل طريق إلى معرفة الجن أصلاً؛ لأنهم لا يُشاهَدون ولا تعرف أحوالهم بغير المشاهدة، فقد كفانا في معرفة كون القرآن معجزاً، خروجه عن عادة مَن تعرف عادته.[239]

وفي هذا الإطار تقول بنت الشاطئ[240]: ونفهم من معاجزة الجن، ما تواترت به المرويات من أن العرب كان الشعر يبهرها فتتصور أن لكل شاعر فحل تابِعَه من الجن يظاهره ويلهمه

---

[235]. هو: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، 745 – 794 هـ = 1344 – 1392 م، له تصانيف كثيرة في عدة فنون. الزركلي، ***الأعلام***، 60/6.

[236]. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، ***البرهان في علوم القرآن***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، 1376 هـ – 1957 م، 112/3.

[237]. هو: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين، عام 1932م، شيخا للإسلام مالكيا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة. الزركلي، ***الأعلام***، 6/ 174؛ نويهض، ***معجم المفسرين***، 542/2.

[238]. ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، 203/15.

[239]. بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن، ***الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق***، ط: الثالثة، دار المعارف، قاهرة، 72.

[240]. هي: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (1912–1998 م) مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بالأزهر الشريف. ***شاشة المؤلفين***، من مكتبة الشاملة.

روائع القصيد، وشاهده في آية التحدي من سورة الإسراء، وقد يمكن أن يقال إن الكلام خرج على ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن وما يروون لهم من الشعر ويحكون عنهم من الكلام، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم منقول عنهم، والقدر الذي نقلوه من ذلك قد تأملناه فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس، ولعله يقصر عنها.[241] يظهر من كلام بنت الشاطئ أن التحدي لا يشمل الجن..

أما العلماء الذين يقولون بأن التحدي في آية الإسراء يشمل الإنس والجن فكثيرون، يمكن أن نقول أن الجمهور يوافق على شمولية تحدي الثقلين في هذه الآية، من أبرزهم الطبري،[242] وابن كثير،[243] والآلوسي،[244] والرازي: يقول: "ليس لأحد أن يقول كيف يعقل أن يكون هذا من قول الجن؟ لأنا نقول: إن هذه الآية دلت على وقوع التحدي مع الجن، وإنما يحسن هذا التحدي لو كانوا فصحاء بلغاء، ومتى كان الأمر كذلك، كان الاحتمال المذكور قائما،[245] بدخول الجن ضمن شمولية التحدي.

ويقول الزُرقاني:[246] إن مما يدل على أن الجن داخلون في التحدي أن الله –تعالى– جعل كتابه هداية للثقلين فينتظم بها الإنس والجن في كل عصر ومصر، وفي كل زمان ومكان.[247] والآية دالة على هذه الشمولية لما يقول تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾،[248] وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان مبعوثا إلى الجن والإنس.[249] ويقول أبو

---

[241]. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن***، 70 –71.

[242]. الطبري، ***جامع البيان***، 17/ 547.

[243]. ابن كثير، ***تفسير القران العظيم***، 117/5.

[244]. هو: عبد الباقي بن محمود بن عبد الله، أبو اليمن، سعد الدين ابن شِهاب الدِّين الآلوسي: أديب عراقي حنفي، من بيت العلم في بغداد مولده ووفاته بها، ورحل إلى استنبول، وتقلد قضاء كركوك، وقضاء بتليس، وصنف كتبا كثيرة، (1250 – 1298هـ = 1834 – 1881م). الزركلي، ***الأعلام***، 3/ 272؛ الآلوسي، ***روح المعاني***، 157/8.

[245]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 406/21.

[246]. هو: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني: من علماء الأزهر بمصر. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. وتوفي بالقاهرة (1367 هـ = 1948 م). الزركلي، ***الأعلام***، 210/6.

[247]. الزُرقاني، محمد عبد العظيم، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، تح: فواز أحمد زمرلي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ، 1995م، 2/ 100.

[248]. الجن، 1/72.

[249]. القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ***الجامع لأحكام القرآن***، تح: أحمد البردوني؛ وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ – 1964 م، 217/16.

سعود العمادي:[250] "وتخصيصُ الثقلين بالذكر؛ لأن المنكِرَ لكونه من عند الله –تعالى– منهما لا من غيرهما؛ لا لأن غيرَهما قادرٌ على المعارضة".[251] وشرح أبو حيان،[252] سبب ذكر الإنس والجن في التحدي بقوله: إن الجن تفعل أفعالا مستغربة، كما حكى الله عنهم في قصة سليمان – عليه السلام– أدرجوا مع الإنس في التعجيز؛ ليكون ذلك أبلغ في العجز، ويحتمل أن يكون ذكر الجن هنا؛ لأنه ﷺ بعث إلى الإنس والجن فوقع التعجيز للثقلين معا لذلك.[253]

ويمكن ان نقول إن ذكر الانس والجن دون الملائكة؛ إشارة إلى أن من شأن الثقلين أن يجتمعوا على المحال، بخلاف الملائكة إذ ليس من شأنهم ذلك.[254] والبيضاوي يعلل لعدم شمولية الملائكة الكرام، وخروجهم عن هذا التحدي بقوله: "ولعله لم يذكر الملائكة في آيات التحدي؛ لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا؛ ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه".[255]

ويبدو أن بعض المفسرين لا يقرّوا بأن التحدّي شامل الثقلين، وإنما التحدّي خاص بالإنس دون الجن، وإن أغلبهم يقرّون بشمولية التحدي للجنسين – الإنس والجن– مع عدم تطرق الكثير من المفسرين إلى هذا الموضوع، ويرجح الباحث ما ذهب إليه أغلب المفسرين؛ لصراحة آية التحدي باجتماع الجن مع الإنس في الإتيان بالمثل، فالجن داخلون في التحدي والإتيان بمثل القرآن؛ لأنهم من الذين كلفوا بالإيمان بالنبي ﷺ كما آمن به البعض من الجن حينما سمعوا القرآن.

---

[250]. هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، أبو السعود، فقيه، اصولي، مفسر، شاعر، عارف باللغات العربية والفارسية والتركية، من موالي الروم، ولد (898 – 982 هـ) بقرية بالقرب من القسطنطينية، وتوفي بالقسطنطينية في 5 جمادى الأولى، (1493 – 1574 م). كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق، ***معجم المؤلفين***، مكتبة المثنى، بيروت، 301/11.

[251]. أبو السعود، ***إرشاد العقل السليم***، 193/5.

[252]. هو: محمد بن يوسف بن علي ين يوسف ابن حيان الغرناطي الجياني: النفزي، أثير الدين، أبو حيان، نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، توفي بالقاهرة (754هـ) بعد أن كف بصره. نويهض، ***معجم المفسرين***، 655/2.

[253]. أبو حيان، أثير الدين الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، ***البحر المحيط في التفسير***، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ، 108/7.

[254]. إسماعيل حقي، ***روح البيان***، 200/5.

[255]. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 266/3.

4.1.2. تحدي الإتيان بحديث مثله

بعدما تحدى الله تعالى في القرآن الكريم بكل من الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور، و بسورة من مثله، فعجزوا فما استطاعوا ولا استطاعوا، تحدّاهم مرة أخرى بأن يأتوا بحديث من مثل القرآن، بعد قولهم بافتراء القرآن، ليكون ردّاً للكفار المعارضين، فأنزل الله –تعالى– الآية في سورة الطور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾*﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[256]

فقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون، تقوّل محمد هذا القرآن وتخلَّقه، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي كذبوا فيما قالوا من ذلك، بل لا يؤمنون فيصدّقوا بالحقّ الذي جاءهم من عند ربهم.[257]

فالآية لها علاقة بالآيات السابقة، ولها إتصال تام بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾،[258] وتقديره، أتقولون كاهن، أم تقولون شاعر، وتقولون أم تَقَوَّله؟ ثم قال: لبطلان جميع الأقسام، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ الفاء للتعقيب، أي إذا كان كذلك –فيما أنهم يقولون– فيجب عليهم أن يأتوا بمثل ما أتى به؛ ليصح كلامهم ويبطل كلامه،[259] فالإتيان هنا وإن خرج مخرج الأمر في الظاهر، فهو في الحقيقة ليس بأمر؛ لأنه لا يحتمل أن يأمرهم؛ أن يأتوا بالكذب والافتراء، بل هذا يخرج على وجهين: أحدهما: على الإعجاز عن أن يأتوا بمثله، والثاني: على التوبيخ والتوعيد على ما قالوا على رسول الله ﷺ من الافتراء والتقول.[260] وإن كان محمد شاعرا ففيكم الشعراء البلغاء والكهنة الأذكياء، ومن يرتجل الخطب والقصائد، ويقص القصص، ولا يختلق الناقص والزائد، فليأتوا بمثل ما أتى به.[261] ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في زعمهم؛ إذ فيهم كثير ممن عدّوا فصحاء فهو رد للأقوال المذكورة في التحدي، ويجوز أن يكون ردا للتقول فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد،[262] وأنه راجع إلى ما سبق من أنه كاهن وأنه مجنون، وأنه شاعر، وأنه متقول، ولو كانوا صادقين في شيء من ذلك لهان عليهم الإتيان بمثل القرآن، ولما امتنع، كذبوا في الكل.[263] فالمقصود هنا مطلق التعجيز، للمكذبين لا بقيد الاجتماع كما في سورة الإسراء؛ لأن نزول هذه

---

[256]. الطور، 52/33–34.

[257]. الطبري، ***جامع البيان***، 22/481.

[258]. الطور، 52/30.

[259]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 28/214.

[260]. الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، 9/409.

[261]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 28/214.

[262]. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 5/155.

[263]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 28/215.

من أوائل ما نزل، تحداهم بالإتيان بالمثل في التنجيم والتطبيق على الوقائع سوراً أو آيات أو دون ذلك، تحدث وتتجدد شيئاً في أثر شيء، بما أشار إليه التعبير بالحدوث؛ ولذلك أعراه عن تظاهرهم بالإجتماع ودعاء المستطاع؛ ولكونهم كاذبين في جزمهم بنسبته إلى التقول وغيره، أشار إلى ذلك بقوله مقرعاً لهم إلهاباً إلى الخوض في المعارضة.[264]

وقد علم من هذا =ومما تقدم من نحوه –من الآيات– مفرقاً في السور التي فيها مثله= أن المتحدى به في كل سورة غير المتحدى به في الأخرى، فالتحدي الواقع في كل واحد من سور القرآن الكريم قد ورد في مقامه، وحاله التي يحتاج إلى التحدي.

5.1.2. مناسبة التحدي لزمن النزول

مما يجب أن يُعلم أن الله –تعالى– قد أيد جميع رسله، وأعطى كل نبي من أنبيائه – عليهم الصلاة والسلام– المعجزات المناسبة لمن أرسلوا إليهم، ومن عاشوا في زمنهم، وملائمة مع عصروهم، بحيث إن تلك المعجزات تساند دعواتهم، وتتوافق مع براعاتهم، فأعطى موسى –عليه السلام– عصاً تلقفت ما صنع السحرة؛ لانتشار السحر عند قوم فرعون، وأعطى عيسى –عليه السلام– إبراء الأكمه والأبرص وإحيائه الموتى؛ لانتشار الطب عندهم، وقد أيَّد الله نبيه محمداً ﷺ بمعجزة القرآن الباهرة الخالدة، الذي بلغ الذروة العليا من البلاغة، والغاية القصوى من الفصاحة؛ ليكون هذا القرآن متحدِّياً يتحدّى به النبي ﷺ المعارضين؛ لأنه زمن اشتهر بعصر البلاغة والفصاحة، حيث بلغ العرب غاية البراعة في الكلام، وأعلى طبقات الفصاحة، وأبين لهجات البيان، فهم الطلقاء اللسن، والمبرزون لميدان الشعر والنثر، فحيّرهم القرآن، وتحداهم بالإتيان بمثله، بما يبدعونه من البراعة والفصاحة..

فالمعروف في تاريخ الأديان، وفي نصوص الكتب المقدسة، أن كل نبي كان يحمل بين يديه إلى قومه آية صدقه، في معجزة يلقاهم بها، متحديا، على صورة لم يسبقه إليها أحد من قبل، ولم ينكشف للناس شئ من وجهها، قبل أن تطلع عليهم، قاهرة متحدية،[265] وأن هذه الآيات تكون تصديقا لهم في دعواهم، فوجه دلالات الآيات على ذلك هو ما فيها من أمر خارق للعادة، وما فيها من تحدٍّ، وعَجزُ المنكرين عن نقضِها ومعارضتها.[266]

---

[264]. البقاعي، ***نظم الدرر***، 25/19.

[265]. الخطيب، عبد الكريم يونس، ***الإعجاز في دراسات السابقين***، ط: الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م، 88.

[266]. الخالدي، ***إعجاز القرآن البياني***، 31.

كان من تدبير الحكيم العليم وتقديره أن تقع معجزات الرسل موقعها المناسب لها، كي تطلع الثمر المرجوَّ منها، فيصيب الناس من ذلك الثمر على قدر نفوسهم من استعداد للالتقاء بهذا الخير، والإفادة منه، فعلى هذا التدبير جاءت معجزة الرسول الكريم ﷺ فكانت على أفق الحياة التي تمتد إليها أنظار الأمة العربية، وتتفتح لها القلوب، وتنتعش بها النفوس.[267] فالأمة العربية في زمن النزول قد تورطوا في الكلمات، وتعمقوا في العبارات، وتشاجروا في رصف العبارات، وتوغلوا في النثر والشعر، ودققوا في استعمال الألفاظ والكلمات، والذي كان ينظر إلى مجرى الحياة العربية قبيل البعثة النبوية –قبل زمن النزول– يرى أن أوضح ظاهرة في حياة هذه الأمة، وأقوى قوة عاملة فيها، هي "الكلمة"، فكانوا يتفاخرون باللسن والذلاقة والفصاحة والذرابة، ويتنافرون فيه، وتجري بينهم فيه الأسباب المنقولة في الآثار، على ما لا يخفى على أهله.[268] ونرى الجاحظ، يدعي للعرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة، ويقول: "إذا ادعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة، من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق، من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك، إلا في اليسير والشيء القليل". كما يؤيده عبد القاهر الجرجاني، بقوله: " والأمرُ في ذلك أظْهَرُ مِنْ أن يَخْفى، أو أن ينكره إلا جاهل أو معاند."[269] فالكلمة في حياة الأمة العربية هي تاريخ أمة بأسرها، هي عقلها المفكر، وقلبها النابض، وهي مشاعرها المتدفقة وخيالها المنطلق، هي كل شئ عندها، فما عرفت الحياة أمة مثل الأمة العربية تهتم بالكلمة، منذ جاهليتها إلى أن طلع عليها الإسلام، ونزل عليها القرآن.[270]

وقد جاء نزول القرآن وتحديه لهم في وقت قد أدرك العرب أهمية الكلمة، وبلغوا المنزلة الرفيعة في الفصاحة والبلاغة، لذا رأينا القاضي عياض،[271] يصف العرب في زمن النزول قائلاً: "كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم

---

267. الخطيب، ***الإعجاز في دراسات السابقين***، 103–107.

268. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 64.

269. عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، ***الرسالة الشافية***، تح: محمد خلف الله ؛ محمد زغلول سلام، ط: الثالثة، دار المعارف، قاهرة، 1976م، ص، 118.

270. الخطيب، ***الإعجاز في دراسات السابقين***، 108.

271. هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، (476–544 هـ =1083–1149 م). الزركلي، ***الأعلام***، 99/5.

من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، ومن فصل الخطاب ما يقيد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات، وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويمدحون ويقدحون، ويتوسلون ويتوصلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط –الخيط– اللآل، فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب، ويذهبون الإحن –الأحقاد– ويهيجون الدمن– يندبون الأطلال وسكانها، فيهيجون الأشواق بذكرها–، ويصيرون الناقص كاملا..."[272] وإن ما كان عليه العرب وقتئذ بهذه الحالة يكون أكبر دليل على إعجاز القرآن، بتحديه هؤلاء الفصحاء وأرباب اللسان، ووقوفهم هكذا مشلولى الأيدي، عاجزين أمام التحدي القرآني...

6.1.2. تحدى القرآن للعرب والعجم، واستمراريته

إن الله تعالى نزّل القرآن وجعله منهجا للبشرية، وهداية لكافة الناس، بما أنه خاتم الكتب السماوية، وأنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين، فيكون تحدّيه مستمراً إلى أن يرث الأرض ومن عليها، لخِتام الإنسانية، من العرب والعجم، وإن العلماء من القدامى والمعاصرين، قد تكلموا حول حدود تحدّي القرآن وشموليته، فمنهم من يرى بأن التحدّي عام ومستمر، ومنهم من يرى بأنه خاص بالعرب الفصحاء لزمن النزول؛ وليس بمستمر، وفيما يأتي نناقش هذه المسألة بذكر آرائهم واستدلالاتهم.

فالسؤال الموجه هو: هل كان التحدي موجهاً إلى العرب في عصر النبوة، أو أنه أبديٌ قائم على امتداد الزمان؟!

ذهب فريق ممن كتبوا في الإعجاز إلى "اختصاص أهل العصر الأول بالتحدي" وذهب آخرون إلى أنه "تحدٍ لسائر الناس على مر العصور والأجيال" وتردد بعضهم بين بين؛ ذهبوا مرة إلى القول الأول، ثم انساقوا إلى القول الثاني من حيث يدرون أو لا يدرون.[273]

---

[272]. قاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون السبتي اليحصبي، ***الشفا بتعريف حقوق المصطفى***، ط: الثانية، دار الفيحاء، عمان، 1407هـ، 1/500 –501.

[273]. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن***، 74.

ذهب الرماني، إلى القول بأن التحدي قد وقع لكافة الناس، ويقول: "وأما التحدي للكافة فهو أظهر في أنهم لا يجوز أن يتركوا المعارضة مع توفر الدواعي إلا للعجز عنها."[274]

ويتسائل الباقلاني، في كتابه إعجاز القرآن، بقوله: "قيل إنما احتيج إلى التحدي؟ لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان على الكافة لأن المعجزة إذا ظهرت فإنما تكون حجة بأن يدعيها من ظهرت عليه، ولا تظهر على مدع لها إلا وهي معلومة أنها من عند الله، فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي؛ لأنه تزول بذلك الشبهة عن الكل، وينكشف للجميع أن العجز واقع عن المعارضة"،[275]

القول بعموم التحدي يفهم من الآيات القرآنية من قوله تعالى: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[276] وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،[277] فالتحدي شامل لكل ما يمتد عليه من دون الله من الراغبين في المعارضة، ولهم أن يستعينوا بما شاءوا من مخترعات ولو كانت العقول الألكترونية، ومن قصر التحدّي على العرب، وجعل عجزهم دليلا تفصيلياً على عجز العالمين عن المعارضة، فإنه لا يستند إلى النص القرآني الصريح الموجه إلى العالمين جميعا، كما أنه يتناقض مع عموم الرسالة الذي يقتضي عموم التحدي.[278]

ومن المعقول أن نقول: إن عجز العرب عن الإتيان بالمثل، زمن النزول، مع ماهم عليه من البلاغة والفصاحة، فعجز الغير من كافة الناس أولى من الإتيان به، كما يشير الباقلاني بقوله: "إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله، فمن بعدَهم أعجز؛ لأن فصاحة أولئك في وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول، مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم، وأحسن أحوالهم أن يقاربوهم أو يساووهم، فإما أن يتقدموهم أو يسبقوهم، فلا، وإنا قد علمنا عجز سائر أهل الإعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول، والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد؛ لأن التحدي في الكل على جهة واحدة، والتنافس في الطباع على حد واحد، والتكليف

---

[274]. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، المعتزلي، ***النكت في إعجاز القرآن***، تح: محمد خلف الله ؛ محمد زغلول سلام، ط: الثالثة، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " سلسلة: ذخائر العرب، 16" دار المعارف، قاهرة، 1976م، ص، 109-110.

[275]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 24.

[276].البقرة، 23/1.

[277].هود، 13/9؛ يونس، 38/10.

[278]. ينظر: الصائغ، ناصر بن محمد بن صالح، " ***آيات التحدي بالقرآن الكريم جمعا ودراسة***" مجلة الدراسات القرآنية، العدد الخامس، الجمعية العلمية السعودية، 1430هـ- 2009م، ص، 137.

على منهاج لا يختلف."[279] ولذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾،[280] ومن ثَم أكّده بقوله: ﴿وَلَنْ تَفعَلُوا﴾ التي تفيد النفي المستقبل.

وذهب عبد القاهر الجرجاني، إلى أنه لا يصح قول من قال: "إنه يجوز أن يقدر الواحد من الناس من بعد انقضاء زمن النبي ﷺ، ومضى وقت التحدي، على أن يأتي بما يشبه القرآن ويكون مثله؛ لأن ذلك لا يخرج عن أن يكون قد كان معجزًا في زمان النبي ﷺ وحين تحدى العرب إليه"،[281] ويتفق الباقلاني مع ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " إنه لا دليل لجعل عجز التحدي والمعارضة خاصة بزمن أو عصر دون عصر آخر" ويقول: " أما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة، عمَّت الثقلين، وبقيت بقاء العصرين، ولزوم الحجة بها في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد، وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وجه دلالته، فيغني ذلك عن نظر مجدد في عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله، وكذلك قد يغني عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله، عن النظر في حال أهل العصر الأول، وإنما ذكرنا هذا، لما حكي عن بعضهم أنه زعم أنه وإن كان قد عجز عنه أهل العصر الأول، فليس أهل هذا العصر بعاجزين عنه، ويكفي عجز أهل العصر الأول في الدلالة، لانهم خصوا بالتحدى دون غيرهم."[282]

ويردّ الباقلاني على تخصيص التحدي بعصر دون عصر، ويقول: "ليس القرآن وإعجازه على ذلك، فإن أهل العصر الأول لم يخصوا بالتحدى دون غيرهم؛ وذلك لأن القرآن معجزة باقية على الزمن، فالتحدي باق معها على الزمن، فهو تحد لأهل كل عصر، كما كان لأهل العصر الأول، وقد حبا الله هذا الرسول العربي الكريم بالرسالة"،[283] مؤيدا بدلالة على الأيام باقية، وعلى الدهور والأزمان ثابتة، وعلى مر الشهور والسنين دائمة، يزداد ضياؤها على كرِّ الدهور إشراقا، وعلى مر الليالى والأيام ائتلاقا".[284]

---

[279]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 250.

[280]. الإسراء، 88/17.

[281]. عبد القاهر الجرجاني، ***الرسالة الشافية***، 156.

[282]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 8.

[283]. ينظر: الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 8.

[284]. الطبري، ***جامع البيان***، 4/1.

إن تحدي القرآن للناس بأن يأتوا بمثله، لم يقتصر على العرب دون العجم، ولا على عصر دون آخر؛ لأن الإعجاز القرآني لا يقوم على البلاغة وحدها، بل يقوم على مضمون القرآن كلّه وشكله وما يكتشف على مرور الزمن من معانيه ومراميه.[285]

فنخلص من هذا أن تحدّى القرآن للمعاندين قام في عصر النبوة، ومستمر إلى يوم القيامة، وأنَّ عجز الناس أمام هذا التحدي –أيضا– ثبت من لدن عصر البلاغة الأول إلى يوم القيامة – أيضا– وحفظ القرآن ونصوصه الدالة على التحدي والعجز معاً ثابت ومتواتر ونصوص محفوظة، برعاية الله لكل آيات القرآن، فالإعجاز في القرآن واقع في كل عصر، والتحدى بها لازم لأهل كل زمان.

7.1.2. اختلاف أهل العلم في لفظة "مثله"

الآيات التي وردت فيها لفظة "مثله" من آيات التحدّي، قد اختلف العلماء في إرجاع ضميرها، هل يرجع إلى النبي ﷺ؟ أو يرجع إلى القرآن؟ أو أنه راجع إلى غيرهما، وفيما يلى عرض لآراء المفسرين ونقوم بتحليل آرائهم.

فمعظم آيات التحدي وردت فيها لفظة "مثله" وقد ذكر المفسرون ثلاثة أقوال:

القول الأول: رجوع الضمير إلى القرآن،[286] القول الثاني: رجوعه إلى النبي ﷺ،[287] القول الثالث: رجوعه إلى التوراة، والإنجيل، وأشار الكرماني إلى الآراء الثلاثة بقوله: الهاء في قوله ﴿من مثله﴾ تعود إلى ﴿ما﴾ وهو القرآن، وذهب بعضهم إلى أنه يعود على محمد ﷺ أي فأتوا بسورة من إنسان مثله، وقيل: يعود إلى الأنداد وهو ضعيف؛ لأن الأنداد جماعة، والهاء للفرد،

---

[285]. الحمصي، ***فكرة إعجاز القرآن***، ص، 166.

[286]. ونقل ابن الجوزي، قولين في عود الضمير ويقول: وفي هاء ﴿مثله﴾ قولان: أحدهما: أنها تعود على القرآن المنزّل، قاله قتادة والفرّاء ومقاتل، والثاني: أنها تعود على النبيّ ﷺ، فيكون التقدير: فأتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي، ذكره أبو عبيدة والزجاج وابن القاسم، فعلى هذا القول: تكون ﴿من﴾ لابتداء الغاية، وعلى الأول: تكون زائدة. ابن الجوزي، ***زاد المسير***، 44/1.

[287]. ويقول ابن كثير قوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعني: من مثل هذا القرآن؛ قاله مجاهد، وقتادة، واختاره ابن جرير، بدليل قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ وقال بعضهم: من مثل محمد ﷺ، يعني: من رجل أمي مثله، والصحيح الأول؛ لأن التحدي عام لهم كلهم، مع أنهم أفصح الأمم. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 199/1.

وقيل: مثله التوراة، والهاء تعود إلى القرآن والمعنى فأتو بسورة من التوراة التي هي مثل القرآن ليعلموا وفاقهما، وهو خطاب لليهود.[288]

قد أورد الطبري في تفسيره هذا الاختلاف في رجوع الضمير من "مثله" تفصيلا كاملا على سبيل التعليل بآراء المفسرين بقوله: ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِثْلِهِ﴾ فمنهم من قال: برجوعه إلى القرآن، ومنهم من قال: برجوعه إلى النبي ﷺ ثم يقول: والتأويل الأول، الذي قاله مجاهد وقتادة، هو التأويل الصحيح؛[289] لأن الله –جَل ثناؤه– قال في سُورة أخرى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾،[290] ومعلومٌ أنّ السورة ليست لمحمد بنظير ولا شبيه، فيجوزَ أنْ يقال: فأتُوا بسورة مثل محمد.[291]

ويقول الزمخشري:[292] "في ردّ الضمير إلى المنزل أوجه لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِثْلِهِ﴾ وقوله: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾،[293] ﴿عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾؛ ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب، والكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا، وذلك أن الحديث في المُنَزِلِ لا في المُنَزَل عليه، وهو مسوق إليه ومربوط به، فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير إلى غيره..، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله ﷺ أن يقال: وإن إرتبتم في أن محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله؛ ولأنهم إذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم: ليأتى واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد؛ ولأن هذا التفسير هو الملائم"[294] لقوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾. فالتحدي اللائق أن نقول برجوع الضمير إلى القرآن.

وقال أبو حيان: وفي المثلية على كون الضمير عائداً على المنَزَل عليه أقوال:

---

[288]. الكرماني، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر، ***أسرار التكرار في القرآن***، المسمى – ***البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان***–، تح: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة، 69–70.

[289]. الطبري، ***جامع البيان***، 373/1.

[290]. يونس، 38/10.

[291]. الطبري، ***جامع البيان***، 374/1.

[292]. هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، ولد في زمخشر من قرى خوارزم، (467–538 هـ=1075–1144 م) إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير.، نويهض، ***معجم المفسرين***، 666/2.

[293]. هود، 13/9.

[294]. الزمخشري، ***الكشاف***، 129/1.

الأول: "من مثله من أمي لا يحسن الكتابة على الفطرة الأصلية"، الثاني: "من مثله لم يدارس العلماء، ولم يجالس الحكماء، ولم يؤثر عنه قبل ذلك تعاطي الأخبار، ولم يرحل من بلده إلى غيره من الأمصار"، الثالث: "من مثله على زعمكم أنه ساحر شاعر مجنون"، الرابع: "من مثله من أبناء جنسه وأهل مدرته"، إذا كان الضمير عائداً على المنزل وعلى بعضها لا يكون على سبيل الفرض، وهو على قول من فسر أنه أراد بالمثل: كلام العرب الذي هو من جنسه، وأما إذا كان عائداً على المنزل عليه فليس على سبيل الفرض؛ لوجود أمي لا يحسن الكتابة؛ ولوجود من لم يدارس العلماء؛ ولوجود من هو ساحر على زعمهم ذلك في المنزل عليه.[295]

ويعلل الرازي، رجوع الضمير على المنزل عليه بقوله: لم قال في سورة البقرة ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ وقال هاهنا: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾؟ والجواب: "أن محمدا ﷺ كان رجلا أميا، لم يتتلمذ لأحد ولم يطالع كتابا" فقال في سورة البقرة: ﴿فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ يعني: فليأت إنسان يساوي محمدا ﷺ في عدم التلمذ وعدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي هذه السورة،[296] ورجح ايضا محمد عبده،[297] رجوع الضمير إلى ﴿عبدنا﴾ في آية البقرة، بِدَلِيلِ "مِنْ" الدَّاخِلَةِ عَلَى "مِثْلِهِ" الدَّالَّةِ عَلَى النُّشُوءِ، وترجيحه كون الضمير في مثاله، للنبي ﷺ خاص بهذه الآية من سورة البقرة.[298]

والراجح هو عود الضمير إلى القرآن، وهو قول أكثر المفسرين، كما ذهب إليه جمهور العلماء، وصوّبه ابن كثير، وابن جرير الطبري، والزمخشري، والرازي، وهو إختيار عمر، وابن مسعود، وابن عباس، والحسن البصري –رضي الله عنهم– وأكثر المحققين؛[299] لأن الأدلة التي إستدلوا بها في عود الضمير إلى القرآن أقوى من رجوعه إلى كلمة "العبد" المقصود به النبي α وإن سياق الآية الكريمة يفهم منه عود الضمير إلى المنزَلِ لا المنزل عليه.

---

[295]. أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 169/1.

[296]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 254/17.

[297]. هو: محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: من مؤسسي النهضة المصرية الحديثة، وكبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، ومفتي الديار المصرية. ولد بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية، 1266 – 1323 هـ، تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، وله مصنفات كثيرة، أشهرها محاضرات تفسير المنار الذي جمعه محمد رشيد رضا، ودفن في القاهرة، 1905 م، نويهض، ***معجم المفسرين***، 566/2.

[298]. رضا، ***تفسير المنار***، 160/1.

[299]. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 199/1.؛ أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 1/ 169؛ الخالدي، ***إعجاز القرآن البياني***، 59–60.

2.2. التحدي الضمني في آي القرآن، وتحقق وقوعه

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير فيها إلى التحدي الضمني، فيفهم من سياق بعض الآيات ضمنياً إشارات إلى التحدي، وقد استدل بها العلماء في ذكرهم للتحدي في كثير من كتبهم، فتتضمن الآيات معنى التحدي المشار إليه، وإن لم ترد بلفظ التحدي.

جاء في القرآن الكريم آيات مما تشير إلى التحدي، من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[300] وقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[301] وقوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.[302] وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.[303] ونظائر هذه الآيات كثيرة مما يحرك الطبع، وتقوى الداعي إلى المعارضة.[304]

وكذا توجد آيات أخرى فيها إشارات إلى التحدي الضمني، "فلقد جاء الإعجاز القرآني متحدياً لكل أصحاب العقائد والفلسفات الخارجة عن العبودية لله الواحد، في عصر نزوله، وعلى امتداد الزمان، كما أن التحدي دائم للخارجين عن حظيرة الإسلام؛ ولذا فإن آيات التحدي، قد انتشرت في سور القرآن الكريم"[305] منها:

قوله تعالى: ﴿الم﴾*﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾،[306] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾*﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾،[307] وكذا قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾*﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾،[308] وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾*﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾*﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾*﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ

---

[300]. العنكبوت، 51/29.

[301]. هود، 1/11.

[302]. إبراهيم، 1/14.

[303]. الحشر، 21/59.

[304]. ينظر: الدوري، قحطان عبد الرحمن، ***التحدي في آيات الاعجاز***، مؤسسة الرسالة، دار البشير، عمان، 1966م، 34.

[305]. عمارة، محمد، ***القرآن يتحدى***، ط: الأولى، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، 1430هـ-2009م، 15.

[306]. البقرة، 1/1-2.

[307]. فصلت، 41/41-42.

[308]. البروج، 21/85-22 .

الْعَالَمِينَ﴾،[309] وكذا﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾،[310] وكذا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[311] هكذا تناثرت عشرات آيات التحدي في سور القرآن الكريم، معلنة استحالة محاكاة هذا الكتاب؛ لأنه تنزيل من لدن حكيم حميد.[312] فكل آية من القرآن تثير العجز وتعلن المعارضة، وتفتح مجال المحاكاة في الرد على القرآن، أو إبطال شيء منه، فهو إشارة إلى التحدّي الضمني.

1.2.2. الحروف المقطعة والتحدي

تبدأ بعض سور القرآن الكريم بالحروف الهجائية، وقد سُميت هذه الأحرف بـ"الحروف المقطعة"، ومن المعلوم أن لهذه الحروف دلالات كثيرة على الإعجاز، ومن وراء هؤلاء الرموز أسرار ثمينة دقيقة، قد تكلم فيها المفسرون بأقوال كثيرة وجائوا بتفاسير عجيبة، حيث عدّ البعض هذه الآيات من آيات التحدي، وقد جاءت فواتح بعض السور مبتدأة بحروف التهجي، تارة مفتتحة بحرف واحد، وتارة مفتتحة بحرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة.

فالسور التي بدأت بحرف واحد، ثلاث: وهي سورة ﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿ن﴾، والسور التي بدأت بحرفين تسع وهي: سورة ﴿طه﴾، و﴿يس﴾، والنمل ب﴿طس﴾ و كل من سورة غافر، وفصلت، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف بـ﴿حم﴾، في ست سور، والسور التي بدأت بثلاثه أحرف: ثلاث عشرة سورة وهي: ﴿الم﴾ في ست سور: البقرة، وآل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة. و﴿الر﴾ في خمس سور هي: يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، و﴿طسم﴾ في سورتين هما: الشعراء، القصص، وهناك سورتان بدأتا بأربعة أحرف وهما: الرعد، ﴿المر﴾ والأعراف ﴿المص﴾ وسورتان –أيضاً– بدأتا بخمسة أحرف وهما: مريم ﴿كهيعص﴾ والشورى﴿حم﴾ ﴿عسق﴾.

وإن إفتتاح الكلام بالأحرف الهجائية المقطعة بهذا الأسلوب، لم يكن معروفا عند العرب، ولم يألفوه من قبل، وإنما كان أسلوباً جديداً.[313] وقد قال أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–: " في

---

[309]. الواقعة، 56/77–80 .

[310]. محمد، 47/24.

[311]. النساء، 4/82 .

[312]. عمارة، ***القرآن يتحدى***، 15–16.

[313]. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، و***وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور***، ط: الأولى، مكتبة التوبة، السعودية، 1417هـ–1997م، ص، 10.

كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور" كما قال علي –رضي الله عنه–: " إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي".[314] فإن قيل: فقد علموا أنها حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟ فالجواب: إنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فاذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمّد [315].

القول بأن هذه الأحرف المقطعة للتحدي والإعجاز من أقوى الأقوال وأظهرها –فيما قال المفسرون من معنى الحروف المقطعة– إن لم يكن أصحها على الإطلاق.[316] وإليه جنَح أهلُ التحقيق قالوا: إنما وردت هكذا ليكون إيقاظا بمن تُحِدِّيَ بالقرآن، وتنبيهاً لهم على أنه منتظمٌ من عين ما ينظِمون منه كلامَهم، فلولا أنه خارجٌ عن طوْق البشر، نازلٌ من عند خلاّق القُوى والقَدَر، لما تضاءلت قوتُهم، ولا تساقطت قدرتُهم، وهم فرسانُ حَلْبةِ الحِوار، وأُمراءُ الكلام في نادي الفخار دون الإتيان بما يُدانيه فضلاً عن المعارَضة بما يُساويه مع تظاهرهم في المضادّة والمضارّة، وتهالُكِهم على المعَازة والمعارّة أو ليكونَ مطلَعُ ما يُتلى عليهم مستقلاً بضربٍ من الغرابة أُنموذجاً لما في الباقي من فنون الإعجاز.[317] وقال قطرب،[318] والفراء،[319] وغيرهما: الحروف المقطعة تشير إلى حروف الهجاء، أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي منها بناء كلامهم؛ ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم.[320]

فالأحرف المقطعة، من﴿الم﴾ وسائر الألفاظ التي يتهجى بها، أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم؛ لدخولها في حد الاسم، ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها، افتتحت السورة بطائفة منها؛ إيقاظاً لمن تحدى بالقرآن؛ وتنبيهاً على أن أصل المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن

---

[314]. البغوي، ***معالم التنزيل***، 80/1.

[315]. ابن الجوزي، ***زاد المسير***، 25/1.

[316]. محمد عمارة، ***القرآن يتحدى***، 14.

[317]. أبو السعود، ***إرشاد العقل السليم***، 21/1–22.

[318]. هو: محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، توفي: (206 هـ = 821 م). الزركلي، **الأعلام**، 95/7.

[319]. هو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلميّ، أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد بالكوفة (144=761 م) وتوفى بطريق مكة(207 هـ=822 م) الزركلي، **الأعلام**، 145/8.

[320]. القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، 155/1.

آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه؛ وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بنوع من الإعجاز.[321] وإن " ذلك الكتاب المعجز الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله، الكتاب الذي يتحداهم مرة ومرة ومرة أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، فلا يملكون لهذا التحدي جوابا".[322]

وأورد ابن كثير أيضا هذا القول في تفسيره حيث يقول وقال آخرون:[323] بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه تركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها؛ ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة .[324]

ويقول البيضاوي: الأحرف المقطعة في أوائل السور، فيه الفائدة "من إعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه، وهذا الوجه أقرب إلى التحقيق، وأوفق للطائف التنزيل، وأسلم من لزوم النقل.[325] وإذا لاحظنا أصحاب هذا الرأي –وهم في أوج حماستهم لفكرتهم هذه– وأن تحدي القرآن للعرب أن يأتوا بمثله يزداد وضوحا، ويكتسب قوة، بظاهرة غريبة حقا، نعجب لدراستهم لها والتفاتهم إليها.[326]

وذكر العلماء في تأويل الحروف المقطعة تأويلات كثيرة، غالبها لا يصح ولا يستقيم معناه، والأقرب –والله أعلم– أن معناها التحدي بأن هذا القرآن المعجز مؤلفة كلماته وجمله من الحروف نفسها التي نظم بها العرب أشعارهم، وألفوا بها خطبهم، فهذه الحروف هي مادة القرآن

---

321. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 1/ 33 .

322. حوّى، سعيد بن محمد ديب بن محمود النعيمي، ***الأساس في التفسير***، ط: السادسة، دار السلام، القاهرة، 1424هـ، 80/1.

323. يقصد بالاخرين، شيخ الإسلام ابن تيمية، والمزي، بما قالوا: أن الحكمة في الإتيان بها في أوائل السور بيان إعجاز القرآن، وأن القرآن نزل بلغة العرب المكونة من الحروف الهجائية الثمانية والعشرين، ومع ذلك تحدى الله البشر أن يأتوا بمثله وبعشر سور وبسورة فعجزوا؛ ولذلك فإن أكثر السور المفتتحة بهذه الحروف يأتي بعدها بيان القرآن وإعجازه. الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، ***شرح تفسير ابن كثير***، 5/13، الكتاب مرقم آليا، بترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس، 116 درسا.

324. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 160/1.

325. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 34/1 –35.

326. صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، 236.

الكريم، ومع وجود هذه المادة بين أيديهم هم عاجزون عن الإتيان بمثله، ومما يؤكد هذا المعنى ويؤيده أن هذه الحروف المقطعة كانت عادة تتبع بإشارات دالة موحية إلى القرآن الكريم.[327]

فما نقلناه من أقوال المفسرين في دلالة الأحرف المقطعة في أوائل السور، نبذة قليلة من أقوالهم وآرائهم؛ لأن المفسرين قد ذكروا أقوالا أخرى، في معاني هذه الأحروف وأسرارها، ولكن من جملة ما استخرجناه من دلالة هذه الحروف الإيقاظ، وقرع العصا لمن تُخُدِّي بالقرآن، وبغرابة نظمه، ودلالته على التحدي، هو قول من أقرب الأقوال في الرد على المعاندين والمعارضين للقرآن الكريم، وهذا يحتاج إلى بحث كامل ولا نريد فيه الإطالة أكثر.

2.2.2. طلب الإتيان بغير هذا القرآن أو تبديله

إنّ القرآن الكريم حينما ينقل كلام المعارضين والمتحديين؛ وطلبوا من الرسول ﷺ الإتيان بغير هذا القرآن، أو تبديل هذا القرآن بقرآن آخر؛ لما يسفّه أحلامهم ويجرح مشاعرهم، وفيه العبارات المشتملة على ذم قبح أفعالهم، وفيه الوعيد والإنذار لما يفعلون، قال تعالى لهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.[328]

سبب نزول الآية: قال قتادة، ومقاتل، والكلبي: نزلت في مشركي مكة؛ حين قالوا للنبي ﷺ ائت بقرآن غير هذا، ليس فيه ترك عبادة آلهتنا.[329] هذا الطلب " فيه لون من ألوان خداعهم ومكرهم بالرسول ﷺ وهو أن يطلبوا منه أن يأتى بقرآن غير هذا، أو يبدله، والذي دفعهم إلى هذا كفرهم وعجزهم عن أن يأتوا بمثله".[330]

إن مسألة إتيان النبي بقرآن غير هذا القرآن، أمر غير ممكن، بل مستحيل عليه استحالة مطلقة؛ لأنّ القرآن كلام الله، منزل عليه وحيا من ربه، فليس له –والأمر كذلك– سلطان يملك به عند الله أن ينزل عليه قرآنا غير هذا القرآن، وفى هذا ردّ ضمنى على المشركين بأن القرآن من

---

[327]. الجرمي، إبراهيم محمد، ***معجم علوم القرآن***، ط: الأولى، دار القلم، دمشق، 1422 هـ –2001 م، ص،207.

[328]. يونس، 15/10.

[329]. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي، ***التفسير البسيط***، تح: أصل تحقيقه في خمسة عشر رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة، عمادة البحث العلمي، ط: الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. 1430 هـ، 143/11.

[330]. الحجازي، محمد محمود، ***التفسير الواضح***، ط: العاشرة، دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ، 47/2.

عند الله، وليس من عند محمد، إذ لو كان من عنده، لكان إلى يده تغييره أو تبديله.[331] فالأظهر في سبب قولهم هذا –التبديل أو التغيير– أنه ﷺ بلغهم أن هذا القرآن من عند الله أوحاه إليه لينذرهم به، وتحداهم بالإتيان بمثله أو بسورة من مثله فعجزوا، وكانوا في ريب من كونه وحيا من الله لبشر مثلهم، وفي ريب من كونه من عند محمد ﷺ وهو لم يكن يفوقهم في الفصاحة والبلاغة، ولا في شيء من العلم، بل كانوا يرونه دون كبار فصحائهم من بلغاء الشعراء ومصاقع الخطباء، فأرادوا أن يمتحنوه بمطالبته بالإتيان بقرآن غيره في جملة ما بلغهم من سورة في أسلوبها ونظمها ودعوتها، أو بالتصرف فيه بالتغيير والتبديل لما يكرهونه منه، كتحقير آلهتهم وتكفير آبائهم، حتى إذا فعل هذا أو ذاك كانت دعواه أنه كلام الله أوحاه إليه منقوضة من أساسها.[332]

فلما ذكر الإتيان بغيره من قبل، تَعَيَّن أن المراد بالتبديل المعنى الآخر، وهو تبديل الوصف، فكان المراد بالغير في قولهم: ﴿غَيْرِ هَذَا﴾ كلاما غير الذي جاء به من قبل لا يكون فيه ما يكرهونه ويغيظهم، والمراد بالتبديل أن يعمد إلى القرآن الموجود فيغير الآيات المشتملة على عبارات ذم الشرك بمدحه، وعبارات ذم أصنامهم بالثناء عليها، وعبارات البعث والنشر بضدها، وعبارات الوعيد لهم بعبارات بشارة، وسموا ما طلبوا الإتيان به قرآنا؛ لأنه عوض عن المسمى بالقرآن.[333] وأشار الطبري، إلى أن التبديل الذي سألوه، فيما ذكر، أن يحوّل آية الوعيد آية وعد، وآية الوعد وعيدًا والحرامَ حلالا والحلال حرامًا، فأمر الله نبيَّه ﷺ أن يخبرهم أن ذلك ليس إليه.[334]

ويقول البيضاوي: قوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ "إنما اكتفي بالجواب عن التبديل؛ لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر"[335]؛ أو لأن التبديل مقدور للانسان بأن يقرأ آية الرحمة مكان آية العذاب، بخلاف إتيان قرآن آخر معجز مثله؛ أو لأن المراد بالتبديل هاهنا أعم من تبديل القرآن بقرآن آخر أو آية مكان آية.[336] وعلى هذا "فيكون المطلوب أحد أمرين: إما إزالته بالكلية، وهو التبديل في الذات، أو الإتيان بغيره مع بقائه" فيحصل التغاير بين المطلوبين".[337]

---

331. الخطيب، ***التفسير القرآني للقرآن***، 6/972– 973 .

332. رضا، ***تفسير المنار***، 261/11.

333. ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، 116/11.

334. الطبري، ***جامع البيان***، 40/15.

335. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 107/3.

336. المظهري، ***التفسير المظهري***، 14/5.

337. أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 24/6.

وأنَّ أحد الأمرين غيرُ الآخر، فالإتيان بكتاب آخر، لا على ترتيب هذا القرآن ولا على نظمه، يكون إتياناً بقرآن آخر، وأمَّا إذا أتى بهذا القرآن، إلاَّ أنَّه وضع مكان ذمّ بعض الأشياء مدحها، ومكان آية رحمةٍ آية عذابٍ، كان هذا تبديلاً، أو تقول: الإتيان بقُرآن غير هذا، هو أن يأتيهم بكتاب آخر سوى هذا الكتاب، والتبديل: هو أن يُغيّر هذا الكتاب، مع بقاء هذا الكتاب.[338]

ويؤيد الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .[339]

قوله: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ في الآية إختصار-إيجاز بالقصر-، تقديره: فإن ادَّعَواْ أن شيئاً من المخلوقات صنعةُ آلهتهم، فقل لهم: ائتوني بكتاب مِنْ قَبْلِ هذا أي: مِنْ قَبْلِ القرآن فيه برهانُ ما تدَّعون من أن الأصنام شركاءُ الله.[340] فهذه الآية أشرف آية في القرآن -للردّ عليهم- فإنها استوفت أدلة الشرع عقليها وسمعيها، وبيان لأدلة العقل المتعلقة بالتوحيد، وحدوث العالم، وانفراد الباري -سبحانه- بالقدرة والعلم والوجود والخلق، وبيان لأدلة السمع فإن مدرك الحق إنما يكون بدليل العقل أو بدليل الشرع.[341] التغيير أو التبديل ليس فيه دخل للنبي ﷺ، فالطلب مرفوض كما أن التغيير المقصود؛ والتبديل المراد مرفوضان، وبهذا يثبت أن القرآن هو من عند الله تعالى؛ كما ثبت العجز، وإن الإتيان بقرآن من مثل هذا القرآن محال.

3.2.2. التحدي بأن القرآن كلام الله

كان المشركون والمعاندون كثيرا ما أنكروا القرآن وكيفية نزوله، فأحيانا ينسبون القرآن إلى الملائكة، وأحيانا ينسبونه إلى رجل أعجمي، وأحيانا يقولون: أنه كلام بشر، ويقولون: أنه افتراء، وليس من عند الله -تعالى- وإنما هو من صنع محمد، والباري -سبحانه وتعالى- يتحدى ويبالغ في التحدي، ويؤيد نبيه ﷺ بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

---

[338]. ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني، ***اللباب في علوم الكتاب***، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود؛ والشيخ علي محمد معوض، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ -1998م، 282/10.

[339]. الاحقاف، 4/46.

[340]. ابن الجوزي، ***زاد المسير***، 102/4.

[341]. ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي، ***أحكام القرآن***، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ - 2003 م، 124/4.

اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[342] في هذه الآية الكريمة، تحدى الله تعالى هؤلاء –المنافقين– بمعاني القرآن، كما تحداهم بألفاظه، لبلاغته؛ إذ كان المنافقون قد شكوا في أن القرآن من عند الله، ويشككون ويشكون إذا بدا لهم شيء من التعارض.[343]

احتج الله بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة محمد ﷺ والحجة في ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها: فصاحته التي عجز الخلائق عن الإتيان بمثلها في أسلوبه، الثاني: إخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله –تعالى– نبيه ﷺ من أحوال المنافقين، الثالث: سلامته من الاختلاف والتناقض، وهو المراد.[344] فالقول في الاختلاف ها هنا ثلاثة أقوال: أحدها: تناقض من جهة حق وباطل، وهذا قول قتادة، وابن زيد، والثاني: من جهة بليغ ومرذول،[345] وهو قول بعض البصريين، والثالث: يعني اختلافاً في الإخبار عما يُسِرُّونَ،[346] وهذا قول الزجاج: أي لو كان ما يخبِرونَ به مما بيتُوا، وما يُسِرُونَ.[347]

فالآية فيها ردّ على الملاحدة؛ لأنهم، "لو وجدوا الاختلاف لأظهروا ذلك، وقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ولو قدروا على ذلك لأتوا به؛ دل ترك إتيانهم ذلك: أنهم لم يقدروا على إتيان مثله، ولو وجدوه مختلفًا لأظهروه، ولو كان من كلام البشر –على ما قالوا– لأتوا به؛ لأنهم من البشر؛ فظهر أنه منزل من عند اللَّه" .[348] فالمعنى لو كان هذا القرآن من كلام البشر: –مؤَلفا من عندهم– كما كانوا يدعون حين قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾.[349] لوجد الناس فيه تناقضا كثيرا؛ ذلك لأن طاقة البشر، لا تستطيع الإتيان بهذا الكمال، في بيان العقائد والعبادات، والمعاملات والأخلاق، والإخبار الصادق عن الماضي والمستقبل، وعالم الغيب، وما يجرى فيه، كل ذلك في أُسلوب بديع متقن، بلغ الغاية في الكمال والتحدي.[350]

---

[342]. النساء، 82/4.

[343]. ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، 137/5.

[344]. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، 402/1.

[345]. مرذول من الرذل، ورذال كل شئ: رديئه. الجوهري، ***الصحاح***، 1708/4.

[346]. الماوردي، ***النكت والعيون***، 510/1 –511.

[347]. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، ***معاني القرآن وإعرابه***، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1408 هـ – 1988 م، 2/ 82.

[348]. الماتريدي، ***تأويلات أهل السنة***، 273/3.

[349]. النحل، 103/16.

[350]. مجموعة من العلماء، ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***، بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط: الأولى، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1414 هـ – 1993 م، 861/2.

سُئل الغزالي عن معنى الآية؟ فأجاب: "الاختلاف لفظ مشترك بين معان، وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن يقال: هذا كلام مختلف أي: لا يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو هو مختلف الدعوى أي: بعضه يدعو إلى الدين، وبعضه يدعو إلى الدنيا، أو مختلف النظم، فبعضه على وزن الشعر، وبعضه منزحف، وبعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، وكلام الله منزه عن هذه الاختلافات".[351] وأنه ليس في القرآن تعارض حقيقي معنوي يعد مطعنا صحيحا فيه، لكن هذا النوع من الإعجاز إنما يظهر في جملة القرآن في السور الطويلة منه لا في كل سورة، فإن سلامة السورة القصيرة من ذلك لا يعد أمرا معجزا يتحدى به،[352] فالظاهر أن الضمير في قوله: ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ عائد على القرآن، ووجه هذا الدليل أنه ليس من متكلم كلاما طويلا إلا وجد في كلامه اختلاف كثير، إما في الوصف واللفظ، وإما في المعنى بتناقض أخبار، أو الوقوع على خلاف المخبر به، أو اشتماله على ما لا يلتئم، أو كونه يمكن معارضته، والقرآن العظيم ليس فيه شيء من ذلك؛ لأنه كلام المحيط بكل شيء مناسب بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء، وتظافر صدق أخبار، وصحة معان، فلا يقدر عليه إلا العالم بما لا يعلمه أحد سواه.[353]

فالآية الكريمة دالة على وقوع التحدي بعدم الاختلاف، وبسلامة القرآن والإستقامة، ودلّ على ثبوت الملازمة بين كون القرآن من عند غير الله، ووجدان الاختلاف الكثير فيه وجدانا حقيقياً، ويتوهم أن كل كتاب لو كان من عند غير الله لكان ذلك مستلزما لوجدان الاختلاف الكثير فيه، حتى يرد عليه منع الملازمة في بعض الموارد بل في كثيرها.[354] وتدل الآية وتشير إلى أن التحدي وقع بمعاني القرآن؛ كما وقع بالفاظه والوجوه الأخرى. فالاختلاف لم يقع في القرآن الكريم لا في الألفاظ ولا في المعاني، بما نرى أن العلم قد بلغ مبلغه، ولو وُجد في القرآن آية فيها اختلاف لأظهره المعارضون ما فيها من التناقض والإختلاف؛ لأنهم واقفون في ذلك بالمرصاد، وهذا محال لأنه نزل من لدن حكيم خبير عليم.

---

[351]. السيوطي، ***الإتقان***، 23/4.

[352]. رضا، ***تفسير المنار***، 171/1.

[353]. أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 3/ 726.

[354]. النكراني، الشيخ محمد فاضل، ***مدخل التفسير***، ط: الرابعة، تح: ونشر، مركز فقه الأئمة الاطهار، مدينة قم، 1428هـ، ص، 44-45.

4.2.2. اختلافات في وقوع التحدي بالمتلو والكلام القديم

اختلف العلماء في تحديد القول بوقوع التحدي، هل وقع بالمتلو، أو بالكلام القديم،[355] وأساس الاختلاف يرجع إلى وقوع الإختلاف فيما بينهم في مسألة كيفية كلام الله تعالى وصفاته. ويتساءل الباقلاني قائلا: إن قال قائل: بينوا لنا ما الذي وقع التحدي إليه؟ أهو الحروف المنظومة؟ أو الكلام القائم بالذات؟ أو غير ذلك؟ قيل: الذي تحداهم به: أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها، ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له.[356]

وقال البعض: إن التحدي وقع بما في كتاب الله –تعالى– من الأنباء الصادقة والغيوب المسرودة،[357] وإن كان كذلك فالتحدي واقع إلى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة، التي هي عبارة عن كلام الله –تعالى– في نظمها وتأليفها، وهي حكاية لكلامه، ودلالات عليه، وأمارات له، على أن يكونوا مستأنفين لذلك، لا حاكين بما أتى به النبي ﷺ.[358] وقال قوم: إن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات، وإن العرب كلّفت في ذلك ما لا يطاق، وفيه وقع عجزها،[359] وهو مردود؛ لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصورّ التحدى به،[360] ولأن المعجزة من شروطها الحدوث، فكيف يقول: وقع الإعجاز بالمعاني من الغيب لما مضى، ولما يستقبل؟ لأنه معلوم أنهم لَا يقدرون على ذلك.[361]

إن إعجاز القرآن إنما وقع بكون المتكلم به عالِماً بمُرَاده من كل كلمة وما يليق بها، وما ينبغي أن يلائمها من الكلام، وما يناسبها في المعنى، لا يختفي عنه ما دق من ذلك وما جَلَّ،

---

[355]. المراد بالكلام القديم: الكلام الذي لم يتشكل بصورة معينة، وهو الكلام النفسي، وهذا مصطلح كلامي، والكلام النفسي ينزل بلغات متعددة. ياسوف أحمد، ***جماليات المفردة القرآنية***، ط: الثانية، دار المكتبى، دمشق، 1419 هـ – 1999م، ص، 42.

[356]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 260.

[357]. إبن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ. 1993م، 48/1 .

[358]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 260.

[359]. إبن عطية الأندلسي، ***المحرر الوجيز***، 48/1.؛ السيوطي، ***الإتقان***، 7/4.

[360]. السيوطي، ***الإتقان***، 7/4.؛ الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، ***الموسوعة القرآنية***، مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ، 322/2.

[361]. ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، ***تفسير ابن عرفة***، تح: جلال الأسيوطي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 م، 341/2– 342.

ولا مَصْرِف كل كلمة ولا مآلها، وغير الله –تعالى– لا يقدر على ذلك"؛[362] لأن التحدي إذا وقع بشيء مجهول، أو بشيء غير معلوم عند المتكلم، فيكون وقوع التحدي باطلا لا فائدة فيه، كما يقول الباقلاني: "ولم يتحد النبي ﷺ بمثل الكلام القائم بالله سبحانه؛ وإنما تحداهم بمثل الحروف المنظومة التي هي عبارة عنه في براعتها وفصاحتها واختصارها وكثرة معانيها، وإذا كان ذلك كذلك، بطل ما سألتم عنه، على أنه يصح من الله –تعالى– ومن رسوله ﷺ أن يتحدى بمثل الكلام القديم" .[363]

والجمهور على أنه إنما وقع بالدال على القديم وهو الألفاظ، فإذا ثبت ذلك فاعلم أنه لا يصح التحدي بشيء مع جهل المخاطب بالجهة التي وقع بها التحدي، ولا يتجه قول القائل لمثله إن صنعت خاتما كنت قادرا على أن تصنع مثله، إلا بعد أن يمكنه من الجهة التي تدعي عجز المخاطب عنها،[364] والصواب ما قاله الجمهور: وهو أن التحدّي وقع بالدالّ على القديم وهو الألفاظ.[365] وهذا القول من الأقوال التي لا مطعن عليها.[366]

ويقول الثعالبي في تفسيره لقوله –عزَّ وجلَّ–: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾،[367] يستشهد بقولي القاضِي ابن الطَّيب،[368] وأبي المعالى،[369] وغيرهما: "أن الإنزال لم يتعلَّق بالكلامِ القَدِيمِ الذي هو صفةُ الذاتِ، لكَنْ بالمعاني التي أَفْهَمَهَا اللَّهُ تعالَى جِبْرِيلِ –عليه السلام– من الكَلاَم"،[370] فالإعجاز من جهة التحدي: وقع بالكلام القديم الذي هو صفة قائمة بالذات، وأن العرب إذا تحدوا بالتماس معارضتهم

---

[362]. أحمد، حسن عبد الفتاح، ***عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم***، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، رياض، 67.

[363]. سؤال موجه من قبل الباقلاني، فإن قال قائل من اليهود والنصارى والمعتزلة، كيف لا يجوز التحدي بمثل القرآن وهو عندكم قديم لا مثل له من كلام الآدميين ولا يجانس كلام المخلوقين..؟ الباقلاني، ***تمهيد الأوائل***، 178 –179.

[364]. الزركشي، ***البرهان***، 93/2.

[365]. الأبياري، ***الموسوعة القرآنية***، 2/ 322.

[366]. أحمد، ***عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم***، 67.

[367]. إبراهيم، 1/14.

[368]. يريد به القاضي أبو بكر الباقلاني.

[369]. هو: إمام الحرمين، عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الجويني، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين؛ ومولده في ثامن عشر المحرم سنة، 419هـ، وتوفى، سنة 478هـ. إبن خلكان، ***وفيات الأعيان***، 3/ 169.

[370]. الثعالبي، ***الجواهر الحسان***، 3/ 374.

له، والإتيان بمثله أو بمثل بعضه؛ كُلِّفوُا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم، وكيف يَتَصَوَّرَ التحدي بما يجهله المتحَدَّى؟! وهل يقع التحدي إلا لمن حاز قصب السبق فيما يُتَحَدَّى فيه؟ فكيف بمن يجهل الكلام القديم الذي هو صفة الله –تعالى– القائمة بذاته؟[371]

بناءً على ما قدمنا سابقا يمكن أن نقول إن التحدي بالكلام القديم يعدّ مجهولا؛ لأن الكلام القديم النفسي الذي هو صفة لذات الله تعالى غير معلوم، ولو وقع التحدي به لكان طلب التحدي يعدّ أيضا مجهولا، فالتحدي وقع بالكلام المتلو والمسموع من الألفاظ والمعاني من كلام الله تعالى القرآن الكريم.

5.2.2. خصوصية التحدي بالقرآن دون غيره

إنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الباقية، فهو الكتاب الكامل التام، فيه الهداية للخلق جميعا، وإرشاد لكل الناس، في كل زمان ومكان، هو القانون السماوي، والدستور الإلهي، الدائم إلى أبد الآبدين، ولا يخفى أن أفضل كتب السماء من بين كتب الأنبياء –عليهم السلام– هو القرآن الكريم، وإن الفرق الرئيس بين القرآن والكتب السماوية الأخري هو: أن الكتب السابقة جاءت لزمن محدود، وعصر مؤقت، أما القرآن الكريم، فهو خاتم الكتب؛ لخاتم الأنبياء والمرسلين، من غير تحديده بزمن دون زمن أخرى.

إن معجزة نبينا محمد ﷺ الباقية الخالدة كانت القرآن، ومع هذا لقد أجرى الله –تعالى– على يديه خوارق وعادات أخرى، مثل: إخباره عن بعض ما يغيب عن حسه، ومثل حنين الجذع إليه، ومثل بكاء الناقة عنده، ومثل الإسراء والمعراج، ولكن لم يتحد إلّا بالقرآن الكريم، ولم ير المشركون صرحًا شامخًا يتحداهم به سوى القرآن الكريم.[372]

وننبه إلى أن معارضة هؤلاء الأقوام السابقة، أو طلبهم من نبيِّهم للآية، أو لإظهار المعجزة، ليس من التحدي كما عارض فرعون موسى لما أتى له بآيات كاليد والعصا، فعارضه بالسحرة، أو كطلب ثمود الناقة من صالح فهذا ليس فيه تحدّ،[373] أما القرآن الكريم فهو: الإعجاز –المتحدي، والتحدي– المعجز، الذي خشعت أمام إعجازه ملكات الإبداع والمبدعين، فشهدت له

---

[371]. أحمد، ***عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم***، 67.

[372]. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، ***المعجزة الكبرى القرآن***، دار الفكر العربي، القاهرة، 11.

[373]. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، ***شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي***، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1431هـ، ص، 278.

الشهادات، فإن من الحق والواجب أن يسأل المرء– ماذا على الضفة الأخرى– ضفة الكتب المقدسة لدى الآخرين؟![374]

فالقرآن الكريم لم يشر إلى حفظ الكتب السماوية السابقة من يد التحريف والتزييف، ولا إلى بقائها بعيدة عن التبديل والتغيير، بل بالعكس فقد صرح القرآن الكريم بأن تلك الكتب قد حرّفت وبدّلت، فإن الزبور والتوراة والإنجيل جميعا محرّفة.[375] كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.[376]

من المعلوم أن القرآن الكريم قد أشار إلى وقوع التحريف بالكتب السماوية السابقة، وأن هذا التحريف لم يقع به وقد حفظه الله من التبديل والتحريف بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾،[377] وبذلك يتميز ويمتاز القرآن الكريم الذي خشعت له وشهدت ملكات الإبداع بأنه وحي الله المباشر الذي لم يصبه أي تحريف أو تغيير أو تبديل، فقد تميز عن الكتب التي تدخلت في كتابتها أيدي البشر، ثم زعموا أنها من عند الله، فيتميز الكتاب الذي لا ريب فيه عن الكتاب،[378] الذي قال الله في أهله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.[379] فهذه الآية فيها التحذير من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع؛[380] لما أشار إلى الكتابة باليد، والمراد به المحرفون، ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بِأَيْدِيهِمْ.[381]

---

[374]. محمد عمارة، ***القرآن يتحدى***، 49.

[375]. الحسيني، الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي، ***القرآن يتحدى***، ط: الأولى، مكتبة الهيئة الأمين، الكويت، 1426هـ–2005م، ص، 25.

[376]. المائدة 13/5.

[377]. الحجر، 9/15.

[378]. محمد عمارة، ***القرآن يتحدى***، 63.

[379]. البقرة، 79/1.

[380]. القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، 9/2.

[381]. البيضاوي، ***أنوار التنزيل***، 90/1.

وقد علق ابن كثير –رحمه الله– على قوله ﷺ: "وإنما كان الذي أوتيته وحيا"،[382] أي: الذي اختصصت به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية، فإنها ليست معجزة عند كثير من العلماء، والله أعلم.[383]

ويقول القاضي عبد الجبار،[384] في كتابه المغنى: "أنه تعالى خص رسوله بالقرآن من حيث ختم به النبوة، وبعثه إلى الناس كافة، وجعل شريعته مؤيدة؛ لأن غيره من المعجزات كان يجوز أن يدرس على الأوقات، أي يختفي مع الزمن ويضعف النقل فيه، وذلك لا يتأتى في القرآن"،[385] ويستدل من هذا القول: أن القرآن معجزة دائمة لا تنقطع، في حين كانت معجزات الأنبياء السابقين في الزمن على محمد ﷺ مما حدث وقت دعوتهم، ثم انقطع، فلم يشاهده إلا بعض من عاصر هؤلاء الأنبياء، أما القرآن فهو معجزة باقية على الأيام تخاطب العقل والروح،[386] وإن التوراة والإنجيل وغيرهما من كلام الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنه من الأخبار عن الغيوب، ويباينه في أنه ليس بمعجز في النظم والتأليف؛ لأن الله لم يصفه بما وصف به القرآن، ولم يقع به التحدي كما وقع بالقرآن؛ ولأن الألسنة التى نزل بها لا يتأتى فيها من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الإعجاز.[387]

خلاصة القول في تخصيص التحدّي بالقرآن دون غيره –من الكتب السماوية السابقة–، يمكن أن نقول: إن في دعوى أن معجزات الأنبياء السابقين، وأن سائر معجزات النبي لم يقع بها التحدي مخالفة للمعروف المألوف بين جماهير العلماء، وأن التحدي يقع بجميع المعجزات وبهذا

---

[382]. وتمام الحديث، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: أن رسول الله ﷺ، قال: ((ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)). البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ***الجامع الصحيح المختصر***، تح: مصطفى ديب البغا، ط: الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ – 1987م، 1905/4، الرقم 4696، باب كيفية نزول الوحي.

[383]. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 1/ 201.

[384]. هو: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضي أبو الحسن الهمذاني الأسداباذي، شيح المعتزلة وصاحب التصانيف، ولى قضاء الري وأعمالها ورحلت إليه الطلبة، مات في ذى القعدة سنة 415هـ. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ***طبقات المفسرين***، تح: علي محمد عمر، ط: الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396هـ، 59/1.

[385]. الهمداني، ***المغني***، 165/16.

[386]. كفافى محمد عبد السلام؛ وعبد الله الشريف، ***في علوم القرآن دراسات ومحاضرات***، دار النهضة العربيه، بيروت، 138.

[387]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 69.

سميت معجزة، وإن القرآن هو الذي نُصَّ فيه على التحدي صراحة دون غيره من آيات النبي ﷺ– من معجزاته– أو آيات الأنبياء السابقين، أما سائر آيات النبي ﷺ –أي معجزاته– فلم يُتحدَّ بها، فالرسول ﷺ حصل له بعض المعجزات مثل: حنين الجذع، وتسبيح الحصى بكفه، وردِّه عين أحد الصحابة والتفل عليها فعادت وبرئت، والتفل في البئر فزادت،[388] فالصواب الذي نراه أنه لم يقع التحدي إلا بالقرآن فقط؛ لأنه هو المنصوص عليه، وما عدا ذلك من آيات الأنبياء، سواء ظهرت أمام الكفار أم أمام المؤمنين، فإنه لم يقع فيها التحدي مطلقاً، والدليل واضح من نصوص القرآن، فالتحدي خاص به فلا يشمل الكتب السماوية السابقة غير القرآن، كما تدل النصوص الواردة في التحدي على خصوصيته بالقرآن الكريم...

3.2. مراحل التحدي ومراتبه، وقدره، ودلالاته

لا شكّ أنّ التحدي وقع في القرآن الكريم في كثير من الآيات القرآنية، مما ذكره العلماء، وعدّوه بأن خمساً من الآيات تدل على التحدي، في كل من سورة "البقرة، ويونس، وهود، والإسراء، والطور" فعلى ورود هذه الآيات المسمى بآيات التحدي، اختلف العلماء والمفسرون في تحديد هذه المراحل، والمراتب، وقدره المتحدى به.

1.3.2. مراحل التحدي وترتيبه النزولي، والمصحفي

جاء التحدي في الآيات القرآنية، مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، ومرة بعشر سور، ومرة بسورة، ومرة بحديث مثله، من هنا لا بد من نظرة سريعة على مراحل التحدّي بالقرآن والتدرج فيه، لكي نصل من خلال هذا التدرج إلى المطلوب والمقصود من تحديد مراحل التحدي.

فبعد أن صدع رسول الله ﷺ بدعوته في بطحاء مكة، ودعا الناس إلى عبادة خالق الكون ومبدعه، ونبذ عبادة الأصنام، طالبه المشركون بالدليل على صدقه، قال: دليل صدقي هو هذا القرآن الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[389] وهو يحمل في طياته برهان صدقه؛ لأنه لا يتأتّى لأحد من المخلوقين أن يفتري على الله أو يأتي بشيء من هذا القبيل ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

---

[388]. الطيار، ***شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن الجزي***، 277.

[389]. فصلت، 42/41.

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[390] وبيّن لهم أنهم يدركون العجز من أنفسهم أن يأتوا بمثل القرآن، كما يعرفون عجز محمد ﷺ أيضا؛ لأنه نشأ بينهم أمّيا لم يتلق العلم على أحد من البشر، فإذا كانوا وهم أصحاب البلاغة، وفرسان الفصاحة، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال وغيرها من أفانين القول، إذا كانوا يعجزون عن الإتيان بمثل القرآن، فكيف يتهمون محمدا الأمي بأنه تقوّله أو افتراه من عند نفسه؟![391]

قبل أن ننقل ما عدّه العلماء من مراحل التحدي لا بدّ أن لا ننسى بأن الاختلاف في تحديد المراحل، إنما وقع على أساس الترتيبين، الترتيب النزولي، والترتيب المصحفي.

وبناء على ورود خمسة نصوص من الآيات القرآنية المصرحة بالتحدّي، تعددت آراء العلماء في تحديد هذه المراحل، وترتيبها، وفيما يلي إستنتاج من فهم المفسرين والباحثين للمراحل المتوافقة مع آيات التحدي...

المرحلة الأولى: التحدي بالقرآن كله

وهو المستفيض من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[392]

وهذا ما ذكره الرازي –رحمه الله– وابن عادل الحنبلي،[393] أنه وقع التحدي بكل القرآن كما في الآية السابقة،[394] فقد أخبر الله –تعالى– أن الكفار سيعجزون عجزاً كاملاً مطبقا عما وجهوا به من التحدي أن يأتوا بمثل القرآن.[395]

فتحداهم الله بالقرآن كله في أسلوب عام يتناولهم ويتناول غيرهم من الإنس والجن تحديًّا يظهر على طاقتهم مجتمعين،[396] فبيّن لهم أنهم يدركون العجز من أنفسهم أن يأتوا بمثل القرآن،[397]

---

[390]. يونس، 37/10.

[391]. مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 36.

[392]. الإسراء، 88/17.

[393]. هو: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقيّ، أبو حفص، سراج الدين(ت: بعد 880 هـ – 1475م)، صاحب التفسير الكبير، اللباب في علوم الكتاب، الزركلي، ***الأعلام***، 58/5.

[394]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 21/ 407؛ ابن عادل الحنبلي، ***اللباب في علوم الكتاب***، 384/12.

[395]. جبريل، ***عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم***، 44.

[396]. القطان، ***مباحث في علوم القرآن***، 266.

[397]. مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 37.

وسورة الإسراء المكية ترتيبها في النزول خمسون –على المشهور– والتحدي فيها هو: المثلية بمثل القرآن.[398]

وقد استدل البعض لهذه المرحلة بآية الطور؛ لأن المراد بحديث مثله هو القرآن، وقال جمهور علماء التفسير والبلاغة: إن التحدي كان متدرجًا بالقرآن كله كما في سورة الإسراء والطور،[399] فتحداهم أول الأمر أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وهو جميعه كلام الله.[400] فالآية الكريمة تتحدى صراحة بإتيان قرآن مثل هذا القرآن، من غير تحديد قدر، أو إشارة إلى تعيين مقدار معين، فالمثلية المرادة هنا: الإتيان بقرآن مثل هذا القرآن المكتوب بين الدفتين لا غير.

المرحلة الثانية: التحدي بالإتيان بعشر سور من القرآن

وهذه المرحلة يدل عليها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[401] ذهب ابن عباس –رضي الله عنهما– إلى أن المراد بعشر سور، السور القبلية، وأنّ السور التي وقع بها طلب المعارضة لها هي معينة.[402] من سور القرآن، مثل سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة، ويونس، وهود".[403]

ومن الممكن أن نقول: أن رشيد رضا، قد أعجبه قول ابن عباس –رضي الله عنهما– لما اختار في تفسيره لآية هود بقوله: "وفيه إثبات أن المراد بهذه السور ما اشتمل على قصص الرسل".[404] ويمكن أن يراد بالسور السور العشر المقدمة على هود، لما في السور القبلية من ذكر القصص.

أخذ القرآن يبكّت عليهم دعواهم، وينوّع لهم في أشكال من التحدي: يقرّعهم تارة، ويحمّسهم أخرى، ويبالغ في تحديهم وإثبات عجزهم: فيتدرج من التحدي بالإتيان بمثل القرآن، إلى التحدي

---

398. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق***، 67.

399. فهد الرومي، ***دراسات في علوم القرآن***، 270–271 .

400. صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، 46.

401. هود، 13/11.

402. أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 209/5.

403. الفيروز آبادي، ***تنوير المقباس***، 182.

404. رضا، ***تفسير المنار***، 168/12.

بعشر سور مثله،[405] وقد ذهب أبو حيان، إلى ذكر هذه المرحلة بقوله: وإنما تحداهم أولاً بعشر سور مفتريات قبل تحديهم بسورة، ومقتضى التحدي بعشر أن يكون قبل طلب المعارضة بسورة.[406]

وقد سمى رشيد رضا، هذه المرحلة بوجه "التحدي بعشر سور من قصص القرآن" ويقول: أما قصص الرسل –عليهم السلام– فهي التي تظهر فيها حكمة التحدي بالسور العشر على أتمها وأكملها من الوجوه اللفظية والمعنوية المختلفة، ويكون العجز عن معارضتها أقوى حجة وبرهانا على كونها من عند الله –تعالى– لا مفتراة من عند محمد ﷺ وحده، ولا مما أعانه غيره عليه كما تصوروا وزوروا.[407]

وفى التحدي بهذه السور العشر توسيع على المنكرين إن حدثتهم أنفسهم أن يتصدّوا لمعارضته، لكنهم لم يستطيعوا فقامت عليهم وعلى غيرهم الحجة إلى يوم القيامة، فتحداهم بالإتيان بعشر سور مثله فى النظم والأسلوب، وإن لم تكن محتوية على التشريع القيّم من ديني، ومدني، وسياسي، وحكم، ومواعظ، وآداب.[408] فالتحدي الواقع في هذه المرحلة، هو التحدي بعشر سور من مثل سور القرآن الكريم، سواء خصصت التحدي بعشر سور المتقدمة على سورة هود، أو عممت التحدي بعشر سور من القرآن كله...

المرحلة الثالثة: التحدّي بإتيان سورة من القرآن

وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾،[409] وبعد أن ألقى القرآن التحدي العام، في آية "الإسراء" نزلت بعدها آية "يونس" تتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فحسب، مثل هذا القرآن، وليدع من استطاعوا من دون الله.[410]

وإن أكثر المفسرين إعتمد المراحل الثلاث –السابق ذكرها– وهي: التحدي بمثله، ثم بعشر سور، ثم بسورة، وممن قال بذلك القرطبي بقوله: فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله، وقالت: إن النبي ﷺ تقوله، أنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾*﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ

---

405. البغا، مصطفى ديب؛ مستو، محيى الدين ديب، ***الواضح في علوم القرآن***، ط: الثانية، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، 1418 هـ – 1998 م، 152.

406. أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 208/5 .

407. رضا، ***تفسير المنار***، 32/12.

408. المراغي، ***تفسير المراغي***، 12/12–15.

409. يونس، 37/10.

410. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق***، 67.

كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[411] ثم أنزل تعجيزا أبلغ من ذلك فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[412] فلما عجزوا حطهم عن هذا المقدار، إلى مثل سورة من السور القصار، فقال جل ذكره: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[413] فأفحموا عن الجواب، وتقطعت بهم الأسباب،[414] فتقاصر من التحدي بجنس القرآن، إلى عشر سور منه، ثم تنازل إلى سورة من مثله،[415] وأنه سبحانه تحداهم أولا في الإتيان بمثله، ثم تحداهم بعشر سور منه، وقطع عذرهم بقوله: ﴿مُفْتَرَيَتٍ﴾ إزاحة لعللهم وقطعا لأعذارهم، فعجزوا، فردهم من العشر إلى سورة واحدة من مثله مبالغة في التعجيز لهم.[416] فتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا، ثم تحداهم بعشر سور منه، ثم تحداهم بسورة، ثم كرر–التحدي في آية البقرة– فلما عجزوا عن معارضته والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن،[417] في آية الإسراء، وصوّب هذا الرأي كل من الزُرقاني،[418] ومناع قطان،[419] وكثير من علماء التفسير والباحثين المعاصرين مع وجود اختلاف قليل في الاستشهاد بآيات التحدي للمراحل الثلاثة.

---

411. الطور، 33/52–34.

412. هود، 13/11.

413. البقرة، 23/2–24.

414. القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، 77/1.

415. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 269/4.

416. الزركشي، ***البرهان***، 110/2.

417. السيوطي، ***الإتقان***، 4/4–5.

418. أنه تعالى طاولهم في المعارضة، وتنازل لهم من التحدي بجميع القرآن، وتصور أنه قال لهم في سورة الطور أول ما تحداهم، فلما انقطعوا مد لهم في الحبل كما قال في سورة هود، فلما عجزوا هذه المرة أيضا طاولهم مرة أخرى وأرخى لهم الحبل إلى آخره كما قال في سورة البقرة. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 333/2.

419. هو: القاضي الشيخ مناع خليل القطان المدير السابق للمعهد العالي للقضاء في السعودية، ولد في شهر أكتوبر سنة 1925م = 1345 هـ، في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر، توفي يوم الإثنين سنة 1420 هـ = 1999م. ***شاشة المؤلفين***، من مكتبة الشاملة.

وهذه المراحل الثلاث السابق ذكرها الذي ارتضاه جمهور العلماء في ترتيب آيات التحدي هو ما يجب أن يصار إليه،[420] كما قال المفسرون القدامى: إن التحدي كان على الترتيب: بالقرآن كله، ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة، ولكن هذا الترتيب ليس عليه دليل.[421]

المرحلة الرابعة: تحدي الإتيان بحديث مثله

وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾*﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.[422] وقد جعل الرازي –رحمه الله– هذه المرحلة من المرتبة الرابعة للتحدي، لما فهم من تفسير الحديث بالمثل، كلاما من سورة مثله.[423] ورضى به الشنقيطي[424] بقوله: وقد أطلق –جل وعلا– اسم الحديث على القرآن،[425] في قوله هنا: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ كما أطلق عليه ذلك في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾،[426] وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.[427] فهو تحد بجملة القرآن كله،[428] وهذه المرحلة قريبة من المرحلة الأولى من مراحل التحدي، وانفرد بها الرازي من المفسرين، وقد جعلها المرحلة الرابعة، أما المفسرون الأخرى لم يفرقوا بين هذه المرحلة والمرحلة الأولى من مراحل التحدي؛ لأن كلتا المرحلتين تدّلان على طلب المعارضة والتحدي بالأتيان بمثل القرآن؛ ولأن المراد من "الحديث" في الآية الكريمة هو القرآن الكريم لا غير.

وقد عدّ الامام القرطبي هذه المرحلة من المرحلة الأولى لما ذهب إلى أن المراد من قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ أي بقرآن يشبهه من تلقاء أنفسهم.[429]

---

[420]. أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، ***المدخل لدراسة القرآن الكريم***، ط: الثانية، مكتبه السنة، القاهرة، 1423هـ–2003م، ص، 9.

[421]. سيد قطب، ***في ظلال القرآن***، 1861/4.

[422]. الطور، 33/52–34.

[423]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 17/ 255.

[424]. هو: محمد الأمين بن محمد المختار، عالم ومحقق ومفسر، له العديد من الكتب. ولد في بلاد شنقيط، موريتانيا الآن، 1337هـ –1918م، وتوفي الشنقيطي بمكة، 1405هـ–1985م. يوسف، ***تكملة معجم المؤلفين***، 550.

[425]. الشنقيطي، ***أضواء البيان***، 460/7.

[426]. الزمر، 23/39.

[427]. يوسف، 111/12.

[428]. رضا، ***تفسير المنار***، 38/12.

[429]. القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***،17/ 73.

وبقي بعض المراحل التي لم يعد البعض من العلماء والمفسرين من مراحل التحدي، أو لم يفرقوا بينه وبين المراحل المذكورة، بل وقد ذكروه ضمن هذه المراحل.

المرحلة الخامسة: في تلك المراتب الأربعة، كان يطلب منهم أن يأتي بالمعارضة رجل يساوي رسول الله ﷺ في عدم التلمذ والتعلم، ثم في سورة يونس طلب منهم معارضة سورة واحدة من أي إنسان سواء تعلم العلوم أو لم يتعلمها،[430] وهذه المرحلة نتيجة ما اختاره بعض المفسرين بعود الضمير إلى النبي ﷺ من قوله ﴿مثله﴾.

وقد اختار النورسي،[431] هذا القول وجعله في الطبقة الخامسة من مراحل –أو طبقات– التحدي، وتمسك بمنهج الرازي –رحمه الله–.

المرحلة السادسة: في المراتب المتقدمة تحدى كل واحد من الخلق، وفي هذه المرتبة تحدى جميعهم،[432] وهذه المرحلة قد انفرد به الرازي من المفسرين القدماء، وجعل النورسي هذه المرحلة آخر طبقات التحدي ومراحله.[433]

ولا نجد المبالغة والتفريط في نقل ما قاله النورسي–رحمه الله– في تحديد مراحل التحدّي وسماه طبقات التحدي، وقال: أول طبقات التحدِّي هو: أن يقال: فأتوا بمثل تمام القرآن بحقائقه وعلومه وأخباراته الغيبية مع نظمه العالي من شخص أُمّي!.[434] وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾،[435] لما في الآية الكريمة من طلب الإتيان بمثل قرآن كقرآن الذي أنزل الله تعالى على نبينا محمد ﷺ. ثانيتها: وثالثتها: أن يقال: إن لم تفعلوا كذا فأتوا بها مفتريات لكن بنظم بليغ مثله، أو إن لم تفعلوا هكذا ايضاً فأتوا بمقدار عشر سور،[436] وهذا ما يدل عليه من آية التحدي في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.[437] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.[438]

---

430. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 255/17.

431. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 186.

432. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 255/17.

433 ينظر: النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 186.

434. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 186.

435. الإسراء، 88/17–89.

436. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 186.

437. البقرة، 23/2–24.

438. هود، 13/11–14.

ورابعتها: وخامستها: أنه إن لم تقتدروا عليه –أيضاً– فلا أقلّ من أن تأتوا بقدر سورة طويلة، وأنه إن لم يتيسر لكم هذا –أيضاً– فأتوا بمقدار سورة مطلقا ولو أقصر كسورة الكوثر، من شخص أميّ مثله، وسادستها: إنه إن لم يمكنكم الإتيان من أُميّ فأتوا من عالم ماهر وكاتب حاذق، وسابعتها: وثامنتها: أنه إن تعسر عليكم هذا أيضاً فليعاون بعضكم بعضا على الإتيان، وأنه إن لم تفعلوا فاستعينوا بكافة الإنس والجن، واستمدوا من مجموع نتائج تلاحق أفكارهم من آدم إلى قيام الساعة، ونتائج أفكارهم هي مابين أيديكم من تلك الكتب على الأسلوب العربي مع شوق التقليد وعناد المعارضة؛ ففضلاً عن أهل التحقيق لو تصفحها مَنْ له أدنى مسكة ولو جاهل لقال: ليس فيها مثله، فإما هو تحت الكل وهو باطل بالاتفاق، واما فوق الكل وهو المطلوب كما مرآنفاً؛ نعم، لم يعارض في ثلاثة عشر عصراً هكذا مرّ الزمان، وهكذا يمرّ إلى يوم القيامة.

وتاسعتها: أن يقال: لا تتحججوا بأن ليس لنا شهداء، وأنتم لا تشهدون لنا، ألا فادعوا شهداءَكم والمتعصبين لكم فليراجعوا وجدانهم هل يتجاسرون على تصديق دعواكم المعارضة.[439]

وإذا تفهمت هذه الطبقات فانظر إلى القرآن كيف أعجز بأن أوجز فأشار إلى هذه المراتب، فألقمهم الحجر وأرخى لهم العنان.[440]

بعد ذكر مراتب التحدي، وبعد التأمل في جميع آيات التحدي، وتاريخ نزول سورها؛ تبين أنها لم يكن يراع الترتيب التاريخي في مخاطبة المشركين كما زعم جمهور المفسرين، بل ذكر كل منها بمناسبة سياق سورته، فسورة الطور التي فيها: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ هو تحد بجملته، قد نزلت بعد سورتي يونس، وهود، اللتين تحداهم فيها بالعشر بعد الواحدة، وسورة الإسراء، نزلت قبلهن، وفيها ذكر عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، وكان آخر ما نزل في التحدي آية سورة البقرة، وهو تحد للمرتابين فيما نزله الله على عبده بأن يأتوا بسورة من مثله؛ إذ كان نزولها في السنة الثانية للهجرة.[441] بعد هذا العرض ظهر أن المراحل الثلاث الأولى قد إتفق عليها العلماء والمفسرون، وهو إختيار الجمهور، وبالغ البعض في ذكر مراحل التحدي، فعدّ البعض خمسا، أو تسعا، وهذه المراحل الأخرى تدخل ضمن المراحل الثلاث الأولى؛ لأن التحدي وقع إما بالقرآن كله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة مثله، وهذا ما يفهم من تفسير آيات التحدي.

---

[439]. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 186.

[440]. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 188.

[441]. رضا، ***تفسير المنار***، 38/12.

2.3.2. شروط التحدي، وأسبابه

إن التحدي كمصطلح شائع لم يضع له العلماء شروطا رئيسية، ولم يستدلوا للتحدي بشروط مشروطة، ولكن من ضمن ما أثبته العلماء مِن كون التحدي للإعجاز يتبين أنه يترتب على التحدي شروط الإعجاز؛ لأن الإعجاز مقرون بالتحدي، فيأخذ شروطه التي اشترطها العلماء للمعجزة، والإعجاز.

إن دلالة الإعجاز: هو إثبات عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن، ولا يتحقق هذا الإعجاز إلا بأمور ثلاثة: التحدي، ووجود المقتضي، وعدم وجود مانع من المباراة، فالقرآن الكريم تحدى العرب، وطلب منازلتهم ومعارضتهم، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله.[442]

وقد اعتبر بعض العلماء "التحدي" شرطا في المعجزة؛ ولذا قالوا في تعريفها: المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.[443]

وإن اقتران الإعجاز بالتحدي لا يوافق عليه جميع العلماء في جميع المعجزات، ذهب النيسابوري،[444] إلى القول: "أن بعض معجزات النبي لا بد أن تكون مقرونة بالتحدي، أما الكل فممنوع، وبعبارة أخرى لا بد أن يكون مقروناً بفعل خارق عن العادة، ولكن كل فعل خارق للعادة فإنه لا يلزم اقترانه بالتحدي"؛[445] لأن المقصود بالتحدي هو: أن يتحدى النبي بالمعجزة قومه الكافرين المكذبين له، ويطلب منهم معارضتها وإبطالها، أو الإتيان بمثلها، وهم سيجزون عن ذلك؛ لأنها من فعل الله.[446]

فالشروط المعتبرة للإعجاز القرآني هي نفس الشروط المتحققة والمعتبرة في التحدي؛ لأن التحدي القرآني نفسه هو شرط من شروط المعجزة والإعجاز، فاقتران الإعجاز بالتحدي يعدُّ شرطا من شروط المعجزة؛ لأن المعجزة أمر خارق للعادة مقرونة بالتحدي..

أما أسباب التحدي، فقد ظهر من خلال دراسة الآيات الواردة في التحدي أنها أربعة، فمما هو معلوم أن القرآن لمّا نزل، شكك فيه بعض المعارضين من المشركين، يشاكّون ويعاندون،

---

442. الدوري، ***التحدي في آيات الاعجاز***، 9-10.

443. السيوطي، ***الإتقان***، 4/ 3.

444. هو: حسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوريّ، نظام الدين، ويقال له الأعرج: مفسر، أصله من بدلة قم، ومنشأه وسكنه في نيسابور ولد، بعد 850 هـ ،، وتوفي، بعد 1446 م. الزركلي، ***الأعلام***، 216/2.

445. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ***غرائب القرآن ورغائب الفرقان***، تح: الشيخ زكريا عميرات، ط: الأولى، دار الكتب العلميه، بيروت، 1416 هـ، 482/4.

446. الخالدي، ***اعجاز القرآن البياني***، 20.

والبعض يقولون: بافتراء القرآن، مع تعجبهم في نزول القرآن بهذه الصفة وبهذه المراحل التدريجية، فقد وقع عليهم التحدّي لأسباب منها:

السبب الأول: الشك والريب

إن ريب المشركين والمعاندين في معجزات الأنبياء –عليهم السلام– وشكهم في إنزال القرآن بأنه هو من عند الله –تعالى– هو السبب الوحيد في تحدي الله –تعالى– بالإتيان بمثل المعجزات عامة وبمثل القرآن خاصة؛ لذا فإن آيات التحدي تستنتج منها ظهور سبب الشك والريب.

إن آية البقرة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾.[447] نزلت في الكفار، وذلك أنهم قالوا لما سمعوا القرآن: ما يشبه هذا كلام الله وإنا لفي شك منه، ﴿وَإِنَّ﴾ لفظة جزاء وشرط، ومعناه: إذ، لأن الله تعالى علم إنهم شاكون،[448] ولا تنافي بين أن كانوا في ريب فيما مضى، وأن تعلق على كونهم في ريب في المستقبل.[449] إن ريبهم هنا ريب نفسي، وشك ظني، وقد سجلت التحدي عليهم بعد ريبهم وشكهم في القرآن الكريم.

السبب الثاني: الإنكار والمعاندة

إن من إحدى أسباب التحدي هو جحود الكافرين من عدم الإيمان بالقرآن وإنكارهم الدائم لآيات القرآن، وعنادهم المعتاد، ففي آخر آية التحدي يقول الله تعالى: ﴿بَل لاَيُؤْمِنُونَ﴾،[450] جحودا وعنادا، وقد صح عندهم إعجاز القرآن وإلا؛ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾[451] ويقول الله –تعالى– في حق الجاحدين: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾،[452] أي: قد نعْلم إنَّه ليحزُنُكَ ويؤذيك القول الَّذِي يَقُولُونَ في حقك –يا أكمل الرسل– أولئك المعاندون المكابرون من أنك كاذب، ساحر، مجنون، شاعر وغيرها، لا تبال بهم وبقولهم،

---

[447]. البقرة، 2/23–24.

[448]. الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ – 2002 م، 167/1.

[449]. أبو حيان الأندلسي، ***البحر المحيط***، 167/1.

[450]. الطور، 33/52.

[451]. القمي النيسابوري، ***غرائب القرآن***، 195/6.

[452]. الأنعام، 33/6.

فَإِنَّهُمْ في الحقيقة لا يكذبونك، ولكن الظالمين الخارجين عن حدود الله، المنصرفين عن مقتضى أحكامه بِآياتِ اللَّهِ المنزلة عليك من عنده –سبحانه– لهداية التائهين من عباده يَجْحَدُونَ ينكرون ويعاندون جحودا وعنادا على سبيل الإصرار والاستكبار،[453] بعد عجزهم عن الإتيان بالمثل لم يبقى لهم سبيل ولا طريق إلا الإنكار لمعجزة القرآن، والمعاندة بالوقوف أمام عظمة القرآن.

السبب الثالث: إدعاء الكذب والافتراء

وصف الله –سبحانه وتعالى– القرآن بأوصافا تنفي الافتراء، وبين مقامه في الكتب السابقة، وأنه مصدق شاهد لها، وبعد ذلك أخذ يبين مقام المشركين منه وهو إدعاء افترائهم الذي هو منفي عن القرآن لذاته.[454] فقال سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾،[455] فقد وقف المشركون من هذا النبي الكريم، ومن الكتاب الذي أوحي إليه من ربه، وقفوا موقف العناد، والعداء له، والتكذيب به،[456] ومن بعد هذه الآية يبين الله سبب تحديهم بقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.[457]

السبب الرابع: تدريج نزول القرآن

فالقرآن الكريم قد نزل تدريجيا آية آية، سورة فسورة مفرقاً، كما يشير إليه الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.[458]

قال المفسرون في سياق الآيات: إن الكفار كانوا يتحدّون النبي ﷺ بإنزال القرآن جملة واحدة كما أنزلت الكتب السماوية التوراة والإنجيل والزبور جملة واحدة، وعلّلوا نزول القرآن على النبي ﷺ مفرقا بأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فكان لا بد له من التلقين والحفظ؛ اللذين يقتضيان

---

[453]. النخجواني، الشيخ علوان نعمة الله بن محمود، ***الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية***، ط: الأولى، دار ركابي للنشر، القاهرة، 1419 هـ - 1999 م، 217/1.

[454]. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، ***زهرة التفاسير***، دار الفكر العربي، القاهرة، 571/7.

[455]. يونس، 37/10-39.

[456]. الخطيب، ***التفسير القرآني للقرآن***، 1012/6.

[457]. يونس، 39/10.

[458]. الفرقان، 32/25.

إنزال القرآن مفرّقا في حين كان الأنبياء الأولون يقرأون ويكتبون فنزلت عليهم جملة واحدة ومكتوبة، وقد يكون ما قاله المفسرون عن سبب تحدّي الكفار صحيحا.[459]

فالتحدي كان ضرورياً للمعارضين في زمن النزول، وذلك بسبب طلبلهم نزول القرآن بالجملة الواحدة، وإن الأسباب ألتي ذكرناه من الشك والريب والإنكار والإفتراء، هو ما سجله القرآن وبين علة تلك الأسباب في الآيات القرآنية عامة، وآيات التحدي خاصة...

3.3.2. القدر المعجز المتحدى به، ووجوه إعجازه

اختلف العلماء في القدر المعجز من القرآن الذي وقع به التحدي، هل وقع التحدي بكل القرآن؟ أو بسور منه قصيرا كان أو طويلا؟ أو وقع بآية أو آيات منه! واختلفوا على أقوال، كما يقول صاحب الطراز:[460] "واعلم أن الكلام فى الوجه الذى لأجله كان القرآن معجزا دقيق، ومن ثم كثرت فيه الأقاويل واضطربت فيه المذاهب".[461] وفيما يلي عرض للأقوال الواردة لتحديد القدر المعجز من القرآن مع ذكر أدلتها.

القول الأول: مقدار المعجز سورة

وفي تحديد هذا القدر يوجد قولان: فالمقدار المعجز إما سورة طويلة، أو مطلق السورة، أو آية طويلة، ذهبت الأشعرية[462] إلى القول: " أن المعجز إنما هو مقدار أقل سورة منه وهو

---

[459]. دروزة، ***التفسير الحديث***، 82/3.

[460]. هو: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني المُؤيَّد العلوي الطالبي: من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن. يروي أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره. ولد في صنعاء، 669 – 1270م، وتوفى، 745 هـ – 1344م، الزركلي، ***الاعلام***، 143/8.

[461]. العلوي، المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي، ***الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز***، ط: الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، 1423هـ، 216/3.

[462]. هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري؛ المنتسب إلى أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– توفي أبو الحسن الأشعري سنة 324هـ ومن أشهر كتبه: مقالات الإسلاميين،. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، ***الملل والنحل***، مؤسسة الحلبي، دمشق، 94/1.

سورة "الكوثر" فصاعدا، وإن ما دون ذلك ليس معجزا، واحتجوا في ذلك بقول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾،[463] قالوا ولم يتحد تعالى بأقل من ذلك.[464]

ويتعلق الإعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة تشبثا بظاهر قوله: ﴿بِسُورَةٍ﴾؛ فيتعلق المعجز بسورة أو قدرها من الكلام، بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة، قال: فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة "الكوثر" فذلك معجز، قال: ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر، ونسب الباقلاني، هذا القول إلى عامة العلماء بقوله: "الذي ذهب إليه عامة أصحابنا"،[465] ونقله الزركشي،[466] والسيوطي،[467] وذهب السكاكي: إلى "أن القول المنصور عندنا في المتحدى به، إما سورة من الطوال، وإما عشر من الأوساط".[468]

وبما أن السورة جاءت بلفظ نكرة "بسورة" فهي تشمل كل سورة في القرآن طويلة أو قصيرة، فيكون القدر المعجز من القرآن، هو السورة من القرآن الكريم طويلة أو قصيرة، هذا هو رأي جمهور العلماء؛ إلا أن بعضهم زاد على ذلك: أن مقدار السورة القصيرة وهي ثلاث آيات معجز أيضا.[469] ويقول الزركشي: وقد حكى عن بعض المعتزلة، نحو قولنا إلا أن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات الكبيرة.[470] بهذا يتبين أن القدر المعجز من القرآن هو ما يقدر بأقصر سورة منه، وأن القائلين بأن المعجز هو كل القرآن لا بعضه وهم المعتزلة، والقائلين بأن المعجز كل ما يصدق عليه أنه قرآن ولو كان أقل من سورة، كل أولئك بمنأى عن الصواب وهم محجوجون بما بين يديك من الآيات.[471]

---

[463]. يونس، 37/10.

[464]. إبن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، ***الفصل في الملل والأهواء والنحل***، دار النشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، 3/12-13.

[465]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 254.

[466]. الزركشي، ***البرهان***، 108/2.

[467]. السيوطي، ***الإتقان***، 324/2.

[468]. السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي، ***مفتاح العلوم***، ط: الثانية، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407 هـ - 1987 م، ص، 587.

[469]. مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 40.

[470]. الزركشي، ***البرهان***، 108/2.

[471]. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 334/2.

ولم يوافق ابن حزم الظاهري،[472] على هذا الرأي فردّ قائلا من قال: إن مقدار المعجز سورة، ويقول: "ولا حجة لهم في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ﴾؛[473] لأنه –تعالى– لم يقل: إن ما دون السورة ليس معجزا، بل قد قال –تعالى– على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولا يختلف اثنان في أن كل شيء من القرآن قرآن، فكل شيء من القرآن معجز، ثم عارضهم في تحديدهم المعجز بسورة فصاعدا فنقول: أخبرونا ماذا تعنون بقولكم: أن المعجز مقدار سورة أسورة كاملة لا أقل؟ أم مقدار الكوثر في الآيات؟ أم مقدارها في الكلمات؟ أم مقدارها في الحروف؟ ولا سبيل إلى وجه خامس، فإن قالوا: المعجز سورة تامة لا أقل، لزمهم أن سورة البقرة حاشا آية واحدة أو كلمة واحدة من آخرها أو من أولها ليست معجزة، وهكذا كل سورة، وهذا كفر مجرد لا خفاء به؛ إذ جعلوا كل سورة في القرآن سوى كلمة من أولها أو من وسطها أو من آخرها لمقدور على مثلها.[474]

القول الثاني: قليل القرآن وكثيره معجز

ذهبت المعتزلة: إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة،[475] وأنَّ القدر المُعجز من القرآن هو جميع القرآن لا بعضه، ونقل عن بعضهم قولهم: "إن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، وهذا الرأي مصادم ومتعارض لآيات التحدّي التي تدرّجت في التحدّي بكل القرآن إلى التحدّي بعشر سور؛ إلى التحدي بسورة واحدة".[476]

وردّ السيوطي، قول من قال: بأن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لا ببعضه، ويقول: إن آيتي هود، ويونس، دليل على بطلان هذا القول –عند ذكره لمقدار المعجز– بقوله: " والآيتان السابقتان ترده"،[477] إن بطلان القول يظهر من خلال الآيات التي تتحدى بعشر سور، وبسورة واحدة، أو حديث مثله، كما ذهب ابن حزم، إلى هذا القول: وعزاه إلى سائر أهل الإسلام، بقوله: "وذهب سائر أهل الإسلام؛ إلى أن القرآن كله، قليله وكثيره معجز، وهذا هو الحق الذي لا يجوز

---

472. هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، شاعر وكاتب وفيلسوف وفقيه، ولد في مدينة قرطبة، 384 – 456هـ، وكان يلقب بالقرطبي إشارة إلى مولده ونشأته، توفي بقرية منتليشم من بلاد الأندلس، 995 – 1063م. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، 93/20.

473. البقرة، 23/2–24.

474. إبن حزم، ***الفصل***، 13/3.

475. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 254/1.

476. مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 40.

477. السيوطي، ***الاتقان***، 20/4.

خلافه"،[478] ويقول مناع قطان: ونحن لا نرى الإعجاز في قدر معين؛ لأننا نجده في أصوات حروفه ووقع كلماته، كما نجده في الآية والسورة، فالقرآن كلام الله وكفى؛[479] فالقدر المعجز في القرآن وإعجازه في نوعه لا في كمه ومقداره،[480] كما يقول النورسي: تحقق عندي؛ أن الإعجاز ليس بجميع القرآن، بل كل سورة من سوره معجزة، وكل آية من آياته معجزة بل حتى كل كلمة فيه بحكم معجزة.[481] فالقدر المعجز من القرآن إذاً لا يحدد بحد معين ولا بقدر مقدور؛ لأن القول بتحديد الإعجاز بالسورة يخرج منه الآيات، والقول بتحديد الإعجاز بجزء من القرآن يخرج الكلمات والحروف؛ ألتي لم يسمعها العرب من قبل، فالقرآن كلام الله، وهو لا يشبه كلام المخلوق، فكل كلمة من القرآن أو كل حرف منه معجزة..

واختلفوا–أيضا– في وجوه إعجاز القرآن على أقوال:

لا شك في أن القرآن معجزة من أكبر معجزات النبي الباقية الخالدة، وإن إحدى معجزة القرآن اختلاف العلماء، وتعدد الآراء في وجوه إعجاز القرآن الكريم، الذي كان مثارا عند العلماء، واهتموا بهذا الموضوع، وكثرت فيه المؤلفات، وتكلموا عليه قديما وحديثا، ومن هنا نلخص ما قاله العلماء في أوجه الإعجاز.

نقصد بوجوه الإعجاز الأمور التي اشتمل عليها القرآن، وهي تدل على أنه من عند الله، وما كان في استطاعة أحد أن يأتي بمثله، وما كان في استطاعة الجن والإنس أن يأتوا بمثله.

يقول السيوطي، وقد أفرد علماؤنا –رضيَ الله عنهم– بتصنيف إعجاز القرآن، وخاضوا في وجوهِ إعجازِه كثيراً، منهم الخطابي،[482] والرمّاني، والزَّمْلَكاني، والإمام الرازي،[483] والإمام

---

[478]. إبن حزم، ***الفصل***، 13/3.

[479]. القطان، ***مباحث في علوم القرآن***، 272.

[480]. سيد قطب، إبراهيم حسين الشاذلي، ***التصوير الفني في القرآن***، ط: السادسة عشر، دار الشرق، القاهرة، 1424هـ– 2002م، ص، 19.

[481]. النورسي، ***المكتوبات***، ترجمة إحسان صالحي، دار سوزلر، استنبول، 1992م، ص، 509.

[482]. ذكر الخطابي ثلاثة من وجو اعجاز القرآن، ويقول: ذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه الصرفة، أي صرف الهمم عن المعارضة، وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماءِ أهل النظر. الخطابي، ***بيان إعجاز القرآن***، 22–24.

[483]. وقال الإمام الرازي: والمختار عندي –وعند الأكثرين– أنه معجز بسبب الفصاحة، فوجه الإعجاز عنده هو: الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 325/17.؛ السيوطي، ***الإتقان***، 10/4.

الطبري،[484] وابن سراقة،[485] والقاضي أبو بكر الباقِلاني، وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين، والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه، كما قال السكاكي في المفتاح إن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه،[486] وقد عدّها السيوطي في كتابه الإتقان خمسة وثلاثين وجها.[487]

قال البعض: وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة، ولم يكن ذلك من شأن العرب، وقال آخرون: ما تضمنه من الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها، وقال آخرون: ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل.[488]

ذكر الرماني، وجوه الإعجاز في رسالته، في باب سماه "باب البيان عن وجوه الإعجاز" وقد عدّ سبعة من وجوه إعجاز القرآن، ويقول، وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة.[489]

إن أولى وجه إعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، ومباين لأساليب خطاباتهم، ولهذا لم يمكنهم معارضته، ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من أصناف البديع التي أودعوها في الشعر؛ لأنه ليس مما يخرق العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به.[490] وإن قال قائل: فهل في القرآن وجه من وجوه الإعجاز غير ما ذكرتموه من بديع نظمه وَعَجِيب رصفه وتأليفه،؟ فالجواب: أجل فيه وجهان آخران من وجوه الإعجاز: أحدهما: ما إنطوى عَلَيْهِ من أَخْبَار الغيوب التي يعلم كل عَاقل عجز

---

[484]. ذكر الطبري: الوجوه العشرة التي عدها وهي: "نظمه البديع المخالف لكل نظم معهود، وأسلوبه العجيب المخالف لجميع الأساليب، وجزالته التي لا تمكن لمخلوق، والتصرف في الألفاظ العربية على وجه لا يستقل به عربي، والوفاء بالوعد المدرك بالحس والعيان كوعد المؤمنين بالنصر وغير ذلك، والإخبار عن المغيبات المستقبلة التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، وما تضمنه القرآن من العلوم المختلفة التي بها قوام الأنام، واشتماله على الحكم البالغة، وعدم الاختلاف والتناقض بين معانيه، والإخبار عن الأمور التي تقدمت من أول الدنيا إلى وقت نزوله بما لم تجر العادة بصدوره". االزركشي، ***مناهل العرفان***، 413/2.

[485]. هو: محمد بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم أبو بكر، محيي الدين الأَنْصَارِي الشاطبي، المعروف بابن سراقة: (592 – 633 هـ = 1196 – 1264 م). الزركلي، ***الأعلام***، 322/5.

[486]. السيوطي، ***معترك الأقران***، 5/1.

[487]. ينظر: السيوطي، ***الإتقان***، 4/3 – 27.

[488]. السيوطي، ***الإتقان***، 8/4.

[489]. الرماني، ***النكت***، 109.

[490]. ينظر: الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 69.؛ السيوطي، ***الإتقان***، 9/4.

الْخلق عَن مَعْرفَتهَا والتوصل إِلَى إِدْرَاكهَا، والوجه الآخر: مَا عَلَيْهِ القرآن من قصَص الْأَوَّلين، وسير الماضين وَأَحَادِيث الْمُتَقَدِّمين،[491] فهذا وجوه الإعجاز في القرآن التي عدّها الباقلاني.

ووجه الإعجاز للقرآن راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة، وعلت مركباته معنى بأن يوضع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى.[492] والصحيح –الذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه– أن التحدي إنما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه،[493]

وقال حازم القرطاجني،[494] وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا يوجد له فترة، ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب.[495]

وقد أشار النورسي، إلى وجوه الإعجاز القرآني، ولكن وجود الوجوه عنده قد تختلف فيما حدده العلماء من قبله، ولم يقلد في بيان هذه الوجوه، مع تقريره ببعض الوجوه التى ذكرها العلماء، حيث صنفه على حسب طبقات الناس من كل الأصناف، وجعله أربعين طبقة، ويقول: " إن للقرآن الكريم اعجازاً لكل طبقة من طبقات الناس، إلاّ أنه يُشعر إعجازه هذا بأسلوب معين وبنمط خاص"،[496] وأن تكون لكل طبقة من طبقات الناس حظها من هذا الإعجاز.

ويبيّن الطبقات بقوله: فمثلاً؛ يبيّن إعجازه الباهر في البلاغة، لأهل البلاغة والفصاحة، ولأرباب الشعر والخطابة، ثم أنه يبين إعجازه فيما يخبر من أنباء معجزة عن الغيب فيتحدى به طبقة الكهان، ثم أنه يقصّ لأهل التاريخ، ويعرض –ايضاً– إعجازه، لعلماء الإجتماع والسياسة والحكم، وذلك بعرض ما في الدساتير القرآنية المقدسة من إعجاز، والذين توغلوا في المعارف الإلهية والحقائق الكونية، والذين يسلكون طرق الولاية والتصوف، وهكذا تُفتح أمام كل طبقة من الطبقات الأربعين للناس نافذة مطلة إلى الإعجاز الباهر، " بل انه يبين اعجازه حتى لأولئك الذين

---

491. الباقلاني، ***تمهيد الأوائل***، 185–186.

492. السيوطي، ***الإتقان***، 4/ 9.

493. ابن عطية، ***المحرر الوجيز***، 52/1.؛ السيوطي، ***الإتقان***، 10/4.

494. هو: حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن: أديب من العلماء له شعر. من أهل قرطاجنة، بشرقي الأندلس، 608هـ–1211م، وتوفى، 684 هـ –1285م. الزركلي، ***الأعلام***، 159/2.

495. السيوطي، ***الإتقان***، 10/4.

496. النورسي، ***المكتوبات***، المكتوب التاسع عشر، 1/ 110.؛ الدغامين، زياد خليل محمد، ***إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي***، ط: الأولى، چاغلان، دار النيل، إزمير، 1419هـ–1998م، ص، 44.

لا يملكون سوى قدرة الاستماع من دون أن يقدروا على التوغل في الفهم من "عوام الناس" فنراهم يصدِّقون أعجازه ويشعرون به بمجرد سماعهم له..".[497]

وإن بنت الشاطئ، تؤكد بأن إعجاز البلاغة ليس فيه اختلاف على ما تراها وتقول: "فالواقع أن المصنفات الأولى في الإعجاز، على اختلاف مذاهب أصحابها، جاءت أشبه بمباحث بلاغية مما قدروا أن إعجاز القرآن يُعرف بها، وإن استوعبت أقوال المتكلمين في وجوه الإعجاز، فرسائل الخطابي، والرماني المعتزلى، والباقلانى تأخذ مكانها في المكتبة البلاغية".[498]

نعم تباينت أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، لذا يمكن أن نجمع الأقوال جميعا في أربعة وجوه وهي:

أولا: الإعجاز البياني، ثانيا: الإعجاز العلمي –التجريبي–، ثالثا: الإعجاز التشريعي، رابعا: الإعجاز الغيبي.[499]

وقال أبو حيان التوحيدي: سئل بندار الفارسي،[500] عن موضع الإعجاز من القرآن، فقال: هذه مسألة فيها حيف على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الإنسان من الإنسان؟ فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء فيه،[501] ولا يحدد إعجاز القرآن؛ لأن كله معجزة.

بعد نقل آراء العلماء في إعجاز القرآن يبدو أن وجوه إعجازه كثيرة، وتحتاج إلى بحث مستقل، كما دارسه المعاصرون، وألفوا حوله كتبا كثيرة، ولكن نستشهد بقول صبحي صالح،[502] بقوله عن الإعجاز القرآني: "إن هذا القرآن– في كل سورة منه وآية، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة، وفي كل مطلع منه وختام– يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغما، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو

---

[497]. النورسي، ***المكتوبات***، المكتوب التاسع عشر، 1 /110– 112.

[498]. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق***، 94.

[499]. مصطفي مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 113.

[500]. هو: ابن بُنْدَار اليَزْدي، أسعد بن الحسين بن سعد، ابن بندار، أبو ذر اليزدي: عالم بالقرآت. من أهل يزد بإيران، قرأ بأصبهان وأقام بها مؤذّنا في جامعها، ولد نحو 580 هـ= 1185 م. الزركلي، ***الأعلام***، 1/ 300.

[501]. السيوطي، ***الإتقان***، 14/4.

[502]. هو: صبحي إبراهيم الصالح، ولد في طرابلس (1345هـ–1926م) عالم، باحث، كاتب، داعية، وقتل غيلة (1407هـ–1986م). يوسف، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل، ***تكملة معجم المؤلفين***، ط: الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1418 هـ – 1997 م، ص، 241.

نوازن بين مقطع ومقطع، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص، إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل، وندعمها بالشاهد، مؤكدين أن القرآن نسيج وحده في بلاغته وسحر بيانه، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه!.[503]

4.3.2. نتيجة التحدي، وأهميته

بعدما عجز المشركون عن الإتيان بمثل شيء من القرآن الكريم، وتركهم المعارضة، وسلوكهم طرقا شتى، ولم ينتجوا شيئاً، بقي التحدي مستمراً، وعاماً، على حاله هكذا، ويبقى إلى يوم القيامة، حتى ولو عارضه المعارضون أو شكّ فيه المشكّكون، فيبقى بدون ريب بعيدا عن الانحراف والتغيير، لما وعد الله بحفظه.

وهذا التحدي هو لجميع الخلق، وهذا قد سمعه كل من سمع القرآن وعرفه الخاص والعام، وعلم –مع ذلك– أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله، ومن حين بعث النبي، وإلى اليوم، الأمر على ذلك، مع ما علم من أن الخلق كلهم كانوا كفارا قبل أن يبعث، ولما بعث إنما تبعه قليل.[504] فالتحدّي إستنتج غلق أفواه المعارضين، وقطع دابر هؤلاء المشركين الذين راموا معارضة القرآن، فالتحدي وقع ولم تقع المعارضة، وهذا تثبت نتيجة التحدّي وهو وقوعهم في الحيرة والدهشة، وأنتج سكوت بعض المعارضين، وآمن البعض الآخر.

أما بالنسبة لأهمية التحدي، وحكمته، فالتحدي قد وقع للمشركين والمرتابين، من الله –تعالى– ووجّه إلى كافة الناس بدون إستثناء، في حينٍ كانت الفصاحة تظهر إبداعاتها الرائقة، وغرائبها المرونقة، فلم يكن بوسعهم الرد أمام هذه التحديّات الصادرة من ألفاظ القرآن، فبهتوا وانبهروا هكذا خالية الأيدي محيرة العقول.

فإذا كان قد تحداهم بالمعارضة –مرة بعد مرة– وهي تبطل دعوته، فمعلوم أنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها، فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كانت القدرة حاصلة، وجب وجود المقدور، ثم هكذا القول في سائر أهل الأرض، فهذا القدر يوجب علما بينا لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة، وبغير حيلة،[505] وأن ما أتى به الرسول من

---

[503]. صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، 334.

[504]. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، الحراني الحنبلي الدمشقي، ***الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح***، تح: علي بن حسن؛ عبد العزيز بن إبراهيم؛ حمدان بن محمد، ط: الثانية، دار العاصمة، رياض، 1419هـ / 1999م، 426/5.

[505]. ابن تيمية، ***الجواب الصحيح***، 427/5.

القرآن ظاهره الوعيد لا مرية فيه، ولا لبس، وقد كان –عليه السلام– يتحداهم بالقرآن مدة من الزمان حالاً بعد حال، وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، وكانوا في نهاية الحرص على إبطال أمره، وأقوى الأمور في إبطال أمره معارضة القرآن، فلو قدروا على المعارضة لامتنع أن لا يأتوا بها، لأن الفعل عند توفر الدواعي وارتفاع الصارف واجب الوقوع، فلما لم يأتوا بها دلَّنا ذلك على أنه في نفسه معجز.[506]

إن حكمة هذا التحدي وذكرهِ في القرآن، إنما هي أن يشهد التاريخ في كل عصر بعجز العرب عنه، –مع ما هم عليه من البلاغة– فكانوا مَظنةَ المعارضة والقدرة عليها، حتى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن، مُولد أو أعجمي أو كاذب أو منافق أو ذو غفلة، فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثله، وأنه غير معجز، وأن عسى أن لا يعجز عنه إلا الضعيف وياالله من سموّ هذه الحكمة وبراعة هذه السياسة التاريخية لأهل الدهر.[507]

أما الحكمة الأخرى فباطنة لازمة للأولى وهي التي تمت بها الفائدة، وهي أنه يوجه الأنظار، ويشغل الأفكار، بالتأمل في القرآن، وتدبر ما حواه من حكمة وعرفان، وما لها في القلوب والعقول من تأثير وسلطان،[508] وأن يدعوَهم إلى النظر في أساليبه ووجه نظمه وتدبُر طريقته، وأن يروزوا أنفسهم منها وَيزنوها به، حتى إذا استيقنوا العجز وأطرقوا عليه، كان ذلك سبباً لمن يخلفهم على اللغة إلى استبانة وجوه الإعجاز.[509] فظهر من التحدّي أهداف مهمة بما يشهده التاريخ من العجز عن المعارضة، واشتغال الأفكار، وفتح العقول بالتدبّر والتأمل في جميع أساليب القرآن العجيبة وأسراره الكمينة مما احتواه القرآن الكريم.

---

[506]. ابن عادل الحنبلى، ***اللباب في علوم الكتاب***، 450/13.

[507]. الرافعي، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، 118.

[508]. رضا، ***تفسير المنار***، 38/12.

[509]. الرافعي، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، 165.

3. المعارضة وانعدامها، ونظرية الصَرفة

إن إحدى المواضيع المثيرة بالاهتمام عند المشككين في القرآن، والمعاندين لإعجازه، هو موضوع المعارضة، وإدعاء الإتيان بكلمات تافهة غير معقولة المعنى، ومن ثم الزيغ والريب اللّذان يثيرهما الكثير من الناس فيما يتعلق بإبطال المعجزات، ونفي إعجاز القرآن بعرض بعض من الأقوال، فمن المفيد أن أكثرية آيات التحدي كانت ردّاً على المعارضين، وإبطالا لدعواهم الباطلة، وتناسب موقف المعارضين، هذا هو المدار الذي نخوض فيه.

1.3. المعارضون وفشلهم في المعارضة

سجل في التاريخ الإسلامي بعض من المنقولات، وتفاهات من الكلام، ممن ادعوا معارضة القرآن، سواء من جهة المعنى أو الألفاظ، أو من جهة إثبات إعجازه بجميع وجوهه، فتتحدّاهم الآيات وتطلب منهم معارضة القرآن، والإتيان بسورة مثله،[510] فعجزوا وهم أهل اللغة وأهل البيان "أجل، لقد سجل التاريخ هذا العجز على أهل اللغة أنفسهم في عصر نزول القرآن، وما أدراك ما عصر نزول القرآن؟ هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي."[511] جمعوا الحشود في الصحراء، ورفعوا المنابر في الأسواق وعرضوا فيها أنفس بضائعهم، وأجود صناعاتهم، وما البضاعة إلا بضاعة الكلام، وما الصناعة إلا صناعة الشعر والخطابة، يتبارون في عرضها، ويتنافسون في نقدها، "فما هو إلا أن جاء القرآن، وإذا الأسواق قد انفضت إلا منه، وإذا الأندية قد صفرت إلا عنه، فما قدر أحد منهم أن يباريه أو يجاريه"، كرروا النظر، ورجعوا البصر، لعلّهم يجدون فيه فجوة ينفذون منها، فعاد إليهم البصر خاسئًا وهو حسير،[512] يقول الجاحظ: "إنّ رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة، –من القرآن– طويلة أو قصيرة؛ لتبين له في نظمها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب؛ لظهر عجزه عنها" وليس ذلك في الحرف والحرفين، والكلمة والكلمتين،[513] وإنما الإعجاز في كل القرآن، والمعارضة حاصلة بكل آيات منه.

---

[510]. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ***التفسير والتأويل في القرآن***، ط: الأولى، دار النفائس، الأردن، 1416 هـ– 1996 م، 79.

[511]. درّاز، محمد بن عبد الله، ***النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم***، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، دمشق، 1426هـ– 2005م، ص، 112.

[512]. فهد الرومي، ***دراسات في علوم القرآن***، 264.؛ ودرّاز، ***النبأ العظيم***، ص، 112.

[513]. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، ***الرسائل للجاحظ***، تح؛ وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384 هـ – 1964 م، 229/3.

أما الطريقة التي سلكها إلى ذلك –المعارضة– فهي أن التحدي كان مقصوراً على طلب المعارضة بمثل القرآن، ثم بعشر سوَر مثله مفتريات لا يلتزمون فيها الحكمة ولا الحقيقة، وليس إلا النظم والأسلوب، وهم أهل اللغة، ولن تضيق أساطيرهم وعلومهم أن تسعها عشر سور، ثم قرَن التحدي بالتأنيب والتقريع، ثم استفزَّهم بعد ذلك جملة واحدة كما ينفجُ الرَّمادُ الهامدُ، فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾،[514] فقطع لهم أنهم لن يفعلوا، وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله، ولا يقولها عربي في العرب أبداً، وقد سمعوها واستقرت فيهم ودارت على الألسنة، وعرفوا أنها تنفي عنهم الدهر نفياً وتعجزهم آخر الأبد فما فعلوا ولا طمعوا قط أن يفعلوا، وقد انقطعت بهم كل سبيل إلى المعارضة.[515]

فرغم قطع السبل، واستفزازهم بالتحدّي فلم يقف بعض المعارضين فيما وجِّه إليهم، من طلبات آيات القرآن، فأوقعوا أنفسهم في مأزق وتورط، وقاموا بمعارضة القرآن من عند أنفسهم، في كل من العصرين، عصر النزول، وبعده.

1.1.3. المعارضون في زمن النزول وما نقل منهم

لما بدأ الوحي الإلهي ونزل القرآن في حينٍ، ارتقى فيه سمو البلاغة، بدأ الإنكار والرد من قبل المعارضين والمنكرين من الشعراء خاصة، ومن زعماء العرب، وأهل اللسان عامة، فذهب البعض منهم بأنه سحر، أو شعر، أو كهانة، وقال الآخرون: افتراء، وقال المعارضون: إن باستطاعتنا الإتيان بمثل هذه الأقوال، فوضعوا كلماتٍ، ونثروا عباراتٍ، وعارضوا بها القرآن المعجز الذي ليس فيه شيء من صنع البشر، وفيما يلي نعرض ما قالوه، مع التعريف بهم.

قبل ذكر هؤلاء المعارضين يجب أن نعلم أنهم لما هموا أن يعارضوا القرآن؟ فكان ما أتوا به باسم المعارضة لا يخرج عن أن يكون محاولات مضحكة مخجلة أخجلتهم أمام الجماهير، وأضحكت الجماهير منهم فباؤوا بغضب من الله وسخط من الناس، وكان مصرعهم هذا كسبا جديدا للحق، وبرهانا ماديا على أن القرآن كلام الله القادر وحده، لا يستطيع معارضته إنسان ولا جانٌّ، ومن ارتاب فأمامه الميدان،[516] فجاءوا في معارضة القرآن بكلام لا يشبه القرآن ولا يشبه كلام أنفسهم؛ بل نزلوا إلى ضرب من السخف والتفاهة بادٍ عَوارُه، باقٍ عارُه وشَنارُه: فمنهم عاقلٌ استحيا أن يُتم تجربته، فحطم قلمه، ومزق صحيفته، ومنهم ماكر وجد الناس في زمنه أعقل من

---

[514]. البقرة، 24/1.

[515]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، ص، 118.

[516]. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 33/2.

أن تروج فيهم سخافاته، فطوى صحفه وأخفاها إلى حين، ومنهم طائش برز بها إلى الناس، فكان سخرية للساخرين ومثلًا للآخرين.[517]

فالنظار من أهل الفصاحة والبلاغة مجمعون على أن المعارضة بين الكلامين إنما تكون معارضة إذا كان بينهما مقاربة ومداناة بحيث يلتبس أحدهما بالآخر، أو يكون أحدهما مقاربا للآخر،[518] ومن المعلوم أن ما نقل من المعارضين لا يشبه شيئا من القرآن، ويكفينا ذكر مشهد مما يروى: أن كفار قريش لما تعاطوا معارضة القرآن عكفوا على لباب البر، ولحوم الضأن، وسلاف الخمر أربعين يوماً؛ ليصفوا أذهانهم، وكانوا من فصحاء العرب، وأخذوا فيما أرادوا، فلما سمعوا، قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾،[519] قال بعضهم لبعض: هذا كلام لا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا.[520]

وفي السطور القادمة نذكر بعضاً ممن حاولوا معارضة القرآن الكريم، مع العلم بأن محاولاتهم باءت بالفشل التام، ولم يستنتج منه شيء، منهم:

1.1.1.3. النضر بن الحارث (ت: 2هـ)

هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة ابن عبد مناف بن عبد الدار ابن قصي القرشي العبدري، أسر يوم بدر وقتل كافرا قتله علي بن أبي طالب بأمر رسول الله ﷺ.[521]

ثبت المفسرون بأن النضر بن الحارث قد عارض القرآن وقد نزل بعض من الآيات في شأنه، كما يقول السمرقندي،[522] كان –النضر– يحدث عن الأمم الخالية من حديث رستم

---

[517]. دراز، ***النبأ العظيم***، 110.

[518]. العلوي، ***الطراز***، 214/3.

[519]. هود، 44/11.

[520]. المُجَاشِعِي، أبو الحسن علي بن فَضَّال بن علي بن غالب القيرواني، ***النكت في القرآن الكريم***، دراسة و تح: عبد الله عبد القادر الطويل، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428 هـ – 2007م، ص، 250.

[521]. النووي، محي الدين بن شرف، ***تهذيب الأسماء واللغات***، تح: مكتب البحوث والدراسات، ط: الأولى، دار النشر: دار الفكر، بيروت، 1996م، 426/2.

[522]. هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم أبُو اللَّيْث السَّمَرْقندي، الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، ولد، 373 هـ، 983 م. الزركلي، ***الأعلام***، 27/8.

وإسفنديار، فقال: "الذي يخبركم محمد مثل ما أحدثكم من أحاديث الأولين وكذبهم"،[523] فنزلت قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾،[524] وعن عكرمة أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث؛ لأنه عارض القرآن، فقال: والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، فالخابزات خبزا، فاللاقمات لقما.[525]

2.1.1.3. مسيلمة (ت: 12 هـ = 633 م)

هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، متنبئ،[526] من المعمرين،[527] ونزلت آيات من القرآن فِي مسيلمة الكذَّاب، وَذَلِكَ أنه ادّعى النبوة،[528] وزعم أن الله أوحى إليه،[529] إنه من أشد المعاندين للقرآن وأكثر المعارضين له، فقد نقل العلماء بعضاً مما قاله، ويذكر باسم قرآن مسيلمة. يقول الباقلاني: أما كلام "مسيلمة الكذاب" وما زعم أنه قرآن، فهو أخس من أن نشتغل به، وأسخف من أن نفكر فيه، وإنما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارئ، وليتبصر الناظر، فإنه على سخافته قد أضل، وعلى ركاكته قد أزل، فيما كان يزعم أنه نزل عليه من السماء: "والليل الاضخم، والذئب الأدلم، والجذع الأزلم،[530] ما انتهكت أسيد من محرم"!،[531] وقوله: "والمبديات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً،[532] والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات

---

[523]. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، ***بحر العلوم***، تح: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، 18/2.

[524]. الانفال، 31/8.

[525]. القرطبي، ***الجامع لاحكام القرآن***، 41/7.؛ والماوردي، ***النكت والعيون***، 2/ 144.

[526]. من تنبَّأَ، يتنبَّأ، تنبُّؤًا، فهو مُتنبِّئ، تنبَّى، ادّعى النُبوءة، وهي تبليغ وحي الله إلى الناس "تنبّأ مُسيلمة فوُصِف بالكذّاب". عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 2152/3.

[527]. الزركلي، ***الأعلام***، 226/7.

[528]. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، ***معاني القرآن***، تح: أحمد يوسف النجاتي؛ محمد علي النجار؛ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط: الأولى، دار المصرية، مصر، 344/1.

[529]. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ***أسباب النزول***، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: الثانية، دار الإصلاح، الدمام، 1412هـ - 1992م، 220.

[530]. الجذع الأزلم: الدهر.

[531]. لقد قال هذا لفضّ خلاف وقع في قوم أصحابه: إنه ليس جديرًا بأن سمَّى كلامًا فضلًا عن أن يكون له فصاحة أو بلاغة، أو أي نوع من الإدراك البياني. أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 54.

[532]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، ص، 156.

خبزا والثاردات ثردا،[533] واللاقمات لقما،[534] إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوئوه،[535] وكذا "الفيل وما أدراك ما الفيل له أذن وثيل وخرطوم طويل"،[536] و" يَا دَبْرُ يَا دَبْرُ،[537] يَدَانِ وَصَدْرٌ، وَسَائِرُ خَلْقِهِ حَفْرٌ وَنَفْرٌ"،[538] وقال أيضاً، " والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس"! وكان يقول: "والشاء وألوانها، وأعجبها السود، وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض، إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم لا تجتمعون"! وكان يقول: "ضفدع بنت ضفدعين، نقي ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الارض ولقريش نصفها، ولكن قريش قوم يعتدون"!.[539]

ويقول الجاحظ: ولا أدري ما هيّج مسيلمة على ذكرها –الضفدع– ولم ساء رأيه فيها، حيث جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه.[540] ذكر الضفدع، ويقول الباقلاني: إن ما نُقل من مسيلمة "دَال على جهل مورده، وَضعف عقله ورأيه، وَمَا يُوجب السخرية مِنْهُ والهزء بِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مَعَ ذَلِك خَارِجا عَن وزن رَكِيك السجع وسخيفه".[541]

هذا ما نقل من مسيلة الكذّاب، بادعائه أنه ينزل عيله من السماء، وأنه نبي، ولم يذكر في التاريخ ما يسمى بالقرآن الفلاني ما عدا مسيلمة.

---

[533]. الطحمة: سواد الليل. ثرد الخبز ثردا: فتّه ثم بله بمرق.

[534]. المستغفري، أَبُو العَبَّاسِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدِ بنُ المُعْتَزِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ المُسْتَغْفِرِ بنِ الفَتْحِ بنِ إِدْرِيْسَ النَّسَفِيُّ، ***فضائل القرآن***، تح: أحمد بن فارس السلوم، ط: الأولى، دار ابن حزم، 2008 م، 283/1.

[535]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، ص، 156.

[536]. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، ***كشف المشكل من حديث الصحيحين***، تح: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، 1418هـ - 1997م، 320/3.

[537]. وفي بعض النسخ يا وبر يا وبر.

[538]. الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري، ***مساوئ الأخلاق ومذمومها***، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ط: الأولى، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1413 هـ - 1993 م، 84.

[539]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 157.

[540]. الجاحظ، ***الحيوان***، 280/5.

[541]. الباقلاني، ***تمهيد الأوائل***، 182.

3.1.1.3. طُليحة الأسدي (ت: 19هـ)

هو: طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن حجوان بن فقعس الأسدي الفقعسي، و وفد على النبي ﷺ وأسلم، ثم ارتد طليحة وأخوه سلمة، وادعى طليحة النبوة،[542] فكان طليحة يقول: إن جبريل يأتيني –بالوحي– وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة ويقول: "إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئا، اذكروا الله اعبدوه قياما، فإن الرغوة فوق الصريح."[543] وقوله: " والحمام واليمام، والصّرد الصّوّام، قد ضمن قبلكم بأعوام، ليبلغنّ ملكنا العراق والشام".[544] وإنما كانت كلمات يزعم أنها نزلت عليه.

وأما وحي طليحة فقد كان ينزل به عليه –فيما يزعم– ملك سمّاه ذا النون، ثم عدل عن ذي النون، وقال: لا بل هو جبريل، ولم يعرف شيء عن قرآنه المزعوم،[545] إلا ما أشرنا إليه من القولين السابقين، وهذان القولان قد نسبه بعض العلماء إلى بعض من المعارضين غير طليحة.

ثم أسلم طليحة إسلاما صحيحا، فقال له عمر: أنت الكاذب على الله حين زعمت أنه أنزل عليك، "إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، وقبح أدباركم شيئا، فاذكروا الله قيّاما فإن الرّغوة فوق الصريح"، فقال: يا أمير المؤمنين، ذلك من فتن الكفر الذي هدمه الإسلام كله فلا تعنيف عليّ ببعضه،[546] ويقال إنه استشهد بنهاوند سنة إحدى وعشرين.[547]

---

[542]. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي الشافعي، ***الإصابة في تمييز الصحابة***، تح: علي محمد البجاوي، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، 1412هـ – 1992م، 542/3.

[543]. الجزري، ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، 206/2.

[544]. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ***نهاية الأرب في فنون الأدب***، ط: الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 هـ، 70/19.

[545]. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، ***إعراب القرآن وبيانه***، ط: الرابعة، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، 1415هـ، 61/1.

[546]. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي، ***معجم البلدان***، ط: الثانية، دار صادر، بيروت، 1995 م، 408/1.

[547]. ابن حجر العسقلاني، ***الإصابة***، 542/3.

4.1.1.3. عبد الله بن أبي سرح (ت: 37هـ)

هو: عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث العامري القرشي أسلم قبل الفتح، وهاجر وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتد مشركاً، فلما كان عام الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، فغيبه عثمان بن عفان –رضي الله عنه–.[548]

كان قد تكلم بالإسلام، ويقول: لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه، ولئن كان كذابا لقد قلت كما قال، وهذا قول ابن عباس في رواية الكلبي، ونزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح آيات من القرآن، يقول الواحدي نزلت،[549] قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾،[550] في عبد الله بن سرح .[551] وأسلم عبد الله أيام الْفَتْح، فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عَلَيْهِ بعد ذَلِكَ، وَهُوَ أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش، ثُمَّ ولاه عُثْمَان بعد ذَلِكَ مصر فِي سنة خمس وعشرين، واعتزل الفتنة زمن عثمان بن عفان –رضي الله عنه–، ومات بعسقلان وهو يصلي الصبح سنة سبع وثلاثين.[552]

---

[548]. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ***الاستيعاب في معرفة الأصحاب***، تح: علي محمد البجاوي، ط: الأولى دار الجيل، بيروت، 1412هـ–1992م، 918/3.

[549]. الواحدي، ***أسباب النزول***، 220.

[550]. الأنعام، 93/6.

[551]. قال المفسرون : نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والأسود العنسي، عن النبي ﷺ قال: ((رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني، فأوحى الله إلي أن نفخهما فنفختهما فطارا عني فأوّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي، وقال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، كان مسيلمة يقول: محمد رسول الله في بني قريش، وأنا رسول الله في بني حنيفة. القمي النيسابوري، ***غرائب القرآن***، 121/3.

[552]. ابن عبد البر، ***الاستيعاب***، 918/3.

5.1.1.3. سجاح (ت: نحو 55هـ)

هي: سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية، راسخة في النصرانية، وادعى النبوة، في الردة وتبعها قوم، وهاجمت،[553] بجيشها على مسيلمة، ثم صالحت مسيلمة وتزوجته،[554] وإن سجاع لم تدع قرآناً، وإنَّما كانت تزعم أنه يوحى إليها بما تأمر وتسجع في ذلك سجعاً،[555] ومما نقلت منها أنها قالت: عليكم باليمامه، ودفوا دفيف الحمامه، فإنها غزوة صرامه، لا يلحقكم بعدها ملامه.[556]

وقد جرى بينها وبين مسيلمة محاكاة، فقالت سجاح، –وكانت تتنبأ، واجتمع مسيلمة معها– فقالت له: ما أوحي إليك؟ فقال: "ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، ما بين صفاق وحشا"! وقالت: فما بعد ذلك؟ قال: أوحي إلي: "إن الله خلق النساء أفواجاً، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فنولج فيهن قعساً إيلاجاً، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً نتاجاً" فقالت: أشهد أنك نبى! ولم ننقل كل ما ذكر من سخفه، كراهية التثقيل.[557]

يقول ابن الوردي،[558] فيما جرى بينهما: "فكل منهما أبدى منطقا ركيكا، سمجا باردا، وأنشدها شعرا، قلت: حذفت ما قالاه، وحذفت الشعر لقبحه وصنت هذا الكتاب،".[559] ثم بعد قتل مسيلمة عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية.[560]

---

[553]. يذكر ابن كثير: إن سجاح قصدت بجنودها اليمامة، لتأخذها من مسيلمة بن حبيب الكذاب، فهابه قومها، وقالوا: إنه قد استفحل أمره وعظم، فقالت لهم هذه الأقوال..، قال: فعمدوا لحرب مسيلمة، فلما سمع بمسيرها إليه خافها على بلاده، وذلك أنه مشغول بمقاتلة ثمامة بن أثال، وقد ساعده عكرمة بن أبي جهل بجنود المسلمين. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ***البداية والنهاية***، تح: علي شيري، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ – 1988م، 352/6.

[554]. ابن حجر العسقلاني، ***الإصابة***، 723/7.

[555]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 123.

[556]. ابن الاثير، ***الكامل في التاريخ***، 210/2.

[557]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 157.

[558]. هو: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس زين الدين ابن الوردى الفقيه الشافعى الحلبى، نشأ بحلب وتفقه بها، ومات في الطاعون آخر سنة، 749هـ. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، ***البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع***، دار المعرفة، بيروت، 514/1.

[559]. ابن الوردي، أبو حفص، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، المعري الكندي، ***تاريخ ابن الوردي***، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ – 1996م، 134/1.

[560]. ابن حجر العسقلاني، ***الإصابة***، 723/7.

فما ذكرنا من المعارضين في زمن النزول، كان شيئا قليلا من حياتهم، وما نقل منهم من مقولاتهم وسخافاتهم المشبهة حسب ظنهم بالقرآن، وهم عاشوا زمن النزول، فالتاريخ يشهد بأن ما قالوه لم يكن شيئا يثير بالإهتمام به، ولم يكن شيئا يشبه القرآن، لا في نظمه ولا في معناه، بل كلمات في غاية السخافة والجهالة.

2.1.3. المعارضون بعد زمن النزول

القرآن الكريم لم يخلُ من المعارضة منذ نزوله، وسوف تستمر المعارضة، ولا يخلو إلى يوم القيامة، فمع كل تلك المحاولات من المعارضة، والبحث من وجود شيء متناقض فيه، وكذا افتراءات كثيرة حوله، بقى القرآن مصونا محفوظا من كل تحريفات وتزييفات، ويبقى هكذا خاليا من النقص وعاليا من الذكر، فالقرآن الكريم قد تعرض للمعارضة في زمن كانت البلاغة والفصاحة قد بلغتت من الأدباء والبلغاء كل مبلغ، فقام كل بليغ معارض وكل أديب مناضل بإظهار بطولته البيانية ليعارض به القرآن الكريم، ولكن كان موضع سخرية واستهزاء بأنفسهم، ومع مرور زمن النزول بقى بعض المعارضين، ووقعوا أنفسهم في فخ الاستحياء، وأتوا بكلمات سخيفة مما في زعمهم أنه مماثل للقرآن أو مشابه له، ونحاول هنا ذكر من عارض القرآن بعد زمن النزول، أو من نسب إليهم المعارضة، منهم:

1.2.1.3. ابن المقفع (ت: 141 – 150 هـ)

اسمه بالفارسية روزبه،[561] وكان اسم أبيه داذويه،[562] وهو عبد الله بن المقفع، ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد، والمقفع بن المبارك، وانما تقفع؛[563] لان الحجاج بن يوسف ضربه بالبصرة ضربا مبرحا فتقفعت يده، وأصله من حوز مدينة من كور فارس،[564]

---

[561]. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي، ***الفهرست***، تح: إبراهيم رمضان، ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ – 1997م، ص، 150.

[562]. الذهبي، ***تاريخ الإسلام***، 200/9.

[563]. القفاع: داء تشنج منه الأصابع وقد تقفعت هي والمقفعة خشبة تضرب بها الأصابع. ابن منظور، ***لسان العرب***، 3703/5.

[564]. ابن النديم، ***الفهرست***، 150.

وقيل: عَبْد اللهِ بْن داذبة، وَهُوَ المقفّع، من أشراف أَهْل فارس،[565] أحد المشهورين بالكتابة، والبلاغة، والترسل، والبراعة،[566] وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق.[567]

وله من الكتب: كتاب، كليلة ودمنة، الأدب الصغير، الدرّة اليتيمة، الأدب الكبير، رسالة في الأخلاق، وله كتب أخرى نقلها عن الفارسية، منها: كتاب التاج في سيرة أنوشروان، كتاب سيرة ملوك العجم.[568]

يقول الباقلاني، وقد إدعى قوم أن "ابن المقفع" عارض القرآن، وإنما فزعوا إلى "الدرة " و"التليمية"، وهما كتابان: أحدهما يتضمن حكماً،[569] منقولة، توجد عند حكماء كل أمة مذكورة بالفضل، فليس فيها شئ بديع من لفظ ولا معنى، والآخر: في شئ من الديانات، وقد تهوس فيه بما لا يخفى على متأمل، وكتابه الذي بيناه في الحكم، منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة.[570]

وذكر أن ابن المقفع عند ما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾،[571] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾،[572] عدل عن إنشاء قرآنه وقال: هذا لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، وترك المعارضة وأحرق ما كان اختلقه،[573] من الكتابة التي أراد بها معارضة القرآن.

يهمنا أن نقول: إن الكلام حول معارضة ابن المقفع للقرآن فيه اختلاف؛[574] لأنه لا يوجد شيئ منقول موافق حتى نثبت معارضته للقرآن، وأقصى ما استطاع أولئك الزنادقة أن يفعلوه هو

---

565. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، ***أنساب الأشراف، تح:*** سهيل زكار؛ ورياض الزركلي، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1417هـ - 1996م، 218/4.

566. الذهبي، ***تاريخ الإسلام***، 910/3.

567. الزركلي، ***الأعلام***، 140/4.

568. ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم، ***المعارف***، تح: ثروت عكاشة، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 م، 44.

569. كما ذهب الزركشي إلى أنه لم يعارض القرآن وإنما وضع الأحكام، بقوله: " وزعم قوم أن ابن المقفع عارض القرآن وإنما وضع حكما ". الزركشي، ***البرهان***، 95/2.

570. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 32.

571. هود، 40/11.

572. هود، 44/11.

573. درويش، ***إعراب القرآن وبيانه***، 61/1.

574. إن مصطفى الصادق الرافعي، يرّد قول من قال بمعارضة إبن المقفع للقرآن، ويقول: إن الروايتين مكذوبتان جميعاً، وإن ابن المقفع من أبصر الناس باستحالة المعارضة؛ لا لشيء من الأشياء إلا لأنه من أبلغ الناس.، وإنما نسب إليه هذا القول من قبل الملاحدة، وإنه متهم بالزندقة في شيئ من دينه. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 124.

أن يدعوا أن عبد الله بن المقفّع اتجه إلى أن يكتب كتابًا يعارض به القرآن، وهو إن صحَّ كلامهم فهو يدل على أنه نوى ولم يفعل، ولو فعل لنظرنا إلى ما أتى به، وإننا نشك في أصل صحته، ولكنهم يريدون أن يثيروا الغبار، والغبار قد يغشى الأعين المريضة، وإن كان قد أراد هذا فهو دليل على حمقه، ويثبت زندقته التي اتهم بها، وإنَّه أشاع ذلك توهينًا، وإن علم أنَّ المحاولة فوق طاقة البشرية،[575] وإن ابن المقفع كان ينال من متولي البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد ابن المهلب ويسميه ابن المغتلمة،[576] فحنق عليه وقتله بإذن المنصور.[577] ولا يوجد نص منقول في معارضته للقرآن، وإنما نسب إليه المعارضة؛ لكونه أراد أن يعارض؛ لكن لم يثبت شيء منقول من معارضة ابن المقفع.

2.2.1.3. الكِندي (260 هـ = 873 م)

هو: يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي، فيلسوف العرب يكنى أبا يوسف، وله مصنفات كثيرة في المنطق والنجوم، والفلسفة، وله معرفة بالأدب،[578] وله نظم جيد وبلاغة، همَّ بأن يعمل شيئاً مثل القرآن فبعد أيام أذعن بالعجز،[579] قال أصحاب الكِندي له إعمل لنا مثل القرآن، فقال نعم، فغاب عنهم طويلا ثم خرج عليهم فقال والله لا يقدر على ذلك أحد،[580] ولا يطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف، فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلل تحليلا عاما، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته، وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا.[581] ولم يرد شيء من معارضة الكندي للقرآن، إلا ما قيل أنه أراد، ولكن فشل ولم يستطع معارضته للقرآن الكريم.

---

575. أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 55.

576. وذلك أنه كان يعبث به، ويسب أمه، إنما كان يسميه ابن المغتلمة، إبن كثير، ***البداية والنهاية***، 102/10.

577. الذهبي، ***تاريخ الإسلام***، 199/9.

578. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي، ***لسان الميزان***، تح: دائرة المعرف النظامية، الهند، ط: الثالثة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1406هـ- 1986م، 305/6.

579. الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، 337/12.

580. العسقلاني، ***لسان الميزان***، 305/6.

581. صديق خان، أبو الطيب محمد بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي البخاري، ***نيل المرام من تفسير آيات الأحكام***، تح: محمد حسن إسماعيل؛ و أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص، 223.

3.2.1.3. ابن الراوندي (ت: 298 هـ = 910 م)

أحمد بن يحيى بن إسحاق بن الرواندي، –أو الراوندي– أبو الخير،[582] أبو الحسين،[583] المتكلم من أهل مرو الروذ، سكن بغداد، وكان من متكلمي المعتزلة، ثم فارقهم وصار ملحدا.[584]

هو أحد مشاهير الزنادقة، كان أبوه يهوديا فأظهر الإسلام، ويقال: إنه حرف التوراة، كما عادى القرآن بالقرآن وألحد فيه، وصنف كتابا في الرد على القرآن سماه الدامغ، وكتابا في الرد على الشريعة والإعتراض عليها سماه الزمردة،[585] كما أن له كتبا يزرى فيها على الانبياء –عليهم السلام– ويشتمهم، ثم عمل كتابا يرد فيه على القرآن ويبين أن فيه لحنا، وقد علم أن هذا الكتاب العزيز قد عاداه خلق كثير ما فيهم من تعرض لذلك منه ولا قدر فاستدرك هو بزعمه على الفصحاء كلهم.[586]

وحسب بحثنا وتحرينا لا يوجد نقل شيء صحيح من الكلام لابن الراوندي بما عارض به القرآن، وإن ما يوجد بعض اعتراضات على القرآن الكريم والشك في النبوة وغير ذلك، كما يقول الرافعي: والذي نظنه أن كتاب ابن الراوندي إنما هو في الاعتراض على القرآن ومعارضته على هذا الوجه من المناقضة، كما صنع في سائر كتبه؛ كالفريد، والزمرّدة، وقضيب الذهب، والمرجان، فإنها فيما وصفت به ظلمات بعضها فوق بعض، وكلها اعتراض على الشريعة والنبوة بمثل تلك السخافة التي لا يبعث عليها عقل صحيح، ولا يقيم وزنها علم راجح.[587]

---

[582]. ابن الدمياطي، الحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي، ***المستفاد من ذيل تاريخ بغداد***، دراسة وتح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 57/1.

[583]. إبن خلكان، ***وفيات الأعيان***، 94/1.

[584]. ابن الدمياطي، ***المستفاد من ذيل تاريخ بغداد***، 57/1.

[585]. إبن كثير، ***البداية والنهاية***، 127/11.

[586]. إبن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ***أخبار الحمقى والمغفلين***، المكتب التجاري، بيروت، 62/1.

[587]. وقد عدّ الرافعي في كتابه تسعة من الذين عارضوا القرآن بالنقل من البعض بعض كلمات مشابهة للقرآن حسب ظنهم.، ومنهم عَبَهلة بن كعب الذي يقال له: الأسود العنسي، يلقب ذا الخمار؛ لأنه كان يقول: يأتيني ذو خمار، وكان رجلاً فصيحاً معروفاً بالكهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب! وقد تنبأ على عهد النبي ﷺ وخرج باليمن، ولا يذكرون له قرآناً غير أنه كان يزعم أن الوحي ينزل عليه، وهو أول من ارتد عن الإسلام فقد توفي سنة (11هـ).، وتركنا ذكره لعدم نقل قول من المصادر مما يعارض به القرآن. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 126.

4.2.1.3. الحلاج (ت: 309 هـ = 922 م)

هو: الْحُسَيْن بن مَنْصُور الحلاج يكنى أبا مغيث، وقيل: أبا عَبْد اللَّهِ،[588] فاختلف المؤرخون في حالة حلاج فذكره البعض: بأنه عارض القرآن بالقول، ولم ينقل منه شيء في أقواله مما يدل على معارضته للقرآن، ونقل البعض أقواله مما يدلل على المعارضة، قال عمرو بن عثمان المكي: (ت: 297هـ)، كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي فقال: يمكنني أن أقول مثل هذا، ففارقته، وذكر أبو القاسم القشيري (ت: 465هـ) في رسالته في باب حفظ قلوب المشايخ: أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئا في أوراق فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن، [589] وكان يكتب إلى خاصته وأتباعه: "من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان"،[590] وقد نسب إلى الحلاج الكفر والإلحاد والسحر، ومع ذلك لا يوجد منقول من أقواله لمعارضة القرآن.

5.2.1.3. المتنبّي (303 – 354 هـ = 915 – 965 م)

أبو الطيب احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي،[591] فالمتنبئ كَانَ شَابًّا ذكياً فَقِيها شاعراً ادّعى النُّبُوَّة بتستر، وَزعم أَنه عِيسَى بن مَرْيَم، واسقط عَن أتباعه صَلَاة الْعَصْر وعشاء الْآخِرَة،[592] قَالَ التنوخي،[593] وَكَانَ قد تلا على البوادي كلاما ذكر أنه قرآن أنزل عَلَيْهِ، وكانوا يحكون لَهُ سورا كثيرة، نسخت منها سورة ضاعت وبقي أولها في حفظي، وهي: "والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، أن الكافر لفي أخطار، امض على

---

[588]. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ***تاريخ بغداد***، تح: الدكتور بشار عواد معروف، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ – 2002 م، 688/8.

[589]. ابن كثير، ***البداية والنهاية***، 11/ 155

[590]. الخطيب البغدادي، ***تاريخ بغداد***، 8/ 706.؛ ينظر: ابن كثير، ***البداية والنهاية***، 11/ 158.؛ ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ***المنتظم في تاريخ الملوك والأمم***، تح: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ – 1992 م، 13/ 204.

[591]. سركيس، يوسف بن إليان بن موسى، ***معجم المطبوعات العربية والمعربة***، مطبعة سركيس، قاهرة، 1346 هـ – 1928 م، 1615/2.

[592]. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، 284/24.

[593]. هو: علي بن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخي، ولد 355هـ، وتوفي 447هـ،. الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، ***فوات الوفيات***، تح: علي محمد بن يعوض الله؛ عادل أحمد عبد الموجود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، 120/2.

سننك، واقف أثر من كَانَ قبلك من المرسلين فإن اللَّه قامع بك زيغ من ألحد فِي دينه، وضل عَنْ سبيله." قَالَ: وهي طويلة لم يبق فِي حفظي منها غير هَذَا.[594] فما نقلنا من معارضة المتنبي يمكن أن يكون غير صحيح؛ فما وجدت حول معارضته غير هذا.

6.2.1.3. أبو العلاء المعرّي (ت: 449هـ = 973م)

هو: أَحْمَد بْن عَبْد اللَّه بْن سُلَيْمَان أَبُو العلاء التنوخي الشاعر من أهل معرة النعمان، كَانَ حسن الشعر، جزل الكلام، فصيح اللسان، غزير الأدب، عالما باللغة،[595] وهو من الذين اتهموا بهذه التهمة –معارضة القرآن– في كتابه «الفصول والغايات، في محاذاة السّور والآيات» ومما ورد في هذا الكتاب « سبحانك مؤبّد الآباد، هل للمنية نسب إلى الرّقاد؟ لا أتخيل إذا انتبهت أحدا من الأموات، إذا هجعت لقيني قريب عهد بالمنية، ومن فقدت منذ أزمان، أسألهم فيجيبون وأحاورهم فيتكلمون كأنهم بحبل الحياة معلّقون، لو صدق الرقاد لسكنت إلى ما يخبر عنه سكان القبور ولكن الهجعة كثيرة الكذاب »،[596] إنه عارض سورا من القرآن،[597] وقيل: إن من كتابه هذا قوله: "أقسم بخالق الخيل، والريح الهابَّة بلَيل، بين الشرط مطلع سُهَيل، إن الكافر لطويل الويل وإن العمر لمكفوف الذيل؛ تَعَذ مدارج السيل؛ وطالع التوبة من قبَيل، تنج وما إخالك بناج".[598]

ولما أن قيل للمعري: إن كلامك هذا لا يبدو فيه شيء من رواء القرآن وإشراقه، أجابهم: دعوه تصقله الألسن في المحاريب أربعمائة سنة، ثم انظروا كيف يكون،[599] وما من باحث، بل ما من متأمل عاقل، إلا ويدرك براءة المعري من هذا الهراء، ومن هذه الطريقة الغبية في الدفاع عن هذا الكلام.

---

[594]. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ***تاريخ بغداد وذيوله***، ط: الأولى، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ، 325/4.

[595]. الخطيب البغدادي، ***تاريخ بغداد***، 397/5.

[596]. درويش، ***إعراب القرآن وبيانه***، 62/1.

[597]. الخطيب البغدادي، ***تاريخ بغداد***، 397/5.

[598]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 128.

[599]. البوطي، محّمد سَعيد رَمضان، ***من روائع القرآن*** – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، موسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ – 1999 م، 132.

7.2.1.3. شُمَيْمٌ الحِلّيّ (ت: 601هـ)

هو: عليّ بْن الحَسَن بْن عَنْتَر، الأديب، أَبُو الحَسَن النَّحْويّ، اللُّغَويّ، الشّاعر، كان يسخر بالعلماء، ويستهزئ بمعجزات الأنبياء، ولا يعظِّم الشرع، ولا يصلّي، عارضَ القرآن المجيد فكان إذا أورده تَعَوَّذ ومسح وجهه ثُمَّ قرأ،[600] وإِذَا تلاَهُ، يَخشع وَيسجد فِيْهِ،[601] نسب إليه القول بمعارضة القرآن، ولكن لا يوجد كلام ما يسمى بالقرآن، مما نقل من شميم، وذهب الذهبي إلى أن في شعره معنى جيد، ولعله تاب.

وهناك غير هؤلاء الذين ذكرناهم ممن نُسب إليهم الإدعاء بمعارضة القرآن، كما نقل ابن الجوزي،[602] فقال: ومنهم هذيل بن يعفور، من بني سعد بن زهير، حكى عنه الأصمعي[603] أنه عارض سورة الإخلاص، فقال: "قل هو الله أحد، إله كالأسد، جالس على الرصد، لا يفوته أحد"،[604] ومنهم هذيل بن واسع، كان يزعم أنه من ولد النابغة الذبياني، عارض سورة الكوثر، فقال له رجل: ما قلت؟ فقال: "إنا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر، فما يؤذيك إلا كل فاجر"؛ فبعد صلبه على العمود، عبر عليه خلف بن خليفة الشاعر، فقال: "إنا أعطيناك العمود، فصل لربك من قعود، بلا ركوع ولا سجود، فما أراك تعود".[605] وقد ذكر الخوئي،[606] –مؤلفا مجهولا– كاتب رسالة "حسن الإيجاز"،[607] في رسالته،[608] أنه يمكن معارضة القرآن بمثله، وذكر جملا

---

[600]. الذهبي، ***تاريخ الإسلام***، 13/43–44.

[601]. الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، 21/412.

[602]. هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، سنة (508 – 597هـ)، الزركلي، ***الأعلام***، 3/ 316.

[603]. هو: عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي البصري أبو سعيد (122– 216هـ) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، 19/ 126.

[604]. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ***صيد الخاطر***، بعناية: حسن المساحي سويدان، ط: الأولى، دار القلم، دمشق، 1425هـ – 2004م، 419.

[605]. ابن الجوزي، ***صيد الخاطر***، 419.

[606]. أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي الخوئي، 1992 – 1899م، هو مرجع دين شيعي، كان يترأس الحوزة العلمية بمدينة النجف بالعراق، وكان مرجعاً وزعيماً،.

[607]. كتيب صدر من المطبعة الانجليزية الامريكانية ببولاق مصر سنة 1912. وقد عدّ النكراني في كتابه ثمانية أشخاص وأطلق عليهم إسم المعارضين، وذكرهم تحت عنوان، شبهة وقوع المعارضة وتعداد من عارض بلاغة القرآن..، النكراني، ***مدخل التفسير***، 108–138.

[608]. رسالة السيد ابو القاسم الخوئي،–المسمى– نفحات الإعجاز في رد الكتاب المسمى، حسن الايجاز، ط: الثالثة، دار المؤرخ العربي، بيروت –1411 هـ– 1990 م.

اقتبسها من نفس القرآن، وحرر وغيَّر بعض ألفاظها، وزعم أنه يعارض بها القرآن، فأظهر مبلغه من العلم، ومقدار معرفته بفنون البلاغة، وهنا نذكر للقارئ تلك العبارات، ونوضح له وجوه الفساد في المعارضة الوهمية، ذكر هذا المتوهم في معارضة سورة الفاتحة قوله: "الحمد الرحمن رب الأكوان، الملك الديان، لك العبادة، وبك المستعان، إهدنا صراط الايمان"،[609] وتخيل أن قوله هذا واف بجميع معاني سورة الفاتحة،[610] مع أنه أخصر منها، وليس معنى المعارضة أن يقلد الكلام المعارض في تركيبه وأسلوبه، ويتصرف فيه بتبديل بعض ألفاظه ببعض، وإلا لأمكنت معارضة كل كلام بهذا النحو من المعارضة، وذكر في معارضة سورة الكوثر، قوله: "إنا أعطيناك الجواهر فصل لربك وجاهر، ولا تعتمد قول ساحر" انظر كيف يقلد القرآن في نظمه وتركيبه؟ ويغير بعض ألفاظه، ويوهم الناس أنه يعارض القرآن ثم انظر كيف يسرق قوله هذا من مسيلمة الكذاب الذي يقول: "إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، وإن مبغضك رجل كافر".[611]

من الجدير بالذكر أن من زعم أنه عارض سورة الكوثر، فهو أضل من حمار أهله، لأن قوله: إنا أعطيناك، وبعض ما بعده كلها مأخوذة من سورة الكوثر، وما بعضها محاكاة وسرقة، فأنى يكون ذلك معارضة، لولا قلة المعرفة.[612] ويقول الحَليمي:[613] "فإن تكلم متكلم بكلام يدل على عرض محتج، ومعنى مستقيم منظوم بنظم لا يشبه نظم الشعر، ولا نظم الخطب، ولا نظم الرسائل، ولا الأسجاع، كان معارضاً للقرآن آتيا بمثله، ولكن يكون ذلك أبدا شهادة من الله بذلك حقا، فأما أن نظم هدراً أو ضاع كلاماً لا معنى تحته، واستوى له من ذلك بقدر سورة من القرآن لم يجز أن يقال: أنه عارضه أو جاء بمثله، لأنا وجدنا في الناس من لا يحسن أن يقول بيت شعر، وقد قال قصيدة صاغها هذرا ونظمها من ألفاظ لا معاني تحتها".[614]

---

609. السورة كتبها أحد النصارى . دون أن يذكر اسمه . في رسالة سماها: " حسن الإيجاز " صدرت من المطبعة الإنكليزية الأمريكانية ببولاق مصر سنة 1912م.

610. وأورد ردّ على المؤلف المجهول من قبل، محمد رشيد رضا في تفسيره ***المنار*** في تفسير سورة الفاتحة، ووضع لها عنوان: " معارضة نصرانية سخيفة، للفاتحة الشريفة " 1/65-69.

611. الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي، ***البيان في تفسير القرآن***، دار الزهراء، بيروت، ص 93 -98.

612. ينظر: الحَلِيمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، ***المنهاج في شعب الإيمان***، تح: حلمي محمد فودة، ط: الأولى، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، 1/270.

613. هو: الحسين بن الحسن أبو عبد اله الحليمي الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني، ولد بجرجان سنة 308هـ، وتوفي سنة 403هـ. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، 12/217.

614. الحَلِيمي، ***المنهاج في شعب الإيمان***، 1/270.

3.1.3. الجزم باستحالة المعارضة وعدم وقوعها

إن القول الجازم بعدم المعارضة بعد التحدي، ورفع إشكالية وجود المعارضة والتسليم بعدم القدرة للاتيان بمثل القرآن، يظهر من خلال آيات التحدي، حيث تؤكد الآيات بأن المعارضة لم تقع، كما لا تقع بعدُ، فَاليْأسُ –زمن النزول– من الإتيان بسورة أو عشر سور أو قرآن مماثل، تسليم وجزم وإثبات بأن المعارضة قد انتهت.

ثبت عند أهل العلم أن النبي ﷺ تحداهم بالقرآن، ولم يأتوا بمثله،[615] فلا يجحد هذان الامران؛ لأن آية التحدي تقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾.[616] فهو جزم بانعدام المعارضة، وعدم وقوعه، كما يقول الرازي: "فلو كان في وسعهم وإمكانهم الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأتوا به.[617] فقد بلغ التحدي إلى نهايته، وحملهم على المعارضة بأبلغ الطرق، وجزم بقاطع الأمر.

ويقول النيسابوري: فإن قيل: وما يدريك أنه لن يعارَض في مستأنف الزمان وإن لم يعارض إلى الآن؟ قلت: لأنه لا احتياج إلى المعارضة أشد مما في وقت التحدي.[618] فقد أجهز الآية عليهم بالحكم البات المؤبد،[619] وطارت الآية بعجزهم وسجلته عليهم، ووسمتهم على ألسنتهم، فلما رأوا هممهم لا تسمو إلى ذلك، ولا تُقارب المطمعة فيه، وقد انقطعت بهم كل سبيل إلى المعارضة، بذلوا له السيف،[620] فكان التجاؤهم إلى السيف الحجة القاطعة على عجزهم عن معارضة القرآن ومجاراته،[621] إن ترك المعارضة بالحرف واللسان واللجوء إلى الضرب والطعن بالسنان من قريش، لَدليل على إحساسهم بالعجز المطلق أمام آيات الله البينات.[622]

لو كان في قدرة القوم التكلم بمثل القرآن؛ لأتوا به مع نصب الحرب، كما أنهم كانوا يأتون مع ذلك بالشعر والرجز والخطابة والرسائل، وكل ما هو من طباعهم وفي ترك ذلك–الإتيان– دليل على بطلان، القول أن يكون الصارف للقوم عن معارضته اعتقادهم أن السيف أنجع في أمره

---

615. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 18.

616. البقرة، 24/2.

617. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 351/2.

618. القمي النيسابوري، ***غرائب القرآن***، 190/1.

619. فهد الرومي، ***دراسات في علوم القرآن***، 265.

620. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 118.

621. البدوي، أحمد أحمد عبد الله البيلي، ***من بلاغة القرآن***، نهضه مصر، القاهرة، 2005 م، 44.

622. مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 66.

وأحسم لمادة شبهته لا للعجز عن ذلك،[623] وإنّ بعض كفار قريش من فصحاء العرب، لما أرادوا معارضة القرآن هيئوا أربعين يوماً؛ لتصفوا أذهانهم، وأخذوا فيما أرادوا، فلمَّا سمعوا قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[624] قال بعضهم لبعض: هذا كلام لا يشبه كلام المخلوقين، وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا.[625]

يقول النورسي: في إستحالة المعارضة وعدم إمكانها "لو كانت المعارضة ممكنة، فلا محالة كانوا يحاولونها، وما كان أحد يتوانى في هذا الأمر، إذ الحاجة إلى المعارضة كانت ماسة، وذلك للنجاة من خطر التحدي؛ لانقاذ دينهم وأموالهم وأنفسهم وأهليهم؛ لذا لو كانت المعارضة ممكنة لما أحجم أحدٌ عنها أبداً" ولكان الكفار والمنافقون –وهم الأغلبية– يشيعون خبرها في الأوساط، بل يبثونها في الأرجاء كافة مثلما كانوا يبثون كل ما يعادي الإسلام، ثم لو كانوا ناشرين لها –فيما لو كان الاعتراض ممكناً– لكان المؤرخون يسجلونها في كتبهم العديدة، ولكن ها هو التاريخ وكتبه كلها أمامنا، لا نرى فيها شيئاً من معارضة القرآن، سوى فقرات تقوّلها مسيلمة الكذاب، علماً أن القرآن الكريم قد تحداهم طوال ثلاث وعشرين سنة، وقرع أسماعهم بآياته المعجزات.[626]

ويروي التاريخ أن أبا العلاء المعري، وأبا الطيب المتنبي، وابن المقفع، حدثتهم نفوسهم مرة أن يعارضوا القرآن فما كادوا يبدؤون هذه المحاولة حتى انتهوا منها بتكسير أقلامهم، وتمزيق صحفهم؛ لأنهم لمسوا بأنفسهم وعورة الطريق، واستحالة المحاولة.[627]

ولو عارض القرآن معارض فأتى بما يظن الناس أنه مثل القرآن، لنقل كما نقل قرآن مسيلمة الكذاب، وكما نقلوا الفصول والغايات لأبي العلاء المعري، وكما نقلوا غير ذلك من أقوال المعارضين ولو بخرافات لا يظن عاقل أنها مثله، فكان النقل لما تظهر فيه المشابهة والمماثلة أقوى في العادة والطباع في ذلك وأرغب، سواء كانوا محبين أو مبغضين هذا أمر جبل عليه بنوا

---

[623]. الباقلاني، ***تمهيد الأوائل***، 176.

[624]. هود، 44/11.

[625]. ينظر: الأصبهاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي، الملقب بقوام السنة، ***إعراب القرآن***، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط: الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، 1415 هـ – 1995 م، 154.

[626]. النورسي، ***المكتوبات***، المكتوب التاسع عشر، 116/1.

[627]. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 335/2.

آدم،[628] ثم إنهم لم يعارضوا القرآن فعلا، ولو فعلوا لنقل ذلك إلينا؛ لأن الدواعي إلى نقل المعارضة قوية من جهات، منها: أن القرآن حينئذ يكون شبهة! ومعارضتهم حجة، والدواعي إلى نقل الحجة أتم وأوفر، ومنها: أن الذي يدعو إلى إبطال أمره بالمعارضة، يدعو إلى إبراز المعارضة وإظهارها، إذ أنها لو وقعت وعهدها وعهد القرآن واحد لم يجز أن ينقل أحدهما دون الآخر،[629] قال الحاكم الجشمي:[630] « ولو صح ذلك لجاز أن يقال: كان في أيامه أنبياء ولم ينقل خبرهم! وجاز أن يكون له طبقة من الصحابة أقدم من الذين عرفناهم ولم ينقل، ولأدى إلى التشكيك في الأخبار والعادات».[631] ولو كانت المعارضة واقعة لم يكن لذلك وجه.

وإن أصل الإعجاز هو التحدي بالقرآن، فعدم وقوع المعارضة، بعد التحدي به، والإخبار بعدم وقوعه –أيضاً– دليل على صدق القرآن، كما أنَّ عدم القدرة على الإتيان بمثله دليل على صدق القرآن،[632] فالسّر في عجز العرب وعدم القدرة على الإتيان بالمثل يظهر من خلال إعجاز القرآن الكريم من جميع أوجهه الإعجازية بلاغة، وبيانا، ونظما.

إن أهل عصر الرسالة تشبّثوا بكل طريق لإطفاء نور النبوة، وإرضاء النبي ﷺ برفع اليد عن الدعوة، ووضعوا أمامه كل الوسائل وفوضوا الرئاسة والزعامة إليه، فهذا يظهر لنا أنه لو كان فيهم من يقدر على الإتيان بسورة مثل القرآن –المعارضة– لما احتاجوا إلى الخضوع في مقابلته بمثل ذلك الخضوع، الكاشف عن الاضطرار والعجز الذي يتنفّر كلّ إنسان بطبعه عن الاتصاف به،[633] وإن سبب تعذر المعارضة هو المزية: وإنما تعذرت عليهم المعارضة للمزية الزائدة على ما جرت به العادة، لا لعذر منعهم من ذلك، أو لاشتغالهم بما هو أهم، أو أي شيء آخر.[634]

وجعل تعذر المعارضة على غير أهل اللسان أيضا –العجم– دلالة على نبوته، ودلالة لسائر الناس على أن القرآن خارج عن العادة، فهم يعلمون أن تعذر المعارضة على أهل هذا

---

628. ابن تيمية، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، ***كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام***، تح: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي، ط: الثانية، مكتبة ابن تيمية، قاهرة، بدون تاريخ، 571/7.

629. زرزور، عدنان محمد، ***الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير***، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ، 438.

630. هو: المحسّن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، مفسر، عالم بالأصول والكلام، حنفي ثم معتزلي فزيدي. وهو شيخ الزمخشريّ، توفى، 494 هـ =1101 م، الزركلي، ***الأعلام***، 289/5.

631. زرزور، ***الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير***، 438.

632. الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، ***الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي***، ط: الثانية، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1433هـ، 57.

633. النكراني، ***مدخل التفسير***، 101–102.

634. زرزور، ***الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير***، 439.

اللسان –العرب– هو الدلالة، فإذا أمكنهم معرفة ذلك فحالهم في أن الحجة قائمة عليهم، كحالهم لو عرفوا تعذر المعارضة من قِبَلِهم لو كانوا أهل الفصاحة"،[635] فإذا كان يظهر وجه الإعجاز فيها للكافة بالتحدي وجب فيها التحدي؛ لانه تزول بذلك الشبهة عن الكل، وينكشف للجميع أن العجز واقع في المعارضة.[636] ولم يعلم أن أحدًا من أهل الزكانة والمعرفة سولت له نفسه أن يعارضه بل التجؤوا إلى السيف والسنان دون المعارضة بالحجة والبرهان.[637] بعد يأس المعارضين وتعذرهم، قاموا بمحاربة القرآن من كل النواحي، وأرادوا إطفاء نور القرآن، مرة بالطعن ومرات بإيذاء أهل القرآن، وكثير من محاولات أخرى، ولكن فشلوا كما فشلوا في المعارضة.

4.1.3. موقف العرب والمعارضين بعد الفشل تجاه آيات التحدي

لا جرم أن القرآن الكريم قد وجه التحدي ببعض الآيات إلى المعاندين والمشركين من العرب، فلا بد لنا أن نعلم ماذا كان موقفهم من هذه الآيات؟ أو ما هو ردُّ فعلهم تجاه آيات التحدي، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يجد من العرب عامة، ومن قريش خاصة، عندما أعلن بدعوته سوى الصد والتكذيب، والسخرية، والاستهزاء، والإفتراء، والإيذاء، والوصف بالشاعر والكاهن والساحر.

فقد نسب بعض العرب الشعر إلى الرسول الأمين ﷺ حين راع القرآن الأمين خيالهم بصوره الحية، ومشاهده الشاخصة، وألفاظه الموحية، وفواصله الشافية، وألحانه العُذاب، فقالوا: ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾،[638] ولا شك أن الفصحاء عرفوا أن ليس في القرآن شيء من الشعر، وأن أسلوبه يعلو ولا يعلى، وما هو بقول بشر حتى قال قائلهم: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمغدق، وإن أسفله لمثمر، وما هو بقول بشر"، إلا أن القرآن ظل يتحداهم بمعارضته، ويطاولهم في المعارضة، حتى اضطرهم إلى الهزيمة أمام تحديه، فلم يجدوا ما يشفون به غليلهم إلا أن يقولوا: شعر أو سحر مبين.[639]

---

635. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن***، 75.

636. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 24.

637. الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، ***حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن***، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط: الأولى، دار طوق النجاة، بيروت، 1421 هـ – 2001 م، 398/30.

638. الطور، 30/52.

639. صالح صبحي، ***مباحث في علوم القرآن***، 46.

فوقفوا أمام القرآن موقف العاجز، فلم يستطعوا معارضته، فلجؤوا إلى وسائل كثيرة لمقاومته باللطف أو بالعنف، فحاولوا إغراء النبي ﷺ بالمال ليكف عن دعوته، وتواصوا على مقاطعته وحبسه، ومنعوا صوت القرآن، وألقوا فيه الشبهات والمطاعن، وإنهم لم يجدوا سبيلا لمقاومته عن طريق المعارضة الكلامية، فخاضوا مع النبي ﷺ الحروب الطويلة وضحوا في سبيل ذلك بالغالى والنفيس.[640]

بعدما تحدى الله تعالى بكل مراحل التحدي، يأس المعارضون من الإتيان بمثله، ووقوعوا في الموقف الحاسم، ولم يبق لهم الأمل من المعارضة بهذا الشكل، فغيروا أساليب المعارضة الميدانية، إلى ساحة المعركة والقتال، فلما قطع العذرَ وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة، حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا، وقتل من عليّهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحاً ومساء إلى أن يعارضوه،[641] وقال الجاحظ: "بعث الله محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشدَّ ما كانت عُدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته؛ فدعاهم بالحجة".[642] ولم يستجيبوا له بل وعارضوه، وفشلوا في المعارضة.

ومع شدة حقدهم وعنادهم له تركوا المعارضة بالحروف الطريقَ الأسلمَ والأقربَ والأسهلَ، والتجأوا إلى المقارعة بالسيوف الطريقِ الأصعبِ الأطولِ المشكوك العاقبة الكثير المخاطر،[643] فأعرضوا عن المعارضة بالحروف، إلى المقارعة بالسيوف، وعن المقاولة باللسان، إلى المقاتلة بالسنان،[644] وآثروا الملاكمة على المكالمة،[645] فاختاروا الملاكمة باللهاذم،[646] على المكالمة باللهازم.[647]

---

640. فضل عباس، ***إعجاز القرآن المجيد***، ص، 18-19.

641. الرافعي، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، 119.

642. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ***الإتقان في علوم القرآن***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1394هـ، 1974 م، 6/4.

643. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 18.

644. السكاكي، ***مفتاح العلوم***، 5.

645. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 417/2.

646. اللهذم: كل شيء من سنان أو سيف قاطع، ابن منظور، ***لسان العرب***، 4086/5.

647. القمي النيسابوري، ***غرائب القرآن***، 4/1. واللهازم: أصول الحنكين واحدتها لهزمة بالكسر. ابن منظور، ***لسان العرب***، 4086/5.

إن النبي ﷺ قد تحدى العرب قاطبة بأن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عنه وانقطعوا دونه، وقد بقى ﷺ يطالبهم به مدة عشرين سنة، مظهرًا لهم النكير، زاريًا على أديانهم، مسفهًا آراءَهم وأحلامهم، حتى نبذوه وناصبوه الحرب فهلكت فيه النفوس، وأُريقت المهج، وقُطعت الأَرحام، وذهبت الأموال، ولو كان ذلك في وسعهم وتحت أقدارهم لم يتكلفوا هذه الأمور الخطيرة،[648] "وقد بذلوا له ﷺ السيف فأخطروا بنفوسهم وأموالهم"، وقد علم منهم أنهم ناصبوه الحرب، وجاهدوه وجاهروه ونابذوه، وقطعوا الأرحام، وأخطروا بأنفسهم، وطالبوه بالآيات والإتيان بالملائكة، وغير ذلك من المعجزات، يريدون تعجيزه؛ ليظهروا عليه بوجه من الوجوه،[649] وإن عدم الإتيان بمثل القرآن في زمن النبي ﷺ وحياته لا يتصور له وجه، ولا يعقل له سبب غير العجز وفقدان القدرة، من دون فرق بين الزمان الذي عاشه ﷺ في مكة المكرمة، والزمان الذي عاشه في المدينة المشرّفة.[650]

وإن أفضل شاهد على تسجيل فشلهم ما قاله الوليد، واستسلامه لجزالة ألفاظ القرآن وتأثره به، مما روي: أن الوليد بن المغيرة قال: "فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا"، ووالله " إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ لحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ"،[651] وقال له أبو جهل: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره.[652]

وقد عرف العرب أنهم عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، وعلَّلوا عجزهم بما استرعاهم ما فيه من حلاوة اللفظ، وطلاوة المعنى والتركيب، وعمق ما اشتمل حتى إنه مغدق في جذوره، كلما

---

[648]. الخطابي، ***بيان إعجاز القرآن***، 21.

[649]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 21-22.

[650]. النكراني، ***مدخل التفسير***، 101.

[651]. شرح القول: "والله إنّ له لحلاوة" أي لذة عظيمة يدركها من له سجية سليمة "وإنّ عليه لطلاوة" بفتح الطاء وقد تضم أي رونقا وحسنا فائقا "وإنّ أسفله لمغدق" بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين، وهو كثرة الماء تلويحا بغرازة معانيه في قوالب مبانيه، وفي نسخة لغدق من غير ميم، وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وهي العذق، وبفتح معجمة فكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير "وإنّ أعلاه لمثمر" إشارة إلى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكريم فوائده وعميم عوائده "ما يقول هذا" أي مثل هذا "بشر" أي مخلوق..، الهروي، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ***شرح الشفا***، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،1421 هـ، 555/1.

[652]. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، ***دلائل النبوة***، تح: د. عبد المعطي قلعجي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، بيروت، 1408 هـ - 1988 م، 198/2.

تكشَّف القارئ عن عمقه رأى ما لا يصل إليه البشر، وكلما اتجه إلى أعلاه وجد ثمرًا شهيًّا، و هذا أمر ظاهر.[653] وقد أجمع رواة الآثار والتاريخ على أن فحول البلغاء من مشركي العرب، لم تسم نفس أحد منهم إلى معارضة القرآن مع شدة حرصهم على صد الناس عن الإسلام، وعن الرسول ﷺ،[654] وقد فشلوا وخابوا من المعارضة، وخسروا في المنافسة، والإتيان بالمثل حتى ولو بسورة، ويكون هذا الفشل دليلا لمن جاء بعدهم ويزعم المعارضة.

2.3. نظرية الصَرفة

مما لا شك فيه أنّ تحدي القرآن وقع على سبيل المعارضة، وأن المعارضة لم تقع بعدُ، وقد ثبت إعجاز القرآن من جميع نواحيه وجوانبه، ولكن الذي يدور عليه البحث، وصار موضع اختلاف بين العلماء والمفسرين هو موضوع الصَرفة، التي عرفّت بأنها سلب العقول والعلوم التي تحتاج إليها معارضة القرآن والإتيان بمثله، والتى عدّها البعض من إحدى وجوه الإعجاز، ولها العلاقة التامة بموضوع التحدي؛ ولزيادة التوضيح يلزمنا بحث المسائل المتعلة بالصرفة، ونشأتها والإتيان بآراء القائلين بالصرفة، وكذا آراء المانعين بالقول بها، ومن ثم ترجيح أحد القولين.

1.2.3. نشأة الصَرفة وتولدها

إن الحديث حول الصرفة وثيق الصلة بآيات التحدي؛ لذا من الواجب أن نعلم معنى الصرفة من جهة اللغة، واستعمالها كمصطلح شائع بين العلماء، والمقصود منها.

فالصرفة لغة: مأخوذ من الفعل الثلاثي "صرف يصرف صرفاً" الصاد والراء والفاء معظم بابِهِ يدلُّ على رَجْع الشيء.[655] الصرف: فضل الدرهم في القيمة، وجودة الفضة، وبيع الذهب

---

[653]. أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، ص، 57.

[654]. رضا، ***تفسير المنار***، 188/1.

[655]. ابن الفارس، ***معجم مقاييس اللغة***، 342/3.

بالفضة، ومنه الصيرفي لتصريفه أحدهما بالآخر،[656] فالصرفة على وزن فعلة،[657] وصرَفه عن الأمر: ردَّه عنه،[658] فالصَرفة: بفتح الصاد وسكون الراء، من صرفته عن رأيه إذا رددته عنه.[659]

أما الصرفة،[660] اصطلاحا: هي: صرف الهمم عن المعارضة،[661] وإن كانت مقدورًا عليها، وغير معجزة عنها؛ إلا أن العائق من حيث كان أمرًا خارجًا عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات.[662]

وعرفه الشريف المرتضى[663] بأنها سلب الله –تعالى– من كل من رام المعارضة، وفكر في تكلفها في الحال العلوم التي يتأتى معها مثل فصاحة القرآن وطريقته في النظم.[664]

ويقول الجاحظ في تعريف الصرفة: إن الله "صرف أوهام العرب عن محاولة معارضة القرآن، ولم يأتوا به مضطربا ولا ملفّقا ولا مستكرها،[665] وقال "ما رفع من أوهام العرب، وصرف

---

656. الفراهيدي، ***العين***، 109/7.

657. يقول ابن منظور، والصرفة منزل من منازل القمر نجم واحد نير تلقاء الزبرة خلف خراتي الأسد، يقال: إنه قلب الأسد إذا طلع أمام الفجر فذلك الخريف، وإذا غاب مع طلوع الفجر فذلك أول الربيع، والعرب تقول: الصرفة ناب الدهر؛ لأنها تفتر عن البرد أو عن الحر في الحالتين، قال: ابن كناسة سميت بذلك؛ لانصراف البرد وإقبال الحر، وقال: ابن بري، صوابه أن يقال: سميت بذلك؛ لانصراف الحر وإقبال البرد، والصرفة خرزة من الخرز التي تذكر في الأخذ. ابن منظور، ***لسان العرب***، مادة صرف، 2434/4.

658. عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، 1290/2.

659. الكجراتي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي، ***مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار***، ط: الثالثة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1387 هـ – 1967م، 415/3.

660. ويقول ابن عاشور، ولم أر من ضبط الصاد منه فيجوز أن يكون صاده مفتوحا على زنة المرة مرادا بها مطلق وجود الصرف، والأظهر أن يكون الصاد مقصورا على صيغة الهيئة أي صرفا مخصوصا بقدرة الله ويشعر بهذا قول الباقلاني في كتاب «إعجاز القرآن» صرفهم الله عنه ضربا من الصرف. على هامش: ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، 347/1.

661. الرماني، ***النكت في إعجاز القرآن***، 110. وهو قول الخطابي.

662. الخطابي، ***بيان إعجاز القرآن***، 22.

663. هو: أبو القاسم المرتضى على بن الحسين بن موسى بن محمد المعتزلي، ولد سنة (355هـ) و(ت: 436هـ). ابن خلكان، ***وفيات الاعيان***، 313/3.

664. الشريف المرتضي، أبو القاسم علي بن الحسين المعتزلي، ***الموضح عن جهة إعجاز القرآن"الصرفة"***، تح: محمد رضا الانصاري القمي، ط: الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران 1424هـ. 35–36.؛ الشهري عبد الرحمن بن معاضة، ***القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد***، ط: الأولى، دار إبن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1432هـ، 15.

665. الجاحظ، ***الحيوان***، 455/6.

نفوسهم عن المعارضة للقرآن، بعد أن تحدّاهم الرّسول بنظمه؛ ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصّة على الأعراب وأشباه الأعراب."[666] وقال ابن سنان الخفاجي:[667] المراد بالصرفة، صرف العرب عن معارضت

القرآن بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك.[668]

واختلف البعض في الصرفة على قولين: أحدهما: أنهم صرفوا عن القدرة عليه، ولو تعرضوا له لعجزوا عنه، الثاني: أنهم صرفوا عن التعرض له مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه.[669]

وأن قول أهل الصرفة يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة، لما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال، التفسير الأول: أن يريدوا بالصرفة أن الله –تعالى– سلب دواعيهم إلى المعارضة، مع أن أسباب توفر الدواعى فى حقهم حاصلة من التقريع بالعجز، والاستنزال عن المراتب العالية، والتكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء، التفسير الثانى: أن يريدوا بالصرفة أن الله –تعالى– سلبهم العلوم التى لا بد منها فى الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه، ثم إن سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين: أحدهما: أن يقال: إن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار، لكن الله –تعالى– أزالها عن أفئدتهم ومحاها عنهم، وثانيهما: أن يقال: إن تلك العلوم كانت حاصلة لهم، خلا أن الله –تعالى– صرف دواعيهم من تجديدها، مخافة أن تحصل المعارضة، التفسير الثالث: أن يراد بالصرفة أن الله –تعالى– منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة، مع كونهم قادرين، وسلب قواهم عن ذلك، فلأجل هذا لم تحصل من جهتهم المعارضة.[670]

---

[666]. الجاحظ، ***الحيوان***، 305/4.

[667]. هو: عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان أبو محمد الحلبي الخفاجي، ولد 423هـ، وتوفي بقلعة عزاز مسموما سنة 466هـ. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، 271/17.؛ الزركلي، ***الاعلام***، 122/4. ويقول ياقوت الحموي: قرأت بخط عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب له ألفه في الصّرفة زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة حتى صار معجزة للنبي ﷺ وأن كلّ فصيح بليغ قادر على الاتيان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلك، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة، وهو مذهب الجماعة من المتكلمين والرافضة، منهم بشر المرّيسيّ والمرتضى أبو القاسم. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ***معجم الأدباء***، تح: إحسان عباس، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ - 1993 م، 2181/5.

[668]. ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي، ***سر الفصاحة***، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، 1402هـ_1982م، ص، 100.

[669]. القرطبي، ***الجامع لاحكام القرآن***، 76/1. ؛ الماوردي، ***النكت والعيون***، 1/ 33.

[670]. العلوي، ***الطراز***، 218/3.

بعد تعريف الصرفة نشير إلى ما قال الباحثون في نشأة القول بالصرفة، إن رواج فكرة الصرفة تؤدّي إلى أن القرآن الكريم ليس في درجة من الفصاحة والبلاغة تمنع محاكاته، وتعجز القدر البشرية عن أن يأتوا بمثله، ومن ثم الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شيء في بلاغته، أو في معانيه.[671]

بعدما ظهرت فتنة القول بخلق القرآن، زمن أحمد بن أبي دُؤاد وزير المعتصم سنة (220 هـ) ولما نجَمَت آراء المعتزلة بعد أن أقبل جماعة على دراسة كتب الفلسفة مما وقع إليهم عن اليونان وغيرهم، نبغت لهم شؤون أخرى من الكلام، فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها نظراً صرفاً، وبين الدين على كونه يقيناً محضاً، وتغلغوا في ذلك حتى خالف بعضهم بعضاً بمقدار ما يختلفون في الذكاء وبعد النظر، فتفرقوا عشر فرق، واختلفت بهذا آراؤهم في وجه إعجاز القرآن اختلافاً يقوم بعضه على بعض، فيبدأ فارغاً، وينتهي كما بدأ وإن كثر في ذات نفسه.[672]

وإن القول بالصرفة نبت أول ما نبت من رواق الفلسفة الكلامية،[673] وإن من أشهر القائلين بالصرفة وأولهم هو: أبو إسحاق إبراهيم النظّام وهو أستاذ الجاحظ،[674] في الإعتزال، وكان يرى بأن إعجاز القرآن بالصرفة، بمعنى: "أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة"، وبهذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن نفسه،[675] وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن.[676] جعل النظام، الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار

---

[671]. يقول محمد أبو زهرة: إن النظام، هو: أول من جاهر بالصرفة، وأعلنه ودعا إليه، ولاحى عنه كأنَّه مسألة من مسائل علم الكلام، ونقول: إنَّه أوَّل من جهر به ولا نقول أنه أول من فكر فيه، أو أول من ابتدأ القول به؛ لأنَّ الأفكار لا يعرف ابتداؤها، وهي تتكون في خلاياها، بل لا تعرف إلا بعد أن تظهر، ويجاهر بها. جاهر بها، وكان ذا فصح وبيان وحجة وبرهان، وإن لم يكن مستقيم الفكر، بل إنه يظن الظن فيحسبه يقينًا، ثم يبني عليه ويقايس، ويصحح القياس والتنظير بين الأشياء، بينما الأصل ذاته يحتاج إلى قياس صحيح، أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 58.

[672]. الرافعي، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، 101.

[673]. أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 59.

[674]. ولقد نقده تلميذه الجاحظ (ت: 255هـ) ولم يوافق التلميذ أستاذه، لم يوافق الجاحظ شيخه وأكبر ناقد بين الناقدين شيخه، وإذا كان إبراهيم بن يسار قد اشتهر بالبيان وسرعة الجواب ولسن القول، فقد اشتهر الجاحظ بأنه ذواق الكلام وصيرفي البيان.، أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 59.

[675]. الحمصي، ***فكرة أعجاز القرآن***، 54.

[676]. الرافعي، ***إعجاز القرآن والبلاغة النبوية***، 101.

عن الغيوب، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم.[677]

وقد عرف العرب في قرارة نفوسهم أن عجزهم عن أن يأتوا بمثل القرآن نابع من ذاتية القرآن، يتضح ذلك من أقوالهم المرويّة عنهم، وبقي الأمر كذلك إلى صدر العصر العباسي، حيث أولع الناس بالفلسفة الدخيلة، واطّلعوا على فلسفة الهند، والفرس، واليونان، وصارت الطبقة المثقفة من غير علماء الدين شعارها الإغراب في الأقوال والأفكار، لما وصلوا إليه من ترف عقلي، واطلع بعض المتفلسفين من علماء المسلمين على أقوال البراهمة في كتابهم «الفيدا»،[678] وهو الذي يشتمل على مجموعة من الأشعار ليس في كلام الناس ما يماثلها–في زعمهم–. ويقول جمهور علمائهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها؛ لأن براهما،[679] صرفهم عن أن يأتوا بمثلها، ولكن خاصتهم يقولون: إن في مقدورهم أن يأتوا بمثلها ولكنهم ممنوعون من ذلك احتراما لها.[680] فالنظّام والجاحظ قد استحدثا لكلمة "العجز" اسما وهو "الصرفة"؛ لأن الله –سبحانه وتعالى– حينما نزل القرآن كتب فجأة على العرب وعلى سائر الخلائق أن تكون أوهامهم مصروفة صرفاً سرمداً عن القدرة على نظم كلامٍ وتأليفه، إذا راموا معارضة القرآن أو الإتيان بسورة من مثله، مع بقاء قدراتهم سالمة على نظم الكلام وتأليفه في سائر أحوالهم.[681]

وعند ما دخلت الأفكار الهندية في عهد أبي جعفر المنصور،[682] ومن والاه من حكام بني العباس، تلقف الذين يحبون كل وافد من الأفكار، ويركنون إلى الإغراب في أقوالهم فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول ويطبقوه على القرآن– وإن كان لا ينطبق– فقال قائلهم: إن

---

677. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، ***مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين***، تح: نعيم زرزور، ط: الأولى، المكتبة العصرية، 1426هـ – 2005م، 179/1.

678. الفيدا: يطلق على كتب الهندوس المقدسة الأربعة، وقد يطلق على كل واحد منها على انفراد، وكتبت هذه الأسفار باللغة السنسكريتية ويعود تاريخها إلى ما بين عام 3000–1000 ق:م، ومعنى كلمة "فيدا" بالسنسكريتية «المعرفة». البعلبكي، ***موسوعة المورد***، 82/10؛ هامش: مصطفي مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 58.

679. براهما: من آلهة الهندوس، وهو عندهم مرادف للمطلق الأعلى أو الأتمان.، محمد غلاب، ***مشكلة الألوهية***، ط: الثانية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1951م، ص، 98.

680. أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 57.؛ مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 58.

681. أبو فهر، ***مداخل إعجاز القرآن***، 61.

682. هو: المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة 95هـ، ثاني خلفاء بني العباس، توفِّي سنة 156هـ. السيوطي، ***تاريخ الخلفاء***، 193.

العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه، ومعانيه، ونسجه، ونظمه، بل كان؛ لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله.[683]

بعد هذا العرض من القول بنشأة نظرية الصرفة من قبل النظام صارت فكرة الإعجاز بالصرفة مجال اختلاف بين العلماء بين مقرر لها ومستنكر.[684] فمنهم من إختار القول بالصرفة وجعلوها معجزة، ومنهم من ردّها وأبطلها.

2.2.3. القائلون بنظرية الصَرفة

إن موضوع الصرفة قد بحثه الكثير من الباحثين وألفوا فيها كتبا جمة، ووضحوا فيها آراء العلماء حول قضية الصرفة، فبعض العلماء أقروا القول بالصرفة وجعلوها وجها من أوجه الإعجاز القرآني!.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "اعلم أن الذي يقع في الظن من حديث القول بالصرفة، أن يكون الذي ابتدأ القول بها ابتدأه على توهم أن التحدي كان إلى أن يعبر عن أنفس معاني القرآن بمثل لفظه ونظمه، دون أن يكون قد أطلق لهم وخيلوا في المعاني كلها، ذاك لأن في القول بها على غير هذا الوجه أمورًا شنيعة، يبعد أن يرتكبها العاقل ويدخل فيها".[685] فالقول بالصرفة يقوم أساساً على اعتبار أن القرآن في ذاته –أى بلفظه وأسلوبه– غير معجز، وأن عدم إتيان العرب بمثله ليس علته عدم قدرتهم على ذلك، فهم البلغاء الفصحاء، ولكن العلة في ذلك راجعة إلى أن الله –تعالى– قد صرفهم عن المحاولة، وسلب علمهم الذى كان يمكن به– في نظر القائل بذلك– أن يأتوا بمثل القرآن، فهم كانوا قادرين، لكنهم لم ينشطوا لهذا الأمر، أو لم تتوفر الدواعى لديهم للمعارضة ابتداءً.[686]

يؤكد الباحثون بأن أول من قال بالصرفة النظّام، وقد تابع –النظّام– على رأيه هذا نفر من المعتزلة، منهم: عيسى بن صبح المكنى بأبي موسى المردار،[687] الذي نسب إليه القول: بأن

---

[683]. مصفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 59.؛ أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 57.

[684]. ينظر: أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 60.

[685]. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي، ***دلائل الإعجاز في علم المعاني***، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط: الثالثة، مطبعة المدني، القاهرة، 1413هـ–1992م، 611/1.

[686]. جبريل، ***عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم***، 14.

[687]. هو: عيسى بن صبيح أبو موسى المرداز، من كبار المعتزلة، كان معروفا بالناسك، أخذ الإعتزال عن بشر بن المعتمر، تولى رئاسة المعتزلة ببغداد، (ت: 226هـ). الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، 533/8.

"الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وبما هو أفصح منه"،[688] وعباد بن سليمان،[689] وهشام الفوطي،[690] وغيرهم، مثل أَبُو مُسْلِم الأَصْفَهاني،[691] بما يقول: أن إعجاز القرآن يذكر من وجهين: إحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه، والثاني: بصرف الناس عن معارضته،[692] ثم إعلم أن عجز البشر عن معارضة أقصر سورة اِنِيّتُهُ،[693] بديهية، واما لمِيَّتُهُ،[694] فقيل هي: إن الله –تعالى– صرف القوى عن المعارضة، والمذهب الأصح في اللِّمِيَّة ما عليه عبد القاهر الجرجاني والزمخشري والسكاكي،[695] وهو: أن قدرة البشر لا تصل إلى درجة نظمه العالي، ثم إن السكاكي اختار أن

---

[688]. البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني، ***الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية***، ط: الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 154.

[689]. هو: عباد بن سليمان الصخري، معتزلي من أهل البصرة من تلاميذ هشام بن عمرو الفوطي كان معتزليا ثم تحول إلى مذهب الزنادقة. ابن النديم، ***الفهرست***، 279– 280. نقلا عن: سامي عطا حسن، الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها، جامعة آل البيت، بدون سنة الطبع والنشر. ص، 11.

[690]. هو: هشام بن عمرو الفوطي، شيخ كبير، أخذ عنه عباد بن سلمان، وغيره. (ت: 221–230 هـ). الذهبي، ***تاريخ الإسلام***، 720/5.

[691]. هو: محمد بن بحر الأصفهاني،–أو الاصبهاني– أبو مسلم: وال، من أهل أصفهان، معتزلي من كبار الكتاب، من كتبه: جامع التأويل، في التفسير، ولادته ووفاته (254 – 322 هـ = 868 – 934 م) الزركلي، ***الأعلام***، 50/6.

[692]. حسين نصار، ***الصرفة والإنباء بالغيب***، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار وشركائه، منتدى سور الازبكية. 2000م، ص، 20.

[693]. وهو في علم المنطق: ما يُستَدلُّ فيه بالمعلول على العِلَّة، وسُمِّي بذلك لأنه يُفيدُ إنِيَّة الحُكم، أي: ثبوته وتحقُّقه من دون لِمِيَّته في الخارج. وفي اللغة: الإنّية بالهمزة المكسورة، استعمل هذه الكلمة الكندي (المتوفي 256 هـ) دلالة على الذات وعين الأنا المفردة. التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي، ***كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم***، تح: علي دحروج، ط: الأولى، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م، 9/1.

[694]. يُعرَّف اللمية: بأنه ما يُستَدلُّ فيه بالعِلَّة على المعلول، وسُمِّي بذلك لأنه يُفيدُ اللمِيَّة، أي: العِلِّيَّة. وفي اللغة اللِّمَّة: شعر الرأس، بالكسر، إذا كان فوق الوفرة، يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغت المنكبين فهي جمة. واللمة: الوفرة..، اللَّمُّ: الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الشَّدِيدُ. واللَّمُّ: مَصْدَرُ لَمَّ الشَّيْءَ يَلُمُّه لَمّاً جَمَعَهُ وأصلحه. إبن منظور، ***لسان العرب***، 551/12.

[695]. هو: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب، مولده ووفاته بخوارزم، 555 – 626 هـ = 1160 – 1229 م. الزركلي، ***الأعلام***، 8/ 222.

الإعجاز ذوقي لا يعبر عنه ولا يشرح بل يذاق ذوقاً، وأما الجرجاني فاختار انه يمكن التعبير عنه.[696]

نسب القول بالصرفة إلى كثير من العلماء، كما يقول ابن عاشور في تفسيره: "ولم ينسبوا هذا القول إلا إلى الأشعري، فيما حكاه أبو الفضل عياض،[697] في «الشفاء» وإلى النظّام، والشريف المرتضى، وأبي إسحاق الأسفراييني،[698] فيما حكاه عنهم عضد الدين،[699] في «المواقف» وهو قول ابن حزم،[700] صرح به في كتاب «الفصل»، وقد عزاه صاحب «المقاصد» التفتازاني،[701] في شرحه إلى كثير من المعتزلة "،[702] وقال بالصرفة ابن سنان الخفاجي الشاعر في كتاب له، ألفه في الصّرفة، زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة حتى صار معجزة للنبي ﷺ وأن كلّ فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلك،[703] ويقول الراغب: لم يخف على ذي لب أن صارفا إلهياً يصرفهم عن المعارضة،[704] ومن أصحاب الأشعري من اعتقد أن الإعجاز

---

[696]. النورسي، ***إشارات الإعجاز***، 188.

[697]. ويقول القاضي، وذهب الشيخ أبو الحسن، إلى أن القرآن" مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون، فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه". القاضي عياض، ***الشفا***، 515/1.

[698]. هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، أبو إسحاق الأَسْفَرَايِيني، عالم بالفقه والأصول. كان يلقب بركن الدين، ولد، 418 هـ. الزركلي، ***الأعلام***، 61/1.

[699]. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، ***المواقف***، تح: عبد الرحمن عميرة ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، 1997م، 381/3.

[700]. وممن قالوا بالصرفة الفقيه البليغ العنيف المتشدد ابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ) فقد قال في كتاب الفصل في سبب الإعجاز: "لم يقل أحد أنَّ كلام غير الله تعالى معجز، لكن لمَّا قاله الله تعالى، وجعله كلامًا له، أصاره معجزًا، ومنع من مماثلته" ثم قال: وهذا برهان كان لا يحتاج إلى غيره. إبن حزم، ***الفصل في الملل والأهواء والنحل***، 12/3؛ أبو زهرة، ***المعجزة الكبرى القرآن***، 60.

[701]. نصه: وذهب النظام وكثير من المعتزلة والمرتضى من الشيعة إلى أن إعجازه بالصرفة وهي أن الله تعالى صرف همم المتحدين عن معارضته مع قدرتهم عليها وذلك إما بسلب قدرتهم أو بسلب دواعيهم أو بسلب العلوم التي لا بد منها في الإتيان بمثل القرآن بمعنى أنها لم تكن حاصلة لهم أو بمعنى أنها كانت حاصلة فأزالها الله وهذا هو المختار عند المرتضى. التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت: 791هـ) ***شرح المقاصد في علم الكلام***، دار المعارف النعمانية، باكستان، 1401هـ – 1981م، 184/2.

[702]. ابن عاشور، ***التحرير والتنوير***، 103/1.

[703]. ياقوت الحموي، ***معجم الأدباء***، 325/1.

[704]. يقول: وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته، فظاهر أيضاً إذا اعتبر.، وقد دعا الله جماعتهم إلى معارضة القرآن وأعجزهم عن الإتيان بمثله، وليس تهتز غرائزهم البتة للتصدي لمعارضته.، الراغب، أبو

في القرآن من جهة صرف الدواعي وهو المنع من المعارضة.[705] وقال بالصرفة الشيخ المفيد،[706] وكذا الكثير من العلماء،[707] كما يقول ابن الجوزي: أنا أقول: إنما يُصْرفون عن الشيء بتغيير طباعهم عند نزوله أن يقدروا على مثله.[708]

وقد عدّ مصطفى مسلم: أربعة من العلماء ممن قالوا بالصرفة، " النّظّام: أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار، ولد: 231هـ، والشريف المرتضى من الشيعة (ت: 436هـ)، والفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي (ت: 456 هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت: 466 هـ).[709]

بقى لنا أن نأتي بحجج القائلين بالصرفة، حيث أثبتوه وجعلوه وجها من وجوه إعجاز القرآن، وبعد البحث والتفتيش لوجود الأدلة، لم نجد دليلا قوياً لا من الآيات ولا من الاحاديث في إحتجاجهم بنظريتهم، ولكن عللوا ببعض الاقوال وجعلوها حجة لإثبات الصرفة.

ووجهُ احتجاجهم للصرفة، أنه إذا جاز عقلاً عدم تعذر المعارضة، ثم عجز بلغاء العرب –فضلاً عمن دونهم– عن معارضته وانقطعوا دونه، فذلك برهان على المعجزة؛ لأن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجارى العادات، صار كسائر المعجزات.[710] ولعلهم لم ينظروا في ذلك إلى المعجزة؛ وإنما نظروا إلى دلالتها على النبوة.

فلم يجد القائلون بالصرفة دليلا نقلياً ليعتمدوا عليه، ما عدا الدليل العقلي، بقولهم "القرآن من جنس كلام العرب وإن كان في الذروة منه" و يتكون القرآن من مجموعة كلمات وحروف بنظم

القاسم الحسين بن محمد الأصفهانى، ***تفسير الراغب الأصفهاني***، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط: الأولى، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420 هـ - 1999 م، 46/1.

[705]. الشهرستاني، ***الملل والنحل***، 103/1.

[706]. هو: محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبريّ، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (336 هـ) وتوفي ببغداد (413 هـ). الزركلي، ***الأعلام***، 21/7.

[707]. وإن التآليف حول الصرفة كثيرة، ولكن أفضل ما كتب كتاب النعيم الحمصي " فكرة إعجاز القرآن" حيث عدّ فيه جميع العلماء حسب القرون؛ ومن ثم ذكر رأي الكل مع ذكر قول الكل في الصرفة.، والبحث حول الصرفة بحث عميق يحتاج إلى بحث مستقل،.

[708]. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ***الوفا بتعريف فضائل المصطفى***، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ص، 195.

[709]. مصطفى مسلم، ***مباحث في إعجاز القرآن***، 59-61-62- 63.

[710]. بنت الشاطئ، ***الإعجاز البياني للقرآن***، 82.

خاص فمهما علا شأنه لا يكون معجزاً،[711] ولم يثبت لهذا الرأي حُجة، ولم يبق له دليل، منذ تعرض العلماء لنقده ورده لضعف أدلته، فظلت آراؤهم لا تتجاوز دائرة الظن والتخمين.

3.2.3. المانعون للصرفة

إن القول ببطلان الصرفة وردها قد بدأ مبدأه –عند البعض– على أساس نفي وجوه الإعجاز، بالصرفة، حيث لم يرضوا بالقول: بأن الله سلب العلوم وصرف الهمم عن المعارضة، ومع ذلك فقد وضع البعض من المفسرين، فروضا وإحتمالات لإثبات القول بالصرفة، وقد ردّه الأخرون بدون قيد، وأبطلوا الصرفة، بكثير من الادلة، نذكرهم فما يلي:

أحدث القائلين ببطلان الصرفة الباقلاني: وذلك من خلال تساؤلات حول الصرفة بقوله "فلما لم يوجد في كلامه –القائلون بالصرفة– من قبله مثله، علم أن ما ادعاه القائل "بالصرفة" ظاهر البطلان، ومما يبطل ما ذكروه من القول "بالصرفة" أنه لو كانت المعارضة ممكنة –وإنما منع منها الصرفة– لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه.[712]

وكذا الخطابي: حيث يتساءل حول الصرفة ويناقشه ثم يقول: إلا أن دلالة الآية تشهد بخلافه وهي قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾،[713] فأشار في ذلك إلى أَمر طريقه التكلف والاجتهاد، وسبيله التأَهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها، والله أعلم،[714] واختار كل من الزركشي، والسيوطي، هذا القول، وقالا: القول بالصرفة قول فاسد بدليل الآية السابقة، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى.[715]

---

[711]. الشهري، ***القول بالصرفة***، 76.

[712]. الباقلاني، ***إعجاز القرآن***، 30.

[713]. الاسراء، 88/17.

[714]. الخطابي، ***بيان إعجاز القرآن***، 23.

[715]. الزركشي، ***البرهان***، 94/2.؛ السيوطي، ***الإتقان***، 7/4.

وأبطل القاضي عبد الجبار الصرفة بقوله: ولو ثبت هذا المنع بأية صورة من صوره، لبطل بعض القرآن،[716] كما يقول: إن وجه التحدي في ذلك وقوع الصرف فيهم عن مثله، فبعيد.[717]

ويقول الإيجي: في نفي الصرفة، أنهم لو سلبوا القدرة لعلموا ذلك من أنفسهم ولتناطقوا به، ولم يتواتر، وأنه لا يتصور الإعجاز بالصرفة؛ وذلك لأنهم كانوا حينئذ يعارضونه بما اعتيد منهم من مثل القرآن الصادر عنهم قبل التحدي به بل قبل نزوله،[718] فإنهم لم يتحدوا بإنشاء مثله بل بالإتيان به، فلهم بعد الصرفة الواقعة بعد التحدي أن يعارضوا القرآن بكلام مثله صادر عنهم قبل الصرفة.[719]

وردّ الجرجاني القول بالصرفة وأبطله في كتابين عضيمين صنّفهما في الرّد على النظّام، وهما: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" بقوله: "لم أقف على ما يرضيني إن ذهبت هذا المذهب،[720] وأن القول بالصرفة، ولا سيما على هذا الوجه، قول في غاية البعد والتهافت، وأنه من جنس ما لا يعذر لعاقل في اعتقاده".[721]

وقد سمى أبو القاسم النيسابوري،[722] الصرفة بالمسألة المفتنة، كما يقول: "والصرفة مسألة كثيرة النظائر، مفتنة الشعب،[723] والصّرفة مشيئة كلامية مفتنة".[724]

ويقول القرطبي بعد نقل قول القائلين بالصرفة: وهذا فاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلوا قلنا: إن المنع والصرفة هو المعجز؛ لخرج القرآن عن كونه

---

716. الهمداني، ***المغني***، 324/16. نقلا عن سامي عطا حسن، الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها، 17.

717. الهمداني، ***المغني***، 220/16. نقلا عن: عمار البدوي، الاعجاز القرآني الصرفة ماله وما عليها، 55.

718. الإيجي، ***المواقف***، 397/3-398.

719. الجرجاني، ***شرح المواقف***، ص، 223.

720. الجرجاني، ***دلائل الإعجاز***، 4.

721. الجرجاني، ***دلائل الإعجاز***، 616/1.

722. هو: محمود بن ابي الحسن بن الحسين النيسابوري، الغزنوي، نجم الدين، أبو القاسم، بيان الحق، مفسر، فقيه، اديب، لغوي، شاعر(توفي نحو 550 هـ-1155 م). كحالة، ***معجم المؤلفين***، 157/12.

723. أبو القاسم النيسابوري، محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين الغزنوي نجم الدين، ***باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن***، تح: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 1419 هـ - 1998 م. 723/2.

724. أبو القاسم النيسابوري، محمود بن أبى الحسن بن الحسين، الغزنوي نجم الدين، ***إيجاز البيان عن معاني القرآن***، تح: حنيف بن حسن القاسمي، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415 هـ، 164/1.

معجزا، وذلك خلاف الإجماع،[725] فَإِن قيل فبينوا لنا وُجُوه إعجاز الْقُرْآن وَهل هُوَ من جنس مَا يقدر عَلَيْهِ الْبشر فصرفوا عَنهُ، أَو لَيْسَ من جنس مَا يقدرُونَ عَلَيْهِ؟ فَالْجَوَاب أَن نقُول: ذهب بعض عُلَمَائِنَا إِلَى أَن وَجه إعجازه إِنَّمَا هُوَ من جِهَة أَن صرفُوا عَن الْإِتْيَان بِهِ وَأَنه من جنس مَقْدُور الْبشر لَكِن لم يقدروا عَلَيْهِ، وَهَذَا إِن كَانَ فَهُوَ بليغ فِي الإعجاز،[726] ولم يعده وجها من وجوه الإعجاز.

وقد نهج الرازي في الحديث عن الصرفة سبيل الفرضية والاحتمال، فبعد ذكره للصرفة ومعجزة القرآن ومعارضته يقول: "فعدم الإتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة، يكون نقضا للعادة فيكون معجزا، فهذا هو الطريق الذي نختاره في هذا الباب،[727] وقد أيده ابن كثير في هذا القول قائلا: وهذه الطريقة لم تكن مرضية؛ لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته.[728]

وقال الشهاب الخفاجي،[729] "ولو اعترفوا بصرف الله عن معارضته اعترفوا بأنه من عنده، فمثل هذا الخيال الفارغ لا يضرّنا".[730] ويقول ابن تيمية، ومن أضعف الأقوال قول من يقول من أهل الكلام: "إنه معجز بصرف الدواعي –مع تمام الموجب لها– أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما، وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام" فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم –جميعهم– عن هذه المعارضة، مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة.[731]

---

[725]. القرطبي، ***الجامع لأحكام القرآن***، 75/1.

[726]. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ***الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام***، تح: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة، 327.

[727]. الرازي، ***مفاتيح الغيب***، 406/21.

[728]. ابن كثير، ***تفسير القرآن العظيم***، 110/1.

[729]. هو: احمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المصري، الحنفي، شهاب، أبو العباس، لغوي، اديب مشارك. ولد بمصر (979 –1571م) وتوفي بها(1069 هـ – 1659 م). كحالة، ***معجم المؤلفين***، 138/2.

[730]. الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي، حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير الإمام البيضاوي، الْمُسَمَّاة: ***عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي***، دار صادر، بيروت، بدون التاريخ. 6/1.

[731]. إبن تيمية، ***الجواب الصحيح***، 429/5.

وقال الزمخشري: في موضوع القول بالصرفة "ودع عنك حديث الصرفة، فما الصرفة إلا صفرة،[732] من النظام وفهة،[733] سقطة منه في الإسلام"،[734] ووافقه أبو حيّان بقوله: فالقائلون: بأن الإعجاز وقع بالصرف، هم من نقصان الفطرة الإنسانية،[735] وقال رشيد رضا، حول ما نسب إلى المعتزلة قولهم: إعجاز القرآن بالصرفة؛ "هذا رأي كسولٍ أحبَّ أن يريح نفسه من عَناء البحث وإجالة قدح الفكر في هذا الأمر".[736]

ويقول الزرقاني: حول مسألة الصرفة التي سماه الشبهة الهازلة، "إني لأعجب من القول بالصرفة في ذاته، ثم ليشتد عجبي وأسفي حين ينسب إلى ثلاثة من علماء المسلمين،[737] الذي نرجوهم للدفاع عن القرآن، ونربأ بأمثالهم أن يثيروا هذه الشبهات في إعجاز القرآن" ! ومن ثم يشك الزُرقاني في صحة القول بالصرفة ونسبته إلى أي من العلماء قائلا: "على أنني أشك كثيرا في نسبة هذه الآراء السقيمة إلى أعلام من العلماء ويبدو لي أن الطعن في نسبتها إليهم والقول بأنها مدسوسة من أعداء الإسلام عليهم أقرب إلى العقول، وأقوى في الدليل؛ لأن ظهور وجوه الإعجاز في القرآن من ناحية وعلم هؤلاء من ناحية أخرى قرينتان مانعتان من صحة عزو هذا الرأي الآثم إليهم.."[738]

القول بالصرفة لا يختلف عن قول العرب فيه: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾،[739] وهذا زعم رده الله على أهله، وكذَبهم فيه، وجعل القول به ضرباً من العمى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾،[740] فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد.[741] فالقول بالصرفة فيها إختلافات كثيرة، ولم يتفق عليها المفسرون القدماء، كما لم يجمع عليها المعاصرون.

---

[732]. يقال: إنه لفي صفرة للذي يعتريه الجنون، إذا كان في أيام يزول فيها عقله. الجوهري، ***الصحاح***، 714/2.

[733]. يعنى السقطة والجهلة ونحوها. الجوهري، ***الصحاح***، 2245/6.

[734]. رمضان يخلف، رسالة دكتواره، ***الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي***، كلية اصول الدين جامعة الامير عبد القادر الاسلامية، الجزائر، بدون سنة، ص، 15.

[735]. أبو حيان الاندلسي، ***البحر المحيط***، 1 /17.

[736]. رضا، ***تفسير المنار***، 165/1.

[737]. ويقصد بالعلماء الثلاثة: أبو إسحاق الإسفراييني من أهل السنة ؛ النظام من المعتزلة ؛ المرتضى من الشيعة. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 414/2.

[738]. الزرقاني، ***مناهل العرفان***، 419/2.

[739]. المدثر، 24/74.

[740]. الطور، 15/52.

[741]. الرافعي، ***إعجاز القرآن***، 102.

4.الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الله محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

وصلنا في نهاية البحث إلى النتائج التالية:

البحث في علم إعجاز القرآن الكريم علم عظيم، وله أثره البالغ في الأهمية، وقد إهتم به العلماء المتقدمون والمتأخرون كثيراً، وأشاروا إلى التحدي في بعض أقوالهم، من كتب التفاسير.

تبين من خلال البحث أن التحدّي لم ترد صريحة في القرآن الكريم، ولا الحديث الشريف، وإنما هي كلمة محدثة، وقد ظهرت في زمن النزعة الكلامية، بين القرنين الثاني والثالث، وذلك بالاستنتاج مما إستنبطه المفسرون من الآيات القرآنية ما يدل على التحدي وما في معناه، يوجد لفظ مرتبط بلفظ التحدي هو: "الإعجاز" فلا ينفك عنه، فإن التحدي مرتبط بالإعجاز؛ لأن حقيقة الإعجاز إثبات للعجز فيما وقع عليه التحدي، وهذا ما نقصده من الإعجاز القرآني؛ الذي أعجز الناس من أن يأتوا بمثله.

إن التحدي خاص بمعجزة القرآن، فلا يدخل فيه كل معجزة، قد خصّ بالقرآن الكريم؛ لأنه لا يوجد من بين الأنبياء من تحدّى بمعجزة من المعجزات، إلا نبينا محمد ﷺ حيث تحدى بالقرآن العرب على أن يأتوا بمثله؛ لأن التحدي يقابله المعارضة من جميع الوجوه، فالنبي عندما يتحدى بمعجزته، يفهم منه أنه: طلب الإتيان بمثل هذه المعجزة على سبيل المعارضة؛ ولأن التحدي دليل على صدق دعوى النبوة، وتأييد قاطع لمدعاه.

المعارضة والتحدي في نضج العبارات –الخطب والأشعار– كانت عادة مألوفة ومعهودة لدى العرب، وأن نزول القرآن في زمنه قد وافق ما هم عليه من التفنن في استعمال الكلمات الرائقة في عصرهم الذي عاشوا فيه؛ ومن ظهور الحركة الأدبية قبل ظهور الإسلام، حيث اغتروا بفصاحتهم البيانية، وبلاغتهم الرائقة، فوافق التحدي القرآني طبعهم وألفتهم، ووقفوا حائرين.

جاء التحدي يطلب المثلية في بلاغة القرآن وأسلوبه الرائق، وحسن نظمه وقوة معناه؛ حتى ولو كان الاتيان افتراءً، ولم يدعهم وأفسح لهم المجال للاستعانة بالغير؛ لأجل إتيانهم بسورة من مثل القرآن، فأيقنوا بعد العجز بأنه كلام الله –تعالى– وليس فيه دخل للبشرية، فالمثلية مطلوبة في آيات التحدي، وإذا ثبت إتيانهم من مثل القرآن بعشر سور، أو سورة واحدة قصيرة أو طويلة، أو حديث مثيل له أو مشابه له، فيبطل إعجاز القرآن، وأن عدم استطاعتهم دلالة على إثبات إعجازه، وإلا فإن ما تدّعونه على سبيل المعارضة إنما هو كذب ومعاندة لا غير.

وقع التحدي ببيانه، وبلاغته، وألفاظه، وجميع وجوه إعجازه، وعمَّ الثقلين الإنس والجن، واستمر التحدي والتقريع في العهد المكي والمدني؛ بإتيان المثل، وقد كان التحدي مرت بمراحل غير مرة واحدة؛ ليأتوا بشيء من مثل ما أتى به، مع طول زمن هذا التحدي، فقد أصابهم العجز ورجعوا بالخيبة من غير أمل، فوجِّه إليهم من غير أن يستجيبوا؛ فصار القرآن هو الكلمة العليا، والقاضي الحاكم على جميع الأحكام، وقع التحدي للكافة –جميع الخلق– وشمل كل جنس وزمن، وهو مستمر إلى أن تنتهي الحياة، في كل أعصار وأمصار، وباقية على الأزمان، غير خاص بزمن دون زمن، أو عصر دون عصر، فله الخصوصية بزمن النزول، والعمومية بزمن ما بعد النزول.

بدأ التحدي من خلال ثلاث وعشرين سنة، فبعض آيات التحدي نزلت بمكة، والبعض الآخر بالمدينة، فوجهت آيات التحدي إلى المعارضين، من الأثقل إلى الخفيف ثم الأخفّ، ومن الأصعب إلى السهل ثم الأسهل، حيث قال المفسرون: فبعد التحدي بالإتيان بمثل القرآن وعجزهم؛ تدرج إلى التحدي بعشر سور، ثم إلى سورة، وحديث يساويه ويشبهه، وذلك في أربعة مراحل مما عدّه العلماء، مع تحديهم بإتيان رجل يساوي محمداً ﷺ في الأمية، وتحديه جميع الخلق، ولكن كما قال الآخرون ان التحدي لم يكن مرحلياً متدرجاً، ولا يوجد دليل على تدرج التحدي.

إن معجزة القرآن، وإثبات العجز مقرون بالتحدي، وإن الأسباب الداعية إلى التحدي هي: الشك والريب وإنكار المشركين، وعناد المعارضين للقرآن، وادعائهم الكذب والافتراء، ونزول القرآن بطريقة التدرج –غير المتوقع– في أذهان العرب.

مما يلفت النظر إليه مسألة المعارضة، عندما نزل القرآن وقف البعض أمام القرآن وعارضوه، ووقعت المعارضة، وقد قالوا بعض السخافات، والعبارات، ألتي ظنوا أن فصاحتها تشبه فصاحة القرآن، أو تكون قريبة من فصاحته وبلاغته، حيث هذه المعارضة كانت موجودة في زمن النزول وما بعده، ولكنهم لم يأتوا بالفصاحة؛ وإنما أتوا بالفضاحة، فيستحي العاقل من أن يقول مثل هذه المقولات، فصاروا مثلا للآخرين، وسخرية للساخرين.

قد وقع بعض العلماء في مسألة الإفراط والتفريط؛ وادعوا الصَرفة، وقالوا: إن الله قد صرف همم العرب، وسلب قدرتهم العلمية عن معارضة القرآن والإتيان بمثله، وأن هذا القرآن قد ينزل من شأنه ورفعته بنسبة القول إليه بالصرفة، وقد توسط البعض من العلماء في القول بالصرفة؛ فعلّلوه بالفرضية والاحتمال، مع أن الجمهور قد أبطلوا القول بالصرفة، وردّوه بالآيات القرآنية الدالة على التحدي الصريح والضمني، والتفصيل فيه مجال للمناقشة والبحث، والحديث حولها، والقول بالصرفة مردود وليس عليها دليل قاطع.

وبقي الوصية للباحثين والمهتمين بالقرآن وتفسيره، النظر الدقيق والفاحص، والتدبر الأمثل في مسألة التحدي والمعارضة، وبالأخص مسألة الصرفة، مما يظهر أسرار إعجاز القرآن الكريم، وخفاياه، وأن يستغرقوا ويصرفوا جهدهم الثمين في البحث ودراسة آيات القرآن الكريم، لما فيه من خير عظيم وجزاء كثير، والله هو المعين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وصلّى الله على سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

5. المراجع

الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت: 1414هـ) *الموسوعة القرآنية*، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.

أحمد البدوي، أحمد عبد الله البيلي (ت: 1384هـ) *من بلاغة القرآن*، نهضة مصر، القاهرة، 2005 م.

الأحمد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: نحو 1183 هـ) *دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون*، ط: الأولى، عرب عباراته الفارسية، حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ، 2000م.

أحمد، حسن عبد الفتاح، *عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم*، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بدون تاريخ.

أحمد، مختار عمر، *معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي*، ط: الأولى، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ، 2008م.

الأدنه وي، أحمد بن محمد(ت: ق: 11هـ) *طبقات المفسرين*، تح: سليمان بن صالح الخزي: ط: الأولى، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1417هـ، 1997م.

إسماعيل حقي، بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ) *روح البيان*، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق (ت: 324هـ) *مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين*، تح: نعيم زرزور، ط: الأولى، المكتبة العصرية، 1426هـ - 2005م.

الأصبهاني، الراغب أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي (ت: 502هـ) *إعراب القرآن*، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط: الأولى، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1415 هـ - 1995 م.

.... *المفردات في غريب القرآن*، تح: صفوان عدنان الداودي، ط: الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، 1412هـ.؛

.... *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، ط: الأولى، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420 هـ - 1999 م.

الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني(ت: 1270هـ) *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تح: علي عبد الباري عطية، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.

الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، *المواقف*، تح: عبد الرحمن عميرة، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، 1997م.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي الباقلاني المالكي(ت: 403هـ) *إعجاز القرآن*، تح: السيد أحمد صقر، ط: الخامسة، دار المعارف، قاهرة، 1997م.؛

..... *تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل*، تح: عماد الدين أحمد حيدر، ط: الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1407هـ – 1987م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: 256هـ) *الجامع الصحيح المختصر*، تح: مصطفى ديب البغا، ط: الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ – 1987م،

البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي البنجلاديشي(ت: 1395هـ) *التعريفات الفقهية*، دار الكتب العلمية، إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ، 1986م، ط: الأولى، 1424هـ، 2003م.

البغا، مصطفى ديب ؛ **مستو،** محيى الدين ديب، *الواضح في علوم القرآن*، ط: الثانية، دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية، دمشق، 1418هـ – 1998م.

البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي الأسفراييني(ت: 429هـ) *الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية*، ط: الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ) *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر(ت: 885هـ) *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

بكري شيخ أمين، ***التعبير الفني في القرآن***، ط: السادسة، دار الشروق، القاهرة، 1400هـ،

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ) *أنساب الأشراف*، تح: سهيل زكار؛ رياض الزركلي، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1417هـ - 1996م.

بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت: 1419هـ) *الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق*، ط: الثالثة، دار المعارف، قاهرة، بدون تاريخ.

البوطي، محّمد سَعيد رَمضان، *من روائع القرآن* - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، موسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ - 1999م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ) *أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تفسير البيضاوي*، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني(ت: 458هـ) *دلائل النبوة*، تح: عبد المعطي قلعجي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، 1408هـ - 1988 م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت: 606هـ) *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تح: طاهر أحمد الزاوى؛ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ) *أخبار الحمقى والمغفلين*، المكتب التجاري، بيروت، بدون تاريخ.؛

.... *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، تح: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، 1418هـ - 1997م.؛

.... *الوفا بتعريف فضائل المصطفى*، دار المعرفة، بيروت. بدون تاريخ.؛ : *صيد الخاطر*، بعناية: حسن المساحي سويدان، ط: الأولى، دار القلم، دمشق، 1425هـ - 2004م.؛

.... *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.؛

.... المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412 هـ - 1992 م،

ابن الدمياطي، الحافظ أبي الحسين أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي، المتوفى سنة (749هـ)، *المستفاد من ذيل تاريخ بغداد*، دراسة؛ تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. بدون تاريخ.

ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (ت: 543هـ) *أحكام القرآن*، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ – 2003 م.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي (ت: 438هـ) *الفهرست*، تح: إبراهيم رمضان، ط: الثانية، دار المعرفة، بيروت، 1417 هـ – 1997 م

ابن الوردي، أبو حفص، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، المعري الكندي (ت: 749هـ) *تاريخ ابن الوردي*، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ – 1996م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: 728هـ) *كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام*، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط: الثانية، مكتبة ابن تيمية، قاهرة، بدون تاريخ.؛

.... *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، تح: علي بن حسن؛ عبد العزيز بن إبراهيم؛ حمدان بن محمد، ط: الثانية، دار العاصمة، رياض، 1419هـ –1999م.

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي (ت: 852هـ): *الإصابة في تمييز الصحابة*، تح: علي محمد البجاوي، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت – 1412 – 1992.؛

..... *لسان الميزان*، تح: دائرة المعرف النظامية الهند، ط: الثالثة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1406هـ– 1986م،

ابن حزم، الظاهري أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت: 456هـ) *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ.

ابن خلدون، أبو زيد، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الحضرمي الإشبيلي(ت: 808هـ) *مقدمة ابن خلدون*، ط: الخامسة، دار القلم، بيروت، 1984م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: 681هـ) *وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان*، تح: إحسان عباس، ط: الأولى، دار صادر، بيروت، 1994م.

ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321هـ) *جمهرة اللغة*، تح: رمزي منير بعلبكي، ط: الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي (ت: 230هـ) *الطبقات الكبرى*، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ - 1990م.

ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد الحلبي (ت: 466هـ) *سر الفصاحة*، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، 1402هـ-1982م.

ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ) *المخصص*، تح: خليل إبراهم جفال، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ -1996م.

ابن عادل الحنبلي، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ) *اللباب في علوم الكتاب*، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ؛ والشيخ علي محمد معوض، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ -1998م.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ) *التحرير والتنوير*، دار التونسية، تونس، 1984هـ.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ) *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تح: علي محمد البجاوي، ط: الأولى، دار الجيل، بيروت، 1412هـ - 1992م.

ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي(ت: 803هـ) *تفسير ابن عرفة*، تح: جلال الأسيوطي، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 م.

ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ-1993م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: 395هـ) *معجم مقاييس اللغة*، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

ابن قتيبة الدِّينَوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ) *المعارف*، تح: ثروت عكاشة، ط: الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ) *تفسير القرآن العظيم*، تح: سامي بن محمد سلامة، ط: الثانية، دار طيبة، رياض، 1420هـ- 1999 م.؛

.... *البداية والنهاية*، تح: علي شيري، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ - 1988م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري(ت: 711هـ) *لسان العرب*، تح: عبد الله علي الكبير؛ ومحمد أحمد حسب الله ؛ وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة. بدون تاريخ.

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ) *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ.

أبو القاسم النيسابوري، نجم الدين محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي (ت: نحو 550هـ) *إيجاز البيان عن معاني القرآن*، تح: حنيف بن حسن القاسمي، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415 هـ.؛

.... *باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن*، تح: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1419هـ - 1998 م.

أبو حبيب سعدي، *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*، ط: الثانية، دار الفكر، دمشق، 1408هـ- 1988م.

أبو حيان، أثير الدين الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (ت: 745هـ) *البحر المحيط في التفسير*، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420 هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ) *المعجزة الكبرى القرآن*، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

.... *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم (ت: 1403هـ) *المدخل لدراسة القرآن الكريم*، ط: الثانية، مكتبه السنة، القاهرة، 1423هـ – 2003 م،

أبو فهر، محمود محمد شاكر، *مداخل إعجاز القرآن*، ط: الأولى، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، 2002م– 1423هـ.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو 395هـ) *الفروق اللغوية*، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت: 791هـ) *شرح المقاصد في علم الكلام*، دار المعارف النعمانية، باكستان، 1401هـ – 1981م.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي (ت: بعد 1158هـ) *كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم*، تح: د. علي دحروج، ط: الأولى، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ) *الجواهر الحسان في تفسير القرآن*، تح: الشيخ محمد علي معوض؛ والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.

الثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم(ت: 427هـ) *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ – 2002م.

الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي(ت: 255هـ) *الحيوان*، ط: الثانية، دار الكتب العلمية – بيروت، 1424هـ.؛

.... *الرسائل للجاحظ*، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ – 1964م.

جبريل، محمد بن السيد رضى، *عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم*، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة. بدون تاريخ.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل(ت: 471هـ) *الرسالة الشافية*، تح: محمد خلف الله ؛ د. محمد زغلول سلام، ط: الثالثة، دار المعارف، قاهرة، 1976م.؛

.... *دلائل الإعجاز في علم المعاني*، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط: الثالثة، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، 1413هـ – 1992م.

الجرمي، إبراهيم محمد، *معجم علوم القرآن*، ط: الأولى، دار القلم، دمشق، 1422هـ – 2001م.

الجزري، ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: 630هـ) *اللباب في تهذيب الأنساب*، دار صادر، بيروت. بدون تاريخ.؛

.... *الكامل في التاريخ*، تح: عبد الله القاضي، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ) *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ-1987م.

الحجازي، محمد محمود، *التفسير الواضح*، ط: العاشرة، دار الجيل الجديد، بيروت، 1413هـ.

الحسيني، الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي، *القرآن يتحدى*، ط: الأولى، مكتبة الهيئة الأمين، كويت، 1426هـ، 2005م.

الحَلِيمي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني(ت: 403هـ) *المنهاج في شعب الإيمان*، تح: حلمي محمد فودة، ط: الأولى، دار الفكر، 1399هـ – 1979م،

الحمصي، نعيم، *فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر*، ط: الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت 1400هـ- 1980م.

الخازن، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي(ت: 741هـ) *لباب التأويل في معاني التنزيل*، تح: محمد علي شاهين، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ.

الخالدي د. صلاح عبد الفتاح، *إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني*، ط: الأولى، دار البحار، عمان، 1421هـ-2000م.؛

.... *التفسير والتأويل في القرآن*، ط: الأولى، دار النفائس، الأردن، 1416 هـ- 1996 م.

الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري(ت: 327هـ) *مساوئ الأخلاق ومذمومها*، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ط: الأولى، مكتبة السوادي، جدة، 1413 هـ - 1993 م،

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ) *تاريخ بغداد*، تح: الدكتور بشار عواد معروف، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ - 2002 م.؛

.... *تاريخ بغداد وذيوله*، ط: الأولى، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ.

الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ) *الإعجاز في دراسات السابقين*، ط: الاولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1974م.

.... *التفسير القرآني للقرآن*، دار الفكر العربي، القاهرة. بدون تاريخ.

الخوئي، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي، *البيان في تفسير القرآن*، دار الزهراء، بيروت، بدون تاريخ.؛

.... *نفحات الإعجاز* في رد الكتاب المسمى، حسن الايجاز، ط: الثالثة، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1411هـ- 1990م.

درّاز، محمد بن عبد الله (ت: 1377هـ) *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، طبعة مزيدة ومحققة 1426هـ- 2005م.

دروزة، محمد عزت بن عبد الهادي، *التفسير الحديث*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1383هـ.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ) *إعراب القرآن وبيانه*، ط: الرابعة، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، 1415هـ.

الدغامين، زياد خليل محمد، *إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي*، ط: الأولى، چاغلان، دار النيل، إزمير، 1419هـ-1998م،

الدوري، قحطان عبد الرحمن، *التحدي في آيات الإعجاز*، مؤسسة الرسالة، دار البشير، عمان، 1966م.

دُوزِي، رينهارت بيتر آن (ت: 1300هـ) *تكملة المعاجم العربية*، ط: الأولى، نقله إلى العربية وعلق عليه، جـ 1-8، محمَّد سَليم النعَيمي، جـ 9-10، جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1979-2000 م،

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: 748هـ) *تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام*، تح: بشار عوّاد معروف، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي 2003 م.؛

.... *سير أعلام النبلاء*، تح: شعيب الأرناؤوط؛ محمد نعيم العرقسوسي، ط: التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413.

الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن، *شرح تفسير ابن كثير*، الكتاب مرقم آليا، بترقيم المكتبة الشاملة، ورقم الجزء هو رقم الدرس، 116 درسا، بدون تاريخ.

الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، ط: الثامنة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425 هـ- 2005 م.

رضا، محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني(ت: 1354هـ) *تفسير القرآن الحكيم=تفسير المنار*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله المعتزلي (ت: 384هـ) *النكت في إعجاز القرآن*، تح: محمد خلف الله؛ محمد زغلول سلام، ط: الثالثة، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن [سلسلة: ذخائر العرب، 16] دار المعارف، قاهرة، 1976م.

رمضان يخلف، رسالة دكتواره، *الموازنة بين تفسير الكشاف الزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي*، كلية اصول الدين جامعة الامير عبد القادر الإسلامية، الجزائر، بدون سنة،

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، *وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في أوآئل السور*، ط: الأولى، مكتبة التوبة، السعودية، 1417هـ-1997م.؛

.... *دراسات في علوم القرآن*، ط: الثانية عشرة، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، 1424هـ-2003م.

الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل(ت: 311هـ) *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: الأولى، عالم الكتب، بيروت، 1408 هـ - 1988 م.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، ط: الثانية، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418 هـ.

زرزور، عدنان محمد، *الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير*، مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون تاريخ،

الزُرقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، تح: فواز أحمد زمرلي، ط: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ- 1995م.

الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر(ت: 794هـ) *البرهان في علوم القرآن*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الاولى، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، 1376 هـ- 1957 م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت: 1396هـ) *الأعلام*، ط: الخامسة عشر، أيار، مايو، دار العلم للملايين، 2002 م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي (ت: 538هـ) *أساس البلاغة*، تح: محمد باسل عيون السود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419 هـ - 1998 م.

زمين، حمد، *إعجاز القرآن الكريم والقصة القرآنية المعجزة*، اطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية جامعة بشاور، باكستان، 1413هـ- 1992م.

الزَّوْزَني، أبو عبد الله حسين بن أحمد بن حسين(ت: 486هـ) *شرح المعلقات السبع*، ط: الأولى، دار احياء التراث العربي، 1423هـ- 2002 م.

زين الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت: 666هـ) *مختار الصحاح*، تح: يوسف الشيخ محمد، ط: الخامسة، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا 1420هـ-1999م.

سامي عطا حسن، *الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها*، جامعة آل البيت. بدون سنة الطبع والنشر.

السرقسطي، أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (ت: 302هـ) *الدلائل في غريب الحديث*، تح: محمد بن عبد الله القناص، ط: الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422 هـ- 2001 م

سركيس، يوسف بن إليان بن موسى (ت: 1351هـ) *معجم المطبوعات العربية والمعربة*، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م.

سعد الدين، السيد صالح، *المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم*، ط: الثالثة، من إهداءات، 2003، للدكتور حائط يوسف الأسكندرية، دار المعارف، القاهرة، 1993م.

سعيد حوّى، سعيد بن محمد ديب بن محمود النعيمي (ت: 1409هـ) *الأساس في التفسير*، ط: السادسة، دار السلام، القاهرة، 1424هـ.

السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت: 1188هـ) *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*، ط: الثانية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، 1402هـ، 1982م.

السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الحنفي (ت: 626هـ) *مفتاح العلوم*، ط: الثانية، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407 هـ - 1987 م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، (373 هـ، 983 م.) *بحر العلوم*، تح: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

السموأل، بن يحيى بن عباس المغربي (ت: نحو 570هـ) *بذل المجهود في إفحام اليهود*، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، ط: الأولى، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1410هـ - 1989م،

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ) *في ظلال القرآن*، ط: السابعة عشر، دار الشروق، القاهرة، 1412 هـ؛

.... *التصوير الفني في القرآن*، ط: السادسة عشر، دار الشرق، القاهرة، 1424هـ- 2002م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ) *الإتقان في علوم القرآن*، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1394هـ، 1974 م.؛

.... *طبقات المفسرين*، تح: علي محمد عمر، ط: الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396هـ.؛

.... *لباب النقول في أسباب النزول*، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.؛

.... *تاريخ الخلفاء*، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر، 1371هـ-1952م.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: 816هـ) ***التعريفات***، تح: جماعة من العلماء، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ -1983م.

الشريف المرتضي، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعتزلي(ت، 436هـ) *الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)*، تح: محمد رضا الانصاري القمي، ط: الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، 1424هـ.

الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، *الخواطر، تفسير الشعراوي*، مطابع أخبار اليوم، القاهرة 1997م،

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى : 1393هـ) *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ- 1995 م.

شهاب الدين الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي (ت: 1069هـ) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير الإمام البيضاوي، الْمُسَمَّاة: *عِنَايَةُ القَاضِي وكِفَايَةُ الرَّاضِي عَلَى تَفْسِيرِ البَيضَاوِي*، دار صادر، بيروت، بدون التاريخ.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (ت: 548هـ)، *الملل والنحل*، مؤسسة الحلبي، دمشق. بدون تاريخ.

الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، *القول بالصرفة في إعجاز القرآن عرض ونقد*، ط: الاولى، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، 1432هـ.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ) *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، دار المعرفة، بيروت. بدون تاريخ.

الصائغ، ناصر بن محمد بن صالح، "*آيات التحدي بالقرآن الكريم جمعا ودراسة*" مجلة الدراسات القرآنية، العدد الخامس، الجمعية العلمية السعودية، 1430هـ- 2009م.

صبحي الصالح، إبراهيم (ت: 1407هـ) *مباحث في علوم القرآن*، دار العلم للملايين، ط: الرابعة والعشرون، كانون الثاني، يناير 2000م.

صدر الدين البصري، علي بن الحسن(ت: 659هـ) *الحماسة البصرية*، تح: مختار الدين أحمد، عالم الكتب بيروت، 1403هـ- 1983م.

صديق خان، أبو الطيب محمد بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني القِنَّوجي البخاري (ت: 1307هـ) *نيل المرام من تفسير آيات الأحكام*، تح: محمد حسن إسماعيل؛ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، 2003.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله(ت: 764هـ) *الوافي بالوفيات*، تح: أحمد الأرناؤوط؛ تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ- 2000م.

الضنّاوي سعد؛ أستاذ: **جوزيف** مالك، *معجم المترادفات والأضداد*، ط: الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2007م،

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت: 310هـ) *جامع البيان في تأويل القرآن*، تح: أحمد محمد شاكر، ط: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ- 2000م.

الطنطاوي، عبد الله بن محمود "*مجلة المنار*" العدد 63، شوال 1423هـ.

الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، *شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي*، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، ط: الأولى، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، 1431 هـ.؛

.... *الإعجاز العلمي إلى أين؟ مقالات تقويمية للإعجاز العلمي*، ط: الثانية، دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية، 1433هـ.

عباس، فضل حسن، *إعجاز القرآن الكريم*، دراسة في تاريخ الإعجاز، وجهود العلماء الأقدمين والمحدثين، مراجعة وتعليق: سناء فضل عباس، ط: الأولى، عمان، دار النفائس، 1437هـ-2016م.

عبدالباقي، محمد فؤاد، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم***، دار الحديث، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1364هـ، 1945م،

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت:1421هـ) *مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب*، ط: الأولى، مكتبة الرشد، 1427هـ،

العكبري، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي (ت: 616هـ) *شرح ديوان المتنبي*، تح: مصطفى السقا؛ إبراهيم الأبياري؛ عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت. بدون تاريخ.

العلوي، المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني الطالبي(ت: 745هـ) *الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز*، ط: الأولى، المكتبة العنصرية، بيروت، 1423 هـ.

عمارة، محمد عمارة مصطفى، *القرآن يتحدى*، ط: الأولى، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، 1430هـ-2009م.

العواجي، محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي، *إعجاز القرآن الكريم عند شيخ الإسلام ابن تيمية مع المقارنة بكتاب إعجاز القرآن للباقلاني*، ط: الأولى، تقديم، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين؛ د. محمد عمر عبدالله حويّة، مكتبة دار المنهاج، الرياض، 1427هـ.

عويس، عبدالحليم، *مصطلحات علوم القرآن*، ط: الأولى، المنصورة، دار الوفاء، 1428هـ-2007م.

الكجراتي، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (ت: 986هـ) *مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار*، ط: الثالثة، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1387 هـ - 1967م.

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري(ت: 606هـ) *مفاتيح الغيب= التفسير الكبير*، ط: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت: 207هـ) *معاني القرآن*، تح: أحمد يوسف النجاتي ؛ محمد علي النجار؛ عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط: الأولى، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر. بدون التاريخ.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ) *العين*، تح: مهدي المخزومي؛ د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال. بدون تاريخ.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي(ت: 817هـ) *القاموس المحيط*، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط: الثامنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ، 2005م.؛

.... *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، تح: محمد علي النجار: المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1416هـ-1996م.؛

.... *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، دار الكتب العلمية، بيروت. بدون تاريخ.

قاضي عياض، أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي(ت: 544هـ) *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*، ط: الثانية، دار الفيحاء، عمان، 1407هـ.

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت: 671هـ) *الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام*، تح: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة. بدون تاريخ.؛

.... *الجامع لأحكام القرآن*، تح: أحمد البردوني؛ وإبراهيم أطفيش، ط: الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ - 1964 م.

القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ) *لطائف الإشارات = تفسير القشيري*، تح: إبراهيم البسيوني، ط: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. بدون تاريخ.

القطان، مناع بن خليل (ت: 1420هـ) *مباحث في علوم القرآن*، ط: الثالثة، مكتبة المعارف، رياض، 1421هـ- 2000م.

الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: 764هـ) *فوات الوفيات*، تح: علي محمد بن يعوض الله؛ عادل أحمد عبد الموجود، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق (ت: 1408هـ)، *معجم المؤلفين*، مكتبة المثنى، بيروت. بدون تاريخ.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، (ت: 1094هـ)، *الكليات*، تح: عدنان درويش؛ محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م،

الكرماني، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر (ت: نحو 505هـ) *أسرار التكرار في القرآن*، المسمى =البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تح: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة. بدون تاريخ.

كفافي، محمد عبد السلام؛ عبد الله الشريف، *في علوم القرآن دراسات ومحاضرات*، دار النهضة العربيه، بيروت. بدون تاريخ.

الكناني، أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون المكي، *الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن*، تح: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، ط: الثانية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1423هـ-2002م.

الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود(ت: 333هـ) *تأويلات أهل السنة*، تح: مجدي باسلوم، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426 هـ - 2005 م،

المُجَاشِعِي، أبو الحسن علي بن فَضَّال بن علي بن غالب القيرواني(ت: 479هـ) *النكت في القرآن الكريم*، دراسة وتح: عبد الله عبد القادر الطويل، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428 هـ - 2007 م.

مجموعة من العلماء، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط: الأولى، بإشراف: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1414 هـ - 1993 م.

مصطفى، إبراهيم؛ **الزيات**، أحمد؛ **عبد القادر**، حامد؛ محمد النجار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ؛ *المعجم الوسيط*، دار الدعوة، القاهرة، بدون تاريخ.

محمد غلاب، *مشكلة الألوهية*، ط: الثانية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1951م.

محمود، عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، *معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية*، دار الفضيلة، القاهرة، بدون تاريخ.

مختار، أحمد عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) *معجم اللغة العربية المعاصرة*، ط: الأولى، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، 1429هـ- 2008م.

مخلوف عبدالرؤوف، *الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن*، دار الحياة، بيروت، 1978م.

مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ) *تاج العروس من جواهر القاموس*، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية. بدون تاريخ.

المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران(ت: 297 - 384 هـ)، *معجم الشعراء*، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو: ط: الثانية، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402هـ، 1982م،

المستغفري، أَبُو العبّاس جعفر بنُ محمّد بنُ المعْتزِ بنِ محمّد بنِ المُسْتَغْفِرِ بنِ الفتْحِ بنِ إدريس النَّسفيّ (ت: 432هـ) *فضائل القرآن*، تح: أحمد بن فارس السلوم، ط: الأولى، دار ابن حزم، 2008 م.

المصطفوي، المحقق المفسر العلامة حسن المصطفوي، *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*، ط: الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م-1430هـ.

المُطَرِّزِيّ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي الخوارزمي (ت: 610هـ) *المُغرِب في ترتيب المعرِب*، تح: محمود فاخوري؛ عبدالحميد مختار، ط: الأولى، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، 1979م.

المظهري، القاضي مولوي محمد ثناء الله الهندي، *التفسير المظهري*، تح: غلام نبي التونسي: مكتبة الرشدية، الباكستان، 1412 هـ.

النخجواني، الشيخ علوان نعمة الله بن محمود (ت: 920هـ) *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، ط: الأولى، دار ركابي، الغورية، مصر، 1419هـ - 1999م.

نصار، حسين محمد، *الصرفة والإنباء بالغيب*، مكتبة مصر، سعيد جودة السحار وشركائه، منتدى سور الازبكية، 2000م.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: 850هـ) *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: الشيخ زكريا عميرات، ط: الأولى، دار الكتب العلميه، بيروت،1416 هـ.

النكراني، الشيخ محمد فاضل، *مدخل التفسير*، تح: ونشر، مركز فقه الأئمة الاطهار، قم، ط: الرابعة، 1428هـ.

النورسي، بديع الزمان سعيد (ت: 1379هـ) *إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز*، تح: إحسان قاسم الصالحي، ط: الثالثة، شركة سوزلر، استنبول، 2002.؛

.... *المكتوبات*، ترجمة إحسان صالحي، دار سوزلر، استنبول، 1992م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ) *تهذيب الأسماء واللغات*، تح: مكتب البحوث والدراسات، ط: الأولى، دار الفكر، بيروت، 1996م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري(ت: 733هـ) *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ط: الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 هـ.

نويهض، عادل، *معجم المفسرين « من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر »* قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، ط: الثالثة، مؤسسة نويهض، بيروت، 1409هـ-1988م.

الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي(ت: 1400هـ) *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط: الأولى، دار طوق النجاة، بيروت، 1421 هـ - 2001 م.

الهروي، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري (ت: 1014هـ) *شرح الشفا*، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،1421 هـ.

الهمداني، القاضي المعتزلي عبد الجبار بن أحمد (ت 415هـ) *المغني في أبواب التوحيد والعدل*، تح: أمين الخولي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة. بدون تاريخ.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت: 468هـ) *أسباب النزول*، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: الثانية، دار الإصلاح، الدمام، 1412هـ - 1992م.؛

.... *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1415 هـ.؛

.... *التفسير البسيط*، تح: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة، عمادة البحث العلمي، ط: الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ.

ياسوف، أحمد، *جماليات المفردة القرآنية*، ط: الثانية، دار المكتبى، دمشق، 1419 هـ - 1999م.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت: 626هـ) *معجم البلدان*، ط: الثانية، دار صادر، بيروت، 1995 م.؛

.... *معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تح: إحسان عباس، ط: الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ - 1993 م.

اليمني، نشوان بن سعيد الحميرى (ت: 573هـ) *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تح: د حسين بن عبد الله العمري؛ مطهر بن علي الإرياني؛ يوسف محمد عبد الله، ط: الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1420هـ-1999م.

يوسف، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل، *تكملة معجم المؤلفين*، ط: الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1418 هـ - 1997 م.

6. الملخص بالعربية

(رسالة ماجستير)

سامان أحمد رمضان

جامعة يوزنجوييل

معهد العلوم الاجتماعية للدراسات العليا

قسم العلوم الإسلامية ـ فرع التفسير

يناير - 2017

يهدف البحث إلى الكشف عن "آيات التحدي في القرآن الكريم" التي تحدى الله بها في عصر بلغ فيه المعاصرون لزمن نزوله أرقى درجة البيان، وأغلى البلاغة، وأفضل الفصاحة، في تفنن القول، والشعر، والنثر، والخطب، وأن هذا التحدى قد ظهر منه عظمة القرآن، وفخامته، وعلو شأنه وقدره، الذي امتلكته البشرية من أفضل وأعظم منهج ودستور في تاريخه المديد، حيث صار حجة على كل السامعين، وأسكت كل المعارضين عن معارضته، وظهر إعجازه وازداد يوما فيوماً، وتناغمت آياته في الصدور الطاهرة والنفوس النبيلة، فهو النور الذي رقّد العالم بألوان المعرفة، وعانق الإنسانية الرفعة والكمال.

وقد حاول أعداء الإسلام عامة، والقرآن خاصة، الطعن في إعجازه مرة، وتهميشه أخرى، والتشكيك مرات كثيرة، وجرّبوا مؤامرات عديدة؛ ليحطوا من عظمته؛ ولكن خابوا وخسروا وفشلوا، مع حرصهم الشديد على معارضة المُنَزَل والمنَزَل عليه، مع إلتماسهم الوسائل الكثيرة لإبطال دعواه ﷺ، ثم وقع عليهم التحدي؛ فتحداهم بالإتيان بمثل أقصر سورة مما تتلى عليهم ويشاهدوها في عصر النزول.

أوردنا مسألة التحدي والآيات الواردة فيه، وذلك في خمسة نصوص صريحة بالتحدي، وطلب الإتيان بمثل القرآن، وفيهم الصراحة في إيثار مشاعر المعارضين للمعارضة، وقد وردت النصوص في كل من سورة "البقرة، يونس، هود، الإسراء، الطور" حيث أن تحدي هذه السور جاء أولا بسورة من مثل القرآن مرتين، ثم بعشر سور، ثم بإتيان مثل القرآن، وأخيرا بحديث مثل القرآن،

وتوجد نصوص أخرى تشير إلى التحدي الضمني في الآيات القرآنية، فيفهم منها معنى التحدي، فكل آية تنفي الريب في القرآن، وتثبت حفظه، وتشير إلى التفكر والتدبّر، وتقطع بالعجز عن المعارضة، فهو: تحدً، ويوجد التحدي المشار إليه والضمني في كل الآيات التي فيها؛ الأحرف المقطعة في أوائل السور، وكذا طلب الإتيان بغير هذا القرآن أو تبديله أو تغييره، أو إثباته بأنه كلام الله تعالى، وقد ورد "الإتيان" في القرآن الكريم ويطلق على معاني كثيرة، ولكن المراد من الإتيان بالمثل هو: إتيان قرآن مثل القرآن المتلو في المصاحف على سبيل التحدي والمعارضة، فيشبهه في جميع وجوه إعجازه.

وقد سلطنا الضوء على مسألة الصرفة، التى جعلها البعض من أهل العلم وجهاً من أوجه الإعجاز القرآني، وأبطلها الآخرون بآيات التحدي.

الكلمات المفتاحية:	التحدي، الاعجاز، الاتييان بالمثل، المعارضة، الصرفة
عدد الصفحات	137 + 8
المشرف	أ.د.عبد الباقي كونش

7. المـلـخص بالتركية

(Yüksek Lisans)

Saman AHMED RAMADHAN

YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
Ocak ,2017

TAHADDİ'L-İTYANİ Bİ MİSLİ'L-KUR'ÂNİ Fİ'L-KUR'ÂN

(Kur'ân'da Kur'ân'nın Benzerini Getirme Konusunda Meydan Okuma)

ÖZET

Bu araştırmamız, Yüce Allah'ın beyan, belagat ve fesahatin en zirvesinde bulunan o günün insanlarına karşı söz sanatı, şiir, nesîr ve hitabet alanında meydan okuyan tahaddî ayetlerini incelemeyi hedeflemektedir. Hiç şüphesiz ki bu meydan okuyuşla beşeriyetin sahip olduğu en faziletli ve en yüce düstur olarak Kur'ân'ın mühteşem yüceliği ortaya çıkmıştır. Nitekim Kur'ân, muhatapları aleyhine kesin kanıt olmuş, inkârcıları da muhalefet etmekten susturmş, i'cazı ortaya çıkmış ve gün geçtikçe daha da artmıştır. Böylece Kur'ân-ı Kerim'in ayetleri temiz ve pak sinelerde her daim terennüm edilegelmiştir. Kur'ân, getirmiş olduğu değişik bilgi türleriyle insanlığı uykudan uyandırmış ve onlara yücelik bahşetmiştir.

Genel olarak İslam dini ve özellikle de Kur'ân-ı Kerim'e karşı düşmanlık besleyenler, bazen Kur'ân'ın i'cazına saldırıda bulunmuş veya bu hususta insanların zihinlerinde şüpheler uyandırmaya çalışmışlardır. Bu amaca yönelik olarak da Kur'ân'ın yüceliğini ve değerini düşürmek için pek çok komplo girişiminde bulunmuşlardır. Ancak –büyük bir istek içinde olmalarına rağmen– kendilerine indirilmiş olan söze karşı koymak ve iddiasını yalanlamak veya iptal etmek için birden çok araç ve yönteme başvurmalarına karşın bu amaçlarında başarılı olamayıp hüsrana uğramışlardır. Daha sonra kendilerine okunan ve nazil olduğuna şahit oldukları en kısa bir sûrenin bir benzerini getirmeleri hususunda bile hiçbir şey yapanmadılar.

Konu edindiğimiz thaddî ayetleri Bakara, Yûnus, Hûd, İsra ve Tûr sûrelerinde geçmektedir. Bu sûrelerde Kur'ân'ın bir sûresinin bir benzerinin getirilmesi noktasında iki defa, Kur'ân'ın on sûresi, Kur'ân'ın bir benzeri ve nihayet Kur'ân'a benzer bir söz getirmekle meydan okunmaktadır.

Bunların yanı sıra Kur'ân'da zimnî olarak meydan okuyan âyetler de mevcuttur. Kur'ân üzerinde düşünmeye davet eden, Kur'ân'ın korunmuşluğunu ve onda şüphe olmadığını ifade eden her âyet bu türdendir. Bunun gibi bazı sûrelerin başlarında geçen Mukatta harflerde, diğer bir ifadeyle ayrık harflerde de zimnî meydan okuma vardır.

Ayrıca bu Kur'ân dışında başka bir kitap getirmeleri veya onu değiştirmelerinin istenmesi de bu kapsama girmektedir.

"İtyan" sözcüğü Kur'ân-ı Kerim'de pek çok anlamda kullanılmıştır. Ancak konumuzla alakalı boyutu; tüm i'caz yönleriyle benzeyecek şekilde -meydan okumaya cevap niteliğinde- Mushaflarda okunan Kur'ân'ın bir benzerinin getirilmesi anlamindadir.

Ayrıca bu çalışmamızda *sarfe teorisine* de ışık tutmaya çalıştık. İlim ehlinden bazılarına göre *sarfe*, Kur'ân'ın i'caz yönlerinden bir tanesidir. Buna karşılık diğer bazı âlimler ise, Kur'ân'daki meydan okuma ayetlerinin, *sarfe* görüşünnün yanlışlığını ortaya koyduğunu söylemişlerdir.

Anahtar Kelimeler	:Tahaddî, i'caz, bezerini getirme, muhalefet, sarfe
Sayfa Adedi	: 137 + 8
Tez Danışmanı	: Prof. Dr. Abdulbaki GÜNES

8. الملخص بالإنجليزية

ABSTRACT

(M.Sc.)

Saman AHMED RAMADHAN

YÜZÜNCÜ YIL UNIVERSITY
INSTITUTE OF SOCIAL SCIENCES
January, 2017

TAHADDİ'L-İTYANİ Bİ MİSLİ'L-KUR'ÂNİ Fİ'L-KUR'ÂN

(Challenging Bring Such Quran İn The Quran)

The research aims to reveal the "verses of the challenge in the Nobel Quran," which Allah challenged people who had the most expensive of rhetoric, the best eloquence, poetry, prose, speeches. That challenging has shown the greatness of the Quran, and it's Excellency. It is the best Constitution during the history of people. It also became a proof on all listeners, and silenced all opponents.

The enemies of Islam in general, and the Quran in specific, tried to challenge the miracles of Quran, sometimes neglect it, and tried to do many plots to smash the greatness of Quran, but they failed.

The challenge has been built with its statement, eloquence, words, and all its different miracles. The challenge had been continued during the era of Mecca and Madinah. To bring the same Quran, but they could not. Particularly, the time of challenging was too long.

Anahtar Kelimeler	**: Challeng, miracles, bring the similar, opposition, sarfah**
Sayfa Adedi	**: 137 + 8**
Tez Danışmanı	**: Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ**

9. المحتويات بالتركية

İÇİNDEKİLER

GİRİŞ

ÖNSÖZ

KISALTMALAR

1. GİRİŞ

1.1. SÖZLÜK VE KAVRAM OLARAK TAHADDÎ

1.2. TAHADDÎ KELİMESİNİN EŞ VE ZIT ANLAMLARI

1.3. el-İTİYÂN Bİ'L-MİSL KAVRAMI

1.4. TAHADDÎ, İ 'CÂZ VE MU'CİZ KAVRAMLARI

1.5. ARAP ÖRFÜ VE TAHADDİ KAVRAMI

2. TAHADDÎ'Yİ İÇEREN AYETLERİN ANLAM VE DELALETLERİ

2.1. KUR'AN'DA SARAHETEN TEHADDÎ

2.1.1. BİR TEK SURE İLE TAHADDÎ

2.1.2. ON SURE İLE TAHADDÎ

2.1.3. KUR'AN'IN BENZERİNİ GETİRME HUSUSUNDAKİ TAHADDÎ

2.1.4. KUR'AN GİBİ BİR SÖZ GETİRME HUSUSUNDAKİ TAHADDDÎ

2.1.5. TEHADDİNİN NUZÜL ZAMANIYLA İLGİSİ

2.1.6. KUR'AN'IN ARAP VE ARAP OLMAYANLARA MEYDAN OKUMASI VE SÜREKLİLİĞİ

2.1.7. İLİM EHLİNİN "MİSLİHİ" LAFZINDAKİ İHTİLAFLARI

2.2. KUR'ÂN'DA ZIMNÎ TAHADDÎ VE MUTLAK GERÇEKLİĞİ

2.2.1. MUKATTAÂ HARFLER VE TAHADDÎ

2.2.2. KUR'ÂN DIŞINDA BAŞKA BİR KİTABIN GETİRİLMESİ VEYA DEĞİŞTİRME TALEBİYLE TAHADDÎ

2.2.3. KUR'ÂN'IN ALLAH'IN KELAMI OLDUĞU HUSUSUNDAKİ TAHADDÎ

2.2.4. TAHADDÎNİN OKUNAN KUR'ÂN'DA MI YOKSA KELAM-I KADİM'DE TARTIŞMASI

2.3. TAHADDÎNİN AŞAMALARI VE MERTEBELERİ

2.3.1. TAHADDÎNİN NUZÛL AŞAMALARI VE MUSHAFTAKİ TERTİBİ

2.3.2. TAHADDÎNİN ŞARTLARI VE NEDENLERİ

2.3.3. TAHADDÎ'NİN MİKTARI VE İ'CAZ YÖNLERİ

2.3.4. TAHADDÎNİN NETİCESİ VE ÖNEMİ

3. MUARAZANIN İMKANSIZLIĞI VE SARFE NAZARİYYESİ

3.1. MUARAZADA BULUNANLAR VE BU KONUDAKİ BAŞARISIZLIKLARI

3.1.1. NUZÛL DÖNEMİNDE MUAZARADA BULUNANLAR VE ONLARDAN NAKLEDİLEN SÖZLER

3.1.1.1. EN-NADR B. HARİS

3.1.1.2. MÜSEYLEME

3.1.1.3. TULEYHA EL-ESEDÎ

3.1.1.4. ABDULLAH B. EBİ'S-SARH

3.1.1.5. SECCÂH

3.1.2. NUZÛL SONRASINDA MUARAZADA BULUNANLAR

3.1.2.1. İBNU'L-MUKAFFA

3.1.2.2. KİNDÎ

3.1.2.3. İBNU'R-RÂVENDÎ

3.1.2.4. HALLAC

3.1.2.5. MÜTENEBBÎ

3.1.2.6. EBU'L-A'LÂ EL-MA'ARRÎ

3.1.2.7. ŞÜMEYM EL-HILÎ

3.1.3. MUARAZANIN VE VUKU OLMASININ İMKANSIZLIĞI

3.1.4. ARAPLARIN VE MUARAZADA BULUNANALRIN BAŞARISIZ OLAMALARINDAN SONRA TAHADDÎ ÂYETLERİNE YAKLAŞIMLARI

3.2. SARFE NAZARİYESİ

3.2.1. SARFE NAZARİYESİNİN VE ORTAYA ÇIKIŞI

3.2.2. SARFE NAZARİYESİNİ KABUL EDENLER VE REDDEDENLER

3.2.3. SARFE NAZARİYESİNİ REDDEDENLER

4. SONUÇ

5. KAYNAKÇA

6. ARAPÇA ÖZET

7. TÜRKÇE ÖZET

8. İNGİLİZCE ÖZET

9. TÜRKÇE İÇİNDEKİLER

T.C.
YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANA BİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

TAHADDİ'L-İTYANİ Bİ MİSLİ'L-KUR'ÂNİ Fİ'L-KUR'ÂN

(YÜKSEK LİSANS TEZİ)

Hazırlayan

Saman AHMED RAMADHAN

VAN-2017

T.C.

YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANA BİLİM DALI

TEFSİR BİLİM DALI

TAHADDİ'L-İTYANİ Bİ MİSLİ'L-KUR'ÂNİ Fİ'L-KUR'ÂN

(YÜKSEK LİSANS TEZİ)

Hazırlayan

Saman AHMED RAMADHAN

Danışman

Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ

VAN-2017